الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ﷺ

١٥

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الصحيح من سيره النبى الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم المجلد 15

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، 1944- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، 1419ق. = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 10

شابک : 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9/ع 2ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

اشاره

[تتمه القسم السابع]

[تتمه الباب السابع]

الفصل الخامس: بعوث و سرايا قبل خيبر

اشاره

1- بعث علی إلی بنی سعد

2- بعث زید بن حارثه إلی أم قرفه

3- سریه ابن عتیک إلی أبی رافع

4- سریه ابن رواحه إلی ابن رزام

5- سریه زید بن حارثه إلی مدین

1- بعث علی علیه السّلام إلی بنی سعد:

و فی شعبان سنه ست، بعث النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی بن أبی طالب (علیه السلام) فی مائه رجل إلی بنی سعد بن بکر بفدک التی کان بینها و بین المدینه ست لیال، و فی لفظ: ثلاث مراحل.

و سببه: أنه بلغ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (أن لهم جمعا، یریدون أن یمدوا یهود خیبر، و أن یجعلوا لهم تمر خیبر، فسار (علیه السلام) إلیهم، و فی الطریق أخذوا رجلا هناک فسألوه، فأقر أنه عین لبنی سعد، و أنه مرسل من قبلهم إلی خیبر، یعرض علی یهودها نصرهم مقابل التمر .. ثم دلهم علی موضع تجمعهم.

فسار علی (علیه السلام) بمن معه، فأغاروا علیهم، و هم عارون بین فدک و خیبر. فأخذوا خمس مائه بعیر، و ألفی شاه، و هربت بنو سعد بالظعن.

و عزل علی طائفه من الإبل الجیاد، صفی المغنم لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و فیها ناقه حلوب قریبه عهد بنتاج، تدعی الحفیده، أو الحفده لسرعه سیرها.

ثم عزل الخمس، و قسم الباقی علی السریه.

و قدم بمن معه المدينه، و لم يلقوا كيدا) (1).

و فى نص آخر: أنه قبل أن يصل إليهم نزل (عليه السلام) بمن معه محلا بين خيبر و فدک، فوجدوا به رجلا، فسألوه عن القوم، فقال: لا علم لى، فشدوا عليه، فأقر أنه عين لهم. و قال: أخبركم على أن تؤمنونى، فأمنوه، فدلهم (2).

و يفهم من النص:

أن أهل خيبر كانوا يتوقعون الحرب فيما بينهم و بين المسلمين، فكانوا يسعون لإقامه تحالفات مع من يحيط بهم، لضمان أن يكونوا إلى جانبهم و تقويه لموقعهم ضد المسلمين ..

و لكن الحقيقه هى أكثر من ذلک، فإنهم كانوا يجمعون الرجال استعدادا لمهاجمه المدينه.

إذ يلاحظ: أن النص يقول: إن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فإن هذا معناه: أنهم يجمعون الرجال للانضمام إلى اليهود، و ليكونوا معهم فى عمليه حربيه متوقّعه كان اليهود يخططون لها ..

و لا شک فى أن تسديد هذه الضربات لمن يدبرون للحرب من شأنه أن7.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 12 و السيره الحلبيه ج 3 ص 182 و 183 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 97 و البحار ج 20 ص 293 و 376 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 90.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 183 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 90 و عن عيون الأثر ج 2 ص 107 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 573 و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 97.

يفقدهم قوتهم الاقتصاديه، و أن يهزمهم نفسيا، و يضعف من درجه إصرارهم على الحرب، حين يدب اليأس و تثور أمامهم شكوک قويه فى قدرتهم على النيل من هذه القدره الضاربه، بل قد لا يحصلون إلا على الهزائم، و لا يحصدون إلا الخيبه، و البوار و الخسران .. الأمر الذى لا بد أن يثير أمامهم ضروره التفكير فى السعى إلى تجنب هذه الحرب التى تتنامى احتمالات خسرانهم فيها ..

2- بعث زيد بن حارثه إلى أم قرفه:

اشاره

و فى شهر رمضان من سنه ست، بعث (صلى اللّه عليه و آله) زيد بن حارثه إلى أم قرفه، فاطمه بنت ربيعه بن زيد الفزارى، بناحيه وادى القرى، على سبع ليال من المدينه.

و كان سببها: أن زيد بن حارثه خرج فى تجاره إلى الشام، و معه بضائع لأصحاب النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فلما كانوا بوادى القرى لقيه أناس من فزاره، من بنى بدر، فضربوه، و ضربوا أصحابه، و ظنوا: أنهم قتلوا، و أخذوا ما كان معهم.

فقدم على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأخبره، و نذر زيد أن لا يغسل رأسه من جنابه حتى يغزو بنى فزاره. فلما برئ من جراحته، بعثه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليهم، و أمره بأن يكمن بأصحابه بالنهار، و يسير بهم بالليل، ففعل، و كان معه دليل من بنى فزاره.

فعلم بنو فزاره بالأمر، فراقبوا الطريق. و لكن الدليل- حين لم يبق لهم إلى بنى فزاره سوى مسيره ليله- ضل الطريق الذى كان بنو فزاره يرصدونه،

بواسطه ناظر لهم، ينظر لهم من رأس جبل مشرف مسيره يوم فى الصباح، و يقول لهم: اسرحوا، فلا بأس عليكم. و ينظر لهم مسيره ليله مساء، و يقول لهم: ناموا، فلا بأس عليكم. فحين ضل الدليل عن الطريق من مسيره ليله، أوصلهم إلى مقصدهم من طريق آخر.

فحمدوا خطأهم الذى وقعوا فيه، و كمن زيد لهم تلك الليله. ثم صبحهم هو و أصحابه، فكبروا، و أحاطوا بالحاضر، و أخذوا أم قرفه، و كانت ملكه و رئيسه.

و فى المثل يقال: أمنع و أعز من أم قرفه؛ لأنه كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا، كلهم لها محرم. و هى زوجه مالک بن حذيفه بن بدر.

و أخذوا ابنتها جاريه بنت مالک بن حذيفه بن بدر.

و عمد قيس بن المحسر إلى أم قرفه، و هى عجوز كبيره، فقتلها قتلا عنيفا، حيث ربط برجليها حبلين، ثم ربطهما بين بعيرين، ثم زجرهما، فذهبا بها، فقطّعاها.

و قدم زيد بن حارثه من وجهه ذلک، فقرع باب النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فقام إليه عريانا- كما يزعمون- يجر ثوبه حتى اعتنقه، و قبّله، و سأله، فأخبره بما ظفره اللّه به (1).

و لقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) سلمه بن الأكوع، فطلب منه8.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 12 و السيره الحلبيه ج 3 ص 179- 181 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 92 و 99 و 100 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 91 و عن عيون الأثر ج 2 ص 108.

الفتاه المذكوره، فأعطاه إياها، فأهداها (صلی اللّه علیه و آله) إلی خاله، الذی کان فی مکه.

وقفات للتوضیح و التصحیح:

و هناک العدید من النقاط التی لا بد لنا من الوقوف عندها، للتصحیح تاره، و للتوضیح أخری، و ذلک علی النحو التالی:

أمیر الغزوه: أبو بکر .. أم زید؟!

ورد فی صحیح مسلم و غیره، عن سلمه بن الأکوع: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) بعث أبا بکر لیشن الغاره علی بنی فزاره فی وادی القری.

قال سلمه: (و خرجت معه، حتی إذا صلینا الصبح، أمرنا، فشنینا الغاره، فوردنا الماء، فقتل أبو بکر- أی جیشه- من قتل. و رأیت طائفه فیهم، فخشیت أن یسبقونی إلی الجبل، فأدرکتهم، و رمیت بسهم بینهم و بین الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، و فیهم امرأه- أی و هی أم قرفه- علیها قشع من أدم- أی فروه- خلقه، معها ابنتها من أحسن العرب.

فجئت بهم أسوقهم إلی أبی بکر، فنفلنی أبو بکر (رض) ابنتها، فلم أکشف لها ثوبا، فقدمنا المدینه، فلقینی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال: یا سلمه، هب لی المرأه للّه أبوک. (أی کان قد وصف لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) جمالها).

فقلت: هی لک یا رسول اللّه، فبعث بها رسول اللّه (صلی اللّه علیه

و آله) إلى مكه، ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين) (1).

و نقول:

إن الكلام مشكوك فيه، فإن ابن إسحاق، و ابن سعد، و غيرهما يقولون:

إن أمير السريه التى أخذت فيها أم قرفه، و ابنتها، هو زيد بن حارثه ..

و احتمل البعض- جمعا بين الأمرين-: أن يكون هناك سريتان، اتفق فيهما لسلمه بن الأكوع أن أصاب فى كل واحده منهما بنتا لأم قرفه، فأخذهما منه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فوهب إحداهما لخاله المكى، و هى السريه التى كان أميرها زيد بن حارثه، و فدى بالأخرى أسرى المسلمين فى مكه، و هى السريه التى كان أبو بكر أميرها ..

و نقول:

إن هذا الوجه و إن كان يحل مشكله بنت أم قرفه و لكنه لا يحل مشكله أم قرفه نفسها، فإنها لا يمكن أن تؤسر و تقتل فى كلتا السريتين.8.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 179 و 180 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 92 و 100 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 118 عن عيون الأثر ج 2 ص 154 و مسند أحمد ج 4 ص 46 و صحيح مسلم ج 5 ص 151 و عن سنن أبى داود ج 1 ص 611 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 129 و شرح صحيح مسلم ج 12 ص 68 و سنن النسائى ج 5 ص 202 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 200 و المعجم الكبير للطبرانى ج 7 ص 15 و نصب الرايه ج 4 ص 259 و تاريخ مدينه دمشق ج 22 ص 92 و البدايه و النهايه ج 4 ص 251 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 417 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 226 و عن تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ج 2 ص 288.

و لأجل استبعاد التوافق فى جميع الخصوصيات لم يرتض الحلبى ذلک:

إذ من البعيد أن تتعدد أم قرفه، و أن يكون لكل واحده بنتا من أحسن العرب. و أن يأسرهما معا ابن الأكوع، ثم يطلبهما رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يرسلهما أيضا إلى مكه.

ما كشف ابن الأكوع لها ثوبا:

و الغريب فى الأمر: أن يترک ابن الأكوع هذه الوليده، التى هى من أجمل نساء العرب، فلا يكشف لها ثوبا حتى يرجع بها إلى المدينه، و يطلبها منه الرسول (صلى اللّه عليه و آله) مرتين أو ثلاثا حين لقيه فى السوق فى يومين، فهل كان هذا نتيجه ورع من ابن الأكوع؟!

أم أنه كان لا إرب له فى النساء؟

أم أن اللّه صرفه عن ذلک؟!

و لماذا يصرفه اللّه عن امرأه ستصبح لأحد مشركى مكه؟!..

القسوه و البشاعه فى قتل أم قرفه:

و ذكروا: أن زيد بن حارثه أمر بقتل أم قرفه، لأنها كانت تسب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (1).4.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 180 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 99 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 287 و البدايه و النهايه ج 5 ص 237 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 1035 و عن عيون الأثر ج 2 ص 103 و السيره النبويه لابن كثير ج 4 ص 434.

و ذكروا فى كيفيه قتلها ما تقدم: من أنهم ربطوا حبلين برجليها، و ربطوهما إلى بعيرين، و زجروهما فشقاها نصفين ..

و لكننا لا يمكن أن نصدق ذلک، فقد ذكروا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) نهى عن المثله، إما فى غزوه أحد- حسبما تقدم فى الحديث عنها- و إما فى قضيه أصحاب اللقاح، حسبما تقدم فى سريه كرز بن جابر ..

و لا نرى أن زيدا يرضى بمخالفه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مخالفه صريحه، و لو أنه رضى بذلک فسيجد فى جيشه من يعترض عليه، و يشتكيه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و لا بد أن يصدر منه (صلى اللّه عليه و آله) ما يدل على عدم رضاه بهذا الأمر، إن لم يصل الأمر إلى تأنيب الفاعلين، و تقبيح ما صدر منهم.

مصير بنت أم قرفه:

و قد زعم ابن الأكوع: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) طلب منه بنت أم قرفه فوهبها له .. فأرسلها إلى مكه ففدى بها جماعه من المسلمين ..

مع أن روايه أخرى تقول: إنه فدى بها مسلما واحدا (1).

و نص آخر يقول: إنه أرسلها هديه إلى خاله، حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بمكه (2).ن-

---

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 180.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 180 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 100 و عن الإصابه ج 4 ص 197 و 251 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 71 و عن تاريخ الأمم و الملوک للطبرى ج 2 ص 287 و البدايه و النهايه ج 5 ص 237 و السيره النبويه لابن-

مع أن سلمه قد قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله) حينما طلب منه الجاريه: (رجوت أن أفدى بها امرأه منا فى بنى فزاره، فأعاد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الكلام فى مرتين، أو ثلاثا، فعرف أنه (صلى اللّه عليه و آله) يريدها، فوهبها له ..).

و فى نص آخر: (لقينى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى السوق، فقال: يا سلمه، هب لى المرأه.

فقلت: يا رسول اللّه، قد أعجبتنى، و ما كشفت لها ثوبا.

فسكت، حتى إذا كان من الغد لقينى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى السوق، و لم أكشف لها ثوبا، فقال: يا سلمه هب لى المرأه للّه أبوک.

فقلت: هى لک يا رسول اللّه الخ ..) (1).

فما هذا الإصرار من النبى (صلى اللّه عليه و آله) على استيهاب جاريه يريد صاحبها أن يفدى بها أسيره من أقاربه؟!7.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 92 و 100 و مسند أحمد ج 4 ص 46 و 51 و صحيح مسلم ج 5 ص 151 و سنن أبى داود ج 1 ص 611 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 129 و شرح صحيح مسلم ج 12 ص 68 و سنن النسائى ج 5 ص 202 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 200 و المعجم الكبير ج 7 ص 15 و نصب الرايه ج 4 ص 259 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 118 و تاريخ مدينه دمشق ج 22 ص 92 و البدايه و النهايه ج 4 ص 251 و عن عيون الأثر ج 2 ص 154 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 417.

و لماذا يعيد (صلى اللّه عليه و آله) الكلام مرتين أو ثلاثا؟! مع أن فداء الأسير من الأقارب- خصوصا إذا كانت امرأه- أولى من الهديه إلى الخال المقيم على الشرک فى مکه .. خصوصا، و أنه قد کان بالإمکان أن يهى ء له هديه أخرى تکون من مال نفس المهدى، لا من مال رجل آخر لم يتنازل عن جاريته إلا بعد الإصرار و ربما حياء و خجلا من رسول اللّه!!

و لا ندرى، لماذا أصر (صلى اللّه عليه و آله) على الاستيهاب و لم يعرض عليه أن يبيعها له!! ألم يکن هو الأولى و الأنسب بمقامه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

سوء أدب و وقاحه:

قالوا: و لما قدم زيد بن حارثه المدينه جاء إلى بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قرع الباب، فخرج إليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عريانا، يجر ثوبه. و اعتنقه، و قبله و سأله، فأخبره بما ظفّره اللّه تعالى به (1).

و نقول:

1- إنه ليس هناک أى داع لخروج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى زيد على هذه الحاله، إذ ليس ثمه ما يشير إلى وجود أمر مستعجل، أو غير1.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 181 و الجامع الصحيح ج 4 ص 174 و تحفه الأحوذى ج 7 ص 434 و نصب الرايه ج 6 ص 154 و کنز العمال ج 10 ص 569 و الجامع لأحکام القرآن ج 15 ص 361 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 99 و 427 و عيون الأثر ص 108 و الطبقات الکبرى ج 2 ص 91 و تاريخ مدينه دمشق ج 19 ص 366 و عن فتح البارى ج 11 ص 51.

عادى يمنعه من تناول ثوبه، و وضعه على عاتقه فى ثوان قليله.

2- هل كان (صلى اللّه عليه و آله) يستقبل، و يقبل و يعانق كل عائد من الغزو، و خصوصا بهذه الحراره؟ و بهذه العجله؟!

أم أنه كان يعانق و يقبل خصوص المنتصر الذى جاء بالغنائم و الأسرى؟

أم أن هذه خصوصيه لزيد بن حارثه دون كل من عداه، حتى على بن أبى طالب (عليه السلام)؟! الذى لم يجد هذه المعامله حينما عاد من فتح خيبر، أو حينما عاد من قتل عمرو بن عبدود العامرى .. أو فى فتح حنين، أو فى حرب بدر، و أحد .. و غير ذلک.

أم أن لهذه الغزوه- غزوه أم قرفه- خصوصيه عنده (صلى اللّه عليه و آله)؟ و ما هى تلک الخصوصيه؟!

3- إذا كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أشد حياء من العذراء فى خدرها، فكيف يخرج إلى زيد بن حارثه عريانا يجر ثوبه، ثم يعانقه و يقبّله ..

4- لماذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) عريانا هل كان يغتسل؟ أو كان يمارس حقه الطبيعى مع زوجته؟! أو كان بصدد تبديل ملابسه؟!

إن ذلک كله مما يأنف الناس من الإيحاء به للآخرين، أو أن يسوقهم إلى أن يتصوروه عنهم، فكيف برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

3- سريه ابن عتيک إلى أبى رافع:

و فى شهر رمضان من سنه ست، كانت سريه عبد اللّه بن عتيک، لقتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق اليهودى بخيبر.

و قيل: كان ذلک فى ذى الحجه سنه خمس.

و قيل: فى جمادى الآخره سنه ثلاث.

و كان أبو رافع ممن حزّب الأحزاب يوم الخندق.

و أرسل (صلى اللّه عليه و آله) مع ابن عتيك أربعه رجال هم: عبد اللّه بن أنيس، و أبو قتاده، و خزاعى بن الأسود، و مسعود بن سنان. و أمرهم بقتله، فقتلوه (1).

و قد تقدم الحديث عن هذه السريه فى أوائل الجزء السادس، فراجع.

4- سريه ابن رواحه إلى ابن رزام اليهودى:

اشاره

قالوا: و فى شوال من سنه ست، كانت سريه عبد اللّه بن رواحه إلى أسير (أو اليسير) بن رزام (أو رازم) اليهودى بخيبر.

و سببها: أنه لما قتل أبو رافع ابن أبى الحقيق، أمّرت يهود عليها أسيرا هذا، فسار فى غطفان و غيرهم يجمع لحرب النبى (صلى اللّه عليه و آله)،4.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 12 و راجع: مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 173 و البحار ج 20 ص 13 و 203 و عن صحيح البخارى ج 4 ص 23 و ج 5 ص 26 و 28 و السنن الكبرى للبيهقى ج 3 ص 222 و ج 9 ص 80 و عن مقدمه فتح البارى ص 288 و عن فتح البارى ج 7 ص 262 و 263 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 408 و مسند أبى يعلى ج 2 ص 204 و 205 و دلائل النبوه ص 125 و الثقات ج 1 ص 247 و أسد الغابه ج 1 ص 81 و 83 و ج 4 ص 358 و عن الإصابه ج 1 ص 223 و تاريخ المدينه ج 2 ص 465 و 467 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 78 و عن تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ج 2 ص 184 و البدايه و النهايه ج 4 ص 156 و 158 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 541 و عن السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 746 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 102 و 104.

ليغزوه فى عقر داره بزعمه، فبلغ النبى (صلى اللّه عليه و آله) ذلک؛ فوجه ابن رواحه فى ثلاثه نفر، فى شهر رمضان سرا، فسأل عن خبره، و عربه، ثم رجع، فأخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) بذلک ..

فندب (صلى اللّه عليه و آله) الناس، فانتدب مع ابن رواحه ثلاثون رجلا، فساروا إلى أسير، فقالوا له: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعثنا إليک لتخرج إليه، يستعملک على خيبر، و يحسن إليک، فاستشار اليهود، فأشاروا عليه بعدم الذهاب، و قالوا: ما كان محمد ليستعمل رجلا من بنى إسرائيل.

قال: بلى قد ملّ، الحرب.

فخرج معهم فى ثلاثين رجلا من اليهود، مع كل رجل من المسلمين رديفه من اليهود، فلما كانوا بقرقره ضربه عبد اللّه بن أنيس بالسيف، فسقط عن بعيره، و مالوا على أصحابه فقتلوهم غير رجل، و لم يصب من المسلمين أحد.

ثم قدموا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: قد نجاكم اللّه من القوم الظالمين (1).

و فى نص آخر: أن ابن أنيس حمل اليسير على بعيره، فلما صاروا بقرقره، على سته أميال من خيبر، ندم اليسير على مسيره إلى رسول اللّه (صلى اللّه.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 15 و السيره الحلبيه ج 3 ص 183 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 111 و 112 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 92 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 596 و عن عيون الأثر ج 2 ص 109.

ليسير بمخرش فى يده، فأمّه ..

ثم قتلوه مع أصحابه غير رجل واحد أعجزهم هربا.

فلما قدم ابن أنيس على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) تفل على شجته، فلم تقح، و لم تؤذه (1).

قال: و قطع لى قطعه من عصاه، فقال: امسک هذه معک، علامه بينى و بينک يوم القيامه، أعرفک بها؟ فإنک تأتى يوم القيامه متخصرا.

فلما دفن عبد اللّه بن أنيس، جعلت معه على جلده، دون ثيابه (2).

و نقول:

إننا نسجل هنا النقاط التاليه:

ألف- التثبت فى الأمر:

إن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) حين سمع بسعى أسير بن رزام لجمع غطفان لحربه (صلى اللّه عليه و آله) لم يبادر إلى اتخاذ القرار بمهاجمته، بل أرسل من يتثبت له من هذا الأمر.

فلما تأكد له صحته، بادر لتسديد ضربته الوقائيه، التى اقتصرت على2.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 15 و السيره الحلبيه ج 3 ص 183 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 111 و 112 و عن تاريخ الأمم و الملوک للطبرى ج 2 ص 406 و البدايه و النهايه ج 5 ص 238 و عن السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 1036 و عن عيون الأثر ج 2 ص 110.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 183 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 112.

تدمير موقع الخطر دون سواه، فعمل على التخلص من خصوص الساعى فى تأليب الناس و جمعهم لحرب المسلمين، و هو ابن رزام نفسه، أما قومه، فلم يردهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. لاحتمال أن يكون لهم عذرهم فى الانقياد لأسير، و الانخداع بما كان يقدمه لهم من مبررات ..

و هذا فى الحقيقه: إحسان من النبى (صلى اللّه عليه و آله) إليهم، و إعطاء الفرصه لهم لإعاده النظر فى الأمور برويه و تعقل.

و هذا يدلنا: على أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن همه إرسال عصابات القتل، و السلب، و النهب فى كل اتجاه، كما ربما يراد الإيحاء به، أو التسويق له، بل كان يريد دفع شر الأعداء عن أهل الإسلام، حينما يتضح له بصوره قاطعه أنهم بصدد تسديد ضربتهم للإسلام و المسلمين.

ب- استعمال أسير على خيبر:

و ما ذكروه لأسير بن رزام: من أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) يريد أن يستعمله على خيبر، غير ظاهر الوجه، لأن المفروض: أن هذه السريه كانت سنه ست، أى قبل فتح حصون خيبر بمده طويله، إلا إذا كان المقصود هو استعماله على حصون خيبر، التى كانت بيد اليهود، و هم لم يكونوا تحت سيطره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

بل كان جعله على خيبر يكون من قبيل تحصيل الحاصل، لأن المفروض حسب زعم الروايه: أن يهود خيبر قد أمّروا أسير بن رزام عليهم بعد قتل ابن أبى الحقيق، فما معنى هذا العرض؟!

فلعل الصحيح: هو أن هذه السريه قد كانت بعد فتح خيبر، و يكون

اليهود الذين تفرقوا فى البلاد، أو أبقاهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) ليعملوا فى أرض خيبر قد جعلوا عليهم ابن رزام، فسعى لنقض العهد، و جمع الجموع لحرب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. فجاءه ابن رواحه فى ثلاثين رجلا، و كان ما كان، من تطميعه بالولايه على خيبر من قبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. ثم انتهى الأمر بقتله، و قتل من معه ..

و أبقى (صلى اللّه عليه و آله) اليهود على أعمالهم فى خيبر؛ لأنهم لم يشاركوا ابن رزام فى مساعيه ..

و لعل هذا أولى بالقبول من القول: بأن القضيه قد حصلت قبل خيبر، و أن المقصود: أنه (صلى اللّه عليه و آله) أراد أن يجعله على غطفان، و غيرها من القبائل الساكنه فى تلك المناطق.

أو أنهم أرادوا طمأنته إلى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يأبى من أن يكون أميرا على خيبر، بل هو يعطيه أيضا تفويضا بذلك، و يستعمله عليها، فقبل ابن رزام، المتوجس خيفه من الحرب ذلك منهم، لأنه رأى أنه قد ضمن السلام و السلامه، و أبعد عن مخيلته شبح الحرب، و كابوسها المخيف و المرعب الذى رأى بعض فصوله فى حروب المسلمين مع بنى قينقاع، و النضير، و مع المشركين فى بدر و فى أحد.

و قد يهوّن عليه تصديق هذه المقوله: ما دخل فى وهمه من أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد ملّ الحرب (1).3.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 183.

و لكن فى نص آخر قال أسير بن رزام: (بلى قد مللنا الحرب) (1).

و هذا يؤيد: أنه كان يريد أن يتخلص من شبح الحرب، التى ملها الناس من حوله.

و فى جميع الأحوال نقول: إن الأرجح هو أن تكون هذه السريه قد حصلت بعد فتح خيبر حسبما أوضحناه.

ج- من هو الغادر؟

و ذكروا: أنهم حين ساروا برفقه أسير بن رزام (حمل عبد اللّه بن أنيس أسير بن رزام على بعيره، قال عبد اللّه بن أنيس: فسرنا حتى إذا كنا بقرقره ثبار، و ندم أسير، و أهوى بيده إلى سيفى، ففطنت له، و دفعت بعيرى، و قلت: أغدرا أى عدو اللّه؟!

فدنوت منه لأنظر ما يصنع، فتناول سيفى. فغمزت بعيرى، و قلت:

هل من رجل ينزل يسوق بنا؟!

فلم ينزل أحد.

فنزلت عن بعيرى، فسقت بالقوم، حتى انفرد لى أسير، فضربته بالسيف، فقطعت مؤخره الرجل، و اندرت عامه فخذه و ساقه، و سقط عن بعيره، و فى يده مخرش الخ ..) (2).1.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 111 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 596.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 112 و ج 10 ص 24 و البحار ج 20 ص 41 و إعلام الورى ج 1 ص 211.

و نقول:

إن هذا النص و أمثاله على درجه كبيره من الغموض بل هو موضع شک و ريب أيضا .. فإنه إذا كان ابن أنيس قد فطن لغدر ابن رزام، و صرح فعله عن غدره هذا، فمن المتوقع أن يحتاط أسير لنفسه، و يتباعد عن مرافقه، و يفر منه، و أن يعلن عزمه على العوده من مسيره ذاک.

و من جهه ثانيه، نقول:

قد روى أن قتل أسير كان على يد عبد اللّه بن رواحه فراجع (1).

و من جهه ثالثه، نقول:

كيف لم يسمع أحد من المرافقين، و هم ما يقرب من ستين رجلا ما قاله ابن أنيس لرفيقه؟ ..

كما لم يروا ما دار بينهما من تجاذب للسيف!! و ثمه أسئله أخرى تحتاج إلى الإجابه هنا، و هى التاليه:

كيف صار اليهود ردفاء للمسلمين؟! ألم يكن لدى ذلک الرئيس المطاع أعنى أسير بن رزام و لدى سائر من معه، خيل، أو إبل يركبونها، حتى احتاجوا إلى الارتداف خلف أناس، كانوا إلى ما قبل ساعه يسعون لجمع الناس لحربهم؟!.

و هل فكر أولئک اليهود الرؤساء بكيفيه رجوعهم، من مسيرهم ذاک؟

و هل سوف يرجعون سيرا على الأقدام؟ أم على الخيل؟ أم على الإبل؟!

و على أيه خيل أو إبل سيعودون إلى بلادهم؟.8.

1- البدايه و النهايه ج 4 ص 252 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 418.

و إذا لم يكن هناک ارتداف و کان کل واحد منهم یرکب بعیره الخاص به، فکیف وصلت ید أسیر بن رزام إلی سیف ابن أنیس؟.

و هل جاء ابن رواحه و من معه فی مهمتهم تلک علی الخیل؟ أم علی الإبل؟

فإن کانوا جاؤوا علی الخیل، فمن أین جاءت الإبل؟ و إن کانوا جاؤوا علی الإبل، فهل الإبل هی المراکب المناسبه لمهمات کهذه؟.

و عن قصه قتل ابن أبی الحقیق نقول:

قد تقدم: أن ابن عتیک هو الذی قتله، و قد أصیب ابن عتیک، و بانت یده فمسح النبی (صلی اللّه علیه و آله) علیها فلم تکن تعرف من الید الأخری (1).

د- ابن أنیس و قصه العصا:

و عن قصه العصا التی أعطاها النبی (صلی اللّه علیه و آله) لابن أنیس، نقول:

أولا: إن نفس هذه الدعوی قد ادّعاها ابن أنیس لنفسه فی قضیه قتل سفیان بن خالد، حیث زعم: أنه هو الذی أنجز هذه المهمه، و أعطاه النبی (صلی اللّه علیه و آله) العصا لیعرفه بها، ثم جعلها بین کفنه و جلده ..

فهل تکررت هذه الواقعه کما یحلو للبعض أن یتخیل؟!

فإن کان الأمر کذلک، فإن نفس الحلبی الشافعی ربما تتشوق للسؤالک.

1- البحار ج 10 ص 46 و ج 17 ص 294 و ج 20 ص 303 و راجع أیضا: مسند أبی یعلی ج 2 ص 206 من له روایه فی مسند أحمد ص 241 و غیر ذلک.

عن حكمه تكرير ذلک له، و تخصيصه بهذه المنقبه دون بقيه الصحابه.

ثانيا: لا ندرى لماذا يحتاج ابن أنيس إلى علامه تعرّف النبى (صلى اللّه عليه و آله) به!! فهل يحتاج النبى حقا فى معرفته لابن أنيس إلى علامه؟!

و لماذا لا يعرفه إذا رآه، من حيث إنه يحفظ صوره وجهه فى ذاكرته؟!

أم أن ذاكرته (صلى اللّه عليه و آله) سوف تضعف حين يدخله اللّه الجنه؟!

و إذا كان الأمر كذلک، فما هى العلامات التى كان (صلى اللّه عليه و آله) يعرف بها نساء أصحابه.

إلى غير ذلک من الأسئله الكثيره التى تحتاج إلى جواب ..

5- سريه زيد بن حارثه إلى مدين:

اشاره

قالوا: و بعث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) زيد بن حارثه إلى مدين، فأصاب سبيا من أهل ميناء، و هى السواحل، فبيعوا، ففرقوا بين الأمهات و أولادهن. فخرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و هم يبكون، فقال: ما لهم؟!

فأخبر خبرهم.

فقال: لا تبيعوا إلا جميعا.(1).6

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 15 و السيره الحلبيه ج 3 ص 183 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 96 و دعائم الإسلام ج 2 ص 60 و عن السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 1051 و عن عيون الأثر ج 2 ص 106.

تحفظ على سريه مدين:

و نقول:

إن لنا تحفظا على هذه السريه، يتلخص فى أن (مدين) هى قريه شعيب، و قد سميت باسم مدين بن إبراهيم، و كان بينها و بين مصر ثمان مراحل (1).

و لكنها لم تكن فى سلطه فرعون.

و فى معجم ما استعجم: أنها بلد بالشام، معلوم، تلقاء غزه. و هو منزل جذام، و شعيب النبى المبعوث إلى أهل مدين أحد بنى وائل، من جذام (2).

و السؤال هو:

كيف استطاع زيد أن يخترق كل تلك التجمعات السكانيه، و كانت كلها معاديه له و لدينه، و يقطع هذه المئات من الأميال، و لا يعارضه أحد من أهل الشرك و الكفر، الذين كانوا فى تلك المفاوز و القفار النائيه، و التى قد يكون لقيصر الروم حساسيه خاصه تجاه غزوها، كما ظهر فى قضيه غزوه مؤته.

ثم هو يحارب أهل مدين، و يأسر النساء و الأطفال من أهل ميناء، ثم لا ينجد هؤلاء المنكوبين أحد من أهل نحلتهم، و من هم على دينهم ..

إننا، و إن كنا لا نستطيع أن نعتبر هذه التساؤلات دليلا قاطعا على النفى، و لكنها ترشد إلى لزوم التريث فى الحكم القاطع بصحه هذه النقولات.م.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 15 عن أنوار التنزيل.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 15 عن معجم ما استعجم.

إحترام المشاعر الإنسانيه:

إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر بعدم التفريق بين الأم و ولدها فى البيع. و الذى نريد أن نوجه النظر إليه هو:

أن هناک اختلافا فى النظره إلى هذا الكائن الإنسانى، و فى مبررات تكريمه، أو إهانته، ينشأ عنها اختلاف فى التعامل معه فى هذا الاتجاه أو ذاک أيضا.

فقد تعطى القيمه للإنسان على أساس العصبيات العرقيه أو القوميه، و قد تبنى العلاقه بالإنسان على أساس المنفعه و المصلحه، أو اللذه العاجله.

و ما إلى ذلک ..

و هناک من يعطى القيمه للإنسان استنادا إلى مجرد كونه كائنا بشريا و حسب.

و لكن القيمه فى الإسلام تستند إلى عنصرين أساسيين:

أحدهما: كونه بشرا و نظيرا لک فى الخلق.

و الثانى: كونه أخا لک فى الدين.

و فقد أحد هذين العنصرين لا يلغى الحق الثابت له من خلال توفر العنصر الآخر .. و إن اختلفت طبيعه هذا الحق الثابت، بالنسبه إلى كل واحد منهما ..

و على هذا الأساس نقول:

إنه إذا فقد الالتزام الدينى لدى الإنسان، و اتجه نحو ممارسه العدوان، فإن ذلک، و إن كان يسلبه الحق الذى ينشأ عن الالتزام الدينى، و لكنه لا يستطيع أن يسقط الحق الثابت له بالاستناد إلى بشريته، و إلى نوع خلقته و تكوينه.

فمن يؤسر أو يسبى، نتيجه ظروف الصراع معه، من أجل امتلاک حريه

التدين التی يسعی لسلبها منک، و إن کان يحرم الحقوق التی تثبتها الأخوه الدينيه، و لکن الحقوق التی يثبتها له کونه نظيرا فی الخلق، لا يمکن إسقاطها ..

و لذلک نهی النبی (صلی اللّه عليه و آله) عن التفريق بين الأم و ولدها، و فرض أن لا يباعا إلا جميعا، حسبما تقدم.

و لهذا نقول:

إن نهی النبی (صلی اللّه عليه و آله) عن هذا التفريق ليس مجرد قرار شخصی، أو نتيجه توهج عاطفی، بل هو حکم إلهی مستند إلی مبرراته الموضوعيه، و ينطلق من طبيعه النظره إلی الحقوق، و إلی مناشئها ..

ص: 32

الفصل السادس: حديث الإستسقاء

اشاره

حدیث الاستسقاء:

و فی شهر رمضان من سنه ست استسقی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لأهل المدینه فمطروا، فقال (صلی اللّه علیه و آله): أصبح الناس مؤمنا باللّه، کافرا بالکواکب.

و ذلک لأن الناس کانوا قد قحطوا، فطلبوا منه (صلی اللّه علیه و آله) أن یستسقی لهم، فخرج، و معه الناس یمشون بالسکینه و الوقار، إلی المصلی، فصلی بهم رکعتین، یجهر بالقراءه فیهما، و قرأ فی الأولی بفاتحه الکتاب و سبح اسم ربک الأعلی، و الثانیه بفاتحه الکتاب، و هل أتاک حدیث الغاشیه ..

ثم استقبل الناس بوجهه، و قلب رداءه، لکی ینقلب القحط إلی الخصب، ثم جثا علی رکبتیه، و رفع یدیه، و کبر تکبیره قبل أن یستسقی، ثم قال: اللهم اسقنا و أغثنا غیثا مغیثا، و حیاء ربیعا .. الخ ..

فما برحوا حتی أقبل قزع من السحاب، فالتأم بعضه إلی بعض، ثم أمطرت سبع أیام بلیالیهن، فأتاه المسلمون، و قالوا: یا رسول اللّه، قد غرقت الأرض، و تهدمت البیوت، و انقطعت السبل، فادع اللّه تعالی أن یصرفها عنا.

فضحک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و هو علی المنبر حتی بدت نواجذه، تعجبا لسرعه ملاله بنی آدم. ثم رفع یدیه، ثم قال:

حوالينا، و لا علينا، اللهم على رؤوس الظراب، و منابت الشجر، و بطون الأوديه، و ظهور الآكام.

فتصدعت عن المدينه حتى كانت مثل ترس عليها، كالفسطاط، تمطر مراعيها، و لا تمطر فيها قطره (1).

ثم قال: للّه أبو طالب، لو كان حيا لقرت عيناه، من الذى ينشدنا قوله ! فقام على (عليه السلام)، فقال: يا رسول اللّه، كأنک أردت:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

يلوذ به الهلاک من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل

كذبتم و بيت اللّه يردى محمدو لما نقاتل دونه و نناضل

و نسلمه حتى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أجل.

فقام رجل من كنانه يترنم، و يذكر هذه الأبيات:

لک الحمد و الشكر ممن شكرسقينا بوجه النبى المطر

دعا اللّه خالقنا دعوهإليه و أشخص منه البصر

و لم يک إلا كقلب الرداءو أسرع حتى رأينا المطر 1.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 14 و راجع: مناقب أمير المؤمنين للكوفى ج 1 ص 82 و المصنف للصنعانى ج 7 ص 92 و 431 و عن فتح البارى ج 2 ص 425 و 426 و سبل الهدى و الرشاد ج 9 ص 440 و 444 و السيره الحلبيه ج 3 ص 234 و بحار الأنوار ج 20 ص 300 و الأحاديث الطوال ص 71 و كتاب الدعاء للطبرانى ص 597 و راجع: المعجم الأوسط ج 7 ص 321.

دفاق الغرائل جم البعاق أغاث به علينا مضر

و كان كما قاله عمه أبو طالب أبيض ذو غرر

به اللّه يسقيه صوب الغمام و هذا العيان لذاک الخبر

فمن يشکر اللّه يلق المزيدو من يکفر اللّه يلق العبر (1) و نقول:

إن لنا ههنا وقفات، هی التاليه:

الاستسقاء أکثر من مره:

إن مراجعه النصوص التاريخيه يفيد: أنه (صلى اللّه عليه و آله)، قد استسقى أکثر من مره، إحداها حين رجع من تبوک فی سنه تسع، بطلب من وفد بنی فزاره (2).

و سيأتی الحديث عنها فی موضعه إن شاء اللّه تعالى، و بيان ما فيها من روايات مکذوبه تضمنت التجسيم، و نسبه الضحک إلى اللّه سبحانه، و غير ذلک من أکاذيب، و ترهات و أباطيل، و فيها أيضا الکثير من الجرأه و الوقاحه،1.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 14 و سبل الهدى و الرشاد ج 9 ص 440 و 441 و السيره الحلبيه ج 3 ص 232 و 235 و أمالی المفيد ص 305.
2- راجع: دلائل النبوه للبيهقی ج 6 ص 143 و طبقات ابن سعد ج 2 ص 92 و ج 1 ص 297. و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 394 و البدايه و النهايه ج 6 ص 105 و 96 و ج 5 ص 103 و عن فتح الباری ج 2 ص 420 و عن عيون الأثر ج 2 ص 306 و السيره النبويه لابن کثير ج 4 ص 171.

فیما ینسبونه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من أنه تنبأ بأن أبا لبابه یقوم عریانا، یسد ثعلب مربده و غیر ذلک ..

اللهم حوالینا و لا علینا:

و اللافت هنا: أن الناس حین استمر المطر أسبوعا کاملا طلبوا من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، أن یدعو اللّه بأن یکف بعضا من ذلک عنهم، فدعا اللّه بقوله: (اللهم حوالینا و لا علینا)، فانجابت السحابه عن المدینه، و استمر المطر ینهمر علی أطرافها ..

و تحکی هذه الحادثه فی مختلف وقائع الاستسقاء، التی رویت .. و هی شاهد علی أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد استجاب لهم، و تصدی للتصرف فی أمور التکوین، و لکن بطریقه الطلب من اللّه تعالی، فجاءت الاستجابه الإلهیه متوافقه مع إرادته (صلی اللّه علیه و آله). و لتکن هذه القضیه شاهدا لما اصطلح علیه العلماء، بالولایه التکوینیه للمعصوم، و التی تعنی أن تکون إرادته (علیه السلام) فی سلسله العلل لحدوث أمثال هذه الأمور.

و قد أوضحنا هذا الأمر فی کتابنا خلفیات کتاب مأساه الزهراء (علیها السلام)، فیمکن للقارئ أن یرجع إلیه و یطلع علیه ..

لا یرفع یدیه إلا فی الاستسقاء:

و قد ذکرت بعض الروایات: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله)، حین استسقی رفع یدیه حتی رئی بیاض إبطیه، و دعا .. و کان لا یرفع یدیه فی

شی ء من الدعاء إلا فی الإستسقاء (1).

و نقول:

أولا: إن روایه الاستسقاء التی تقدم ذکرها لم تذکر: هل أنه (صلی اللّه علیه و آله) فی الرکعه الأولی قد کبر بعد قراءه الحمد و السوره خمس تکبیرات، و قنت خمس قنوتات، و لا أنه قد کبر فی الرکعه الثانیه أربع تکبیرات و قنت أربع قنوتات، مع أن هذا هو ما یمیز هذه الصلاه عما عداها، لأنها لیست مجرد رکعتین کصلاه الصبح، و لا شی ء أکثر من ذلک.

ثانیا: إن الأحادیث دلت علی أنه (صلی اللّه علیه و آله)، کان یرفع یدیه0.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 6 ص 394 و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 232 و مسند أحمد ج 2 ص 370 و ج 3 ص 181 و سنن الدارمی ج 1 ص 361 و عن صحیح البخاری ج 2 ص 21 و ج 4 ص 167 و صحیح مسلم ج 3 ص 24 و عن سنن أبی داود ج 1 ص 260 و سنن النسائی ج 3 ص 158 و 249 و المستدرک للحاکم ج 1 ص 327 و السنن الکبری للبیهقی ج 3 ص 210 و 357 و شرح صحیح مسلم ج 6 ص 190 و عن فتح الباری ج 2 ص 342 و 422 و شرح سنن النسائی ج 3 ص 158 و الدیباج علی مسلم ج 2 ص 469 و تحفه الأحوذی ج 9 ص 232 و المصنف لابن أبی شیبه ج 2 ص 370 و مسند أبی یعلی ج 5 ص 311 و 333 و 339 و 347 و 399 و صحیح ابن خزیمه ج 2 ص 333 و ج 3 ص 147 و صحیح ابن حبان ج 7 ص 113 و کتاب الدعاء ص 595 و سنن الدارقطنی ج 2 ص 55 و 63 و نظم المتناثر من الحدیث المتواتر ص 177 و إرواء الغلیل ج 3 ص 141 و عن الکامل ج 6 ص 373 و تاریخ بغداد ج 2 ص 74 و تاریخ مدینه دمشق ج 52 ص 15 و تهذیب الکمال ج 24 ص 389 و سیر أعلام النبلاء ج 13 ص 253 و ذکر أخبار أصفهان ج 1 ص 141 و البدایه و النهایه ج 6 ص 100.

فی الدعاء کثیرا، و قد ذکر الصالحی الشامی أنه یوجد فی صحیحی البخاری و مسلم، أو فی أحدهما: نحو ثلاثین حدیثا صرح بذلک (1) .. فکیف بما فی غیرهما من کتب الحدیث و السیره؟!

عبد المطلب یستسقی برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

و قد ذکر الشهرستانی: أنه لما أصاب أهل مکه ذلک الجدب العظیم، و أمسک السحاب عنهم سنتین أمر عبد المطلب ولده أبا طالب أن یحضر المصطفی (صلی اللّه علیه و آله)، و هو رضیع فی قماط. فوضعه علی یدیه، و استقبل الکعبه، و رماه إلی السماء، و قال: یا رب، بحق هذا الغلام (2).

و رماه ثانیا و ثالثا، و کان یقول: بحق الغلام، اسقنا غیثا مغیثا، دائما هاطلا.

فلم یلبث ساعه أن طبق السحاب وجه السماء، و أمطر حتی خافوا علی المسجد.

و أنشد أبو طالب ذلک الشعر اللامی، الذی منه:

و أبیض یستسقی الغمام بوجهه ثمال الیتامی عصمه للأرامل ثم ذکر أبیاتا من القصیده (3).2.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 6 ص 396 و راجع: المعجم المفهرس لألفاظ الحدیث النبوی- ماده: رفع.
2- الغدیر ج 7 ص 346.
3- الملل و النحل ج 3 ص 225 و مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 119 و الغدیر ج 7 ص 346 و عن فتح الباری ج 2 ص 412.

و لكن من يلاحظ لاميه أبى طالب يجد أنها تشير إلى أحداث وقعت بعد نبوه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. الأمر الذى يدل على أنه رحمه اللّه لم ينظمها دفعه واحده، بل هو قد نظم بعض مقاطعها فى زمن أبيه عبد المطلب، ثم أتمها فى أزمنه لاحقه، بعد بعثه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

أبو طالب يستسقى بالرسول صلّى اللّه عليه و آله ثلاث مرات:

هذا .. و قد روى: أن أبا طالب استسقى برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أيضا فى صغره، لما تتابعت عليهم السنون، فأهلكتهم، فخرج به (صلى اللّه عليه و آله) إلى أبى قبيس، و طلب السقيا بوجهه، فسقوا، فقال يمدحه (صلى اللّه عليه و آله):

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه الأرامل (1) و الظاهر: أنه كرر إنشاد هذه الأبيات، بعد أن كان قد قالها حين استسقاء عبد المطلب به.

و روى ابن عساكر عن جلهمه بن عرفطه، قال: (قدمت مكه، و قريش فى قحط، فقائل منهم يقول: اعتمدوا اللات و العزى.9.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 1 ص 489 عن ابن سعد، و الطبرانى، و شرح الأخبار ج 3 ص 223 و أمالى المفيد ص 304 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 59 و العمده ص 412 و الطرائف ص 301 و الصراط المستقيم ج 1 ص 334 و كتاب الأربعين للشيرازى ص 495 و حليه الأبرار ج 1 ص 84 و البحار ج 19 ص 3 ص 255 و ج 35 ص 166 و مناقب أهل البيت للشيروانى ص 53 و أبو طالب حامى الرسول ص 106 و 108 و 111 و الغدير ج 7 ص 339.

و قائل منهم يقول: اعتمدوا مناه الثالثه الأخرى.

فقال شيخ و سيم، حسن الوجه، جيد الرأى: أنى تؤفكون، و فيكم بقيه إبراهيم، و سلاله إسماعيل؟!

قالوا: كأنک عنيت أبا طالب؟

قال: إيها.

فقاموا بأجمعهم، وقمت معهم، فدققنا عليه بابه، فخرج إلينا رجل حسن الوجه، عليه إزار قد اتشح به، فثاروا إليه، فقالوا: يا أبا طالب، أقحط الوادى، و أجدب العيال! فهلم فاستسق لنا!!

فخرج أبو طالب، و معه غلام، كأنه شمس دجنه، تجلت عليه سحابه قتماء، و حوله أغيلمه. فأخذه أبو طالب، فألصق ظهره بالكعبه، ولاذ بأضبعه الغلام، و ما فى السماء قزعه. فأقبل السحاب من ههنا و ههنا، فأغدق و اغدودق، و انفجر له الوادى، و أخصب النادى و البادى.

و فى ذلک يقول أبو طالب:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه الأرامل

يلوذ به الهلاک من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل و قال ابن سعد: حدثنا الأزرق، حدثنا عبد اللّه بن عون، عن عمرو بن سعيد: أن أبا طالب قال: كنت بذى المجاز مع ابن أخى، يعنى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فأدركنى العطش، فشكوت إليه، فقلت: يابن أخى قد عطشت.

و ما قلت له ذلک، و أنا أرى عنده شيئا إلا الجزع، قال: فثنى وركه.

ثم قال: يا عم عطشت؟

قلت: نعم.

فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا أنا بالماء، فقال: اشرب، فشربت.

و له طرق أخرى، رواها الخطيب، و ابن عساكر) (1).

عمر يتوسل و يستسقى بعم الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

و قد صرحت الروايات أيضا: بأن عمر بن الخطاب استسقى بعد وفاه الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله)، و توسل بالعباس عم النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و معه غيره من بنى هاشم، و طلب العباس من الناس أن لا يخالطوهم و قال مخاطبا عمر بن الخطاب: (لا تخلط بنا غيرنا).

فكان من دعاء عمر بن الخطاب فى الاستسقاء قوله: اللهم إنا توجهنا (أو نتوسل، أو نتقرب) إليک بعم نبيک (2).3.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 2 ص 137 و راجع: إرشاد السارى ج 2 ص 227 و شرح بهجه المحافل ج 1 ص 119 و السيره النبويه لدحلان ج 1 و السيره الحلبيه ج 1 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 48 و الخصائص الكبرى ج 1 ص 86 و 124 و الغدير ج 7 ص 346 عن أكثر من تقدم و عن طلبه الطالب ص 42 و أبو طالب حامى الرسول ص 183 و 184.

2- شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 7 ص 274 و ج 14 ص 51 و اقتضاء الصراط المستقيم ص 338 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 334 و مآثر الأنافه ج 1 ص 91 و فتح البارى ج 2 ص 411 و 412 و 413 و كنز العمال ج 16 ص 120 و 123 و 124 و 30 و عيون الأخبار لابن قتيبه ج 2 ص 279 و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 3 ص 99 و تذكره الفقهاء ج 1 ص 167 و الأوائل لأبى هلال العسكرى ج 1 ص 256 و البيان و التبيين ج 3 ص 279 و ذخائر العقبى ص 200 و 236 و الأغانى ج 11 ص 81 و العقد الفريد ج 4 ص 64 و النهايه لابن الاثير ج 2 ص 33 و ج 4 ص 94 و الأسماء و الصفات للبيهقى ج 1 و الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج 2 ص 319 و ج 4 ص 19 و ج 3 قسم 1 ص 232 و ج 5 ص 107 و ربيع الأبرار ج 1 ص 119 و 134 و غريب الحديث لابن قتيبه ج 3 ص 182 و الفتوحات الإسلاميه لدحلان ج 2 ص 380 و أسد الغابه ج 3 ص 111 و المصنف للصنعانى ج 3 ص 94 و السيره الحلبيه ج 2 ص 52 و ينابيع الموده ص 306 و السنن الكبرى ج 3 ص 352 و الرصف للعاقولى ص 400 و عن

البحار ج 2 ص 34 و ج 5 ص 25 و من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 538 و تأويل مختلف الأحاديث ص 235 و صحيح ابن خزيمه ج 2 ص 338 و صحيح ابن حبان ج 7 ص 111 و المعجم الأوسط ج 3 ص 49 و الفائق فى غريب الحديث ج 3 ص 115 و الدرجات الرفيعه ص 96 و تاريخ خليفه بن خياط ص 96 و تاريخ مدينه دمشق ج 26 ص 355 و 356 و 358 و 359 و 361 و 363 و تهذيب الكمال ج 14 ص 228 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 91 و 93 و 97 و تاريخ المدينه ج 2 ص 738 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 150 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 103.

و ذلک کله، و کثیر سواه یوضح لنا: أن مشروعیه التوسل بالأنبیاء، و الأولیاء (علیهم السلام) کانت من المرتکزات الأولیه لدی المسلمین، یعرفها الکبیر و الصغیر فیهم، فلا معنی و لا مبرر لمکابره أهل الباطل، و خصوصا الناصبه منهم، بالإصرار علی المنع من ذلک، و اعتباره شرکا أو کفرا!!

نظره أبی طالب لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

و بعد .. فإن الکل یعلم: أن من یعاشر إنسانا مده طویله، و یطلع علی حالاته المختلفه، و یتلمس فیه الضعف و القوه، و المرض، و الصحه، و الملاله،

و الضجر، و الأريحيه و الانشراح، و الحزن، و السرور.

و يراه فى حالات الغضب و الرضا، و التبذل و الترسل، و الانقباض، و الانبساط، و الجديه، و الترسم، و اللعب، و اللهو، و العمل، و المثابره، و النشاط، و الكسل، و الفراغ، و الشغل، و ما إلى ذلک، فإن كل من يرى هذه الحالات فى إنسان ما، سوف تتضاءل و تنكمش، و قد تتلاشى و تندثر الهاله التى ربما تبهر الناس فى ذلک الإنسان، حتى إنه قد لا يبقى لديه سوى بعض الإعجاب بلفته جمال هنا، أو بلمحه ذكاء هناک!!

و لكن الأمر بالنسبه لأبى طالب مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان مختلفا تماما، فقد كان اطلاع أبى طالب على جميع أحوال النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و أدق خصوصياته يزيد من درجات تقديسه له، و يضاعف مراتب إعجابه به، و انبهاره بأنوار حقيقته، و تجليات فضائله، و ميزاته، إلى الحد الذى يجعل ذلک الشيخ الكبير يرى هذا الفتى اليافع وسيلته إلى اللّه و شفيعه، الذى يبلغه حاجاته، و رائده و قائده، و مثله الأعلى، حتى إنه ليستسقى به مره بعد أخرى، و ينشئ به قصيدته اللاميه التى بهرت بأنوارها الساطعه، و بلألائها اللامع كل من سمعها، أو قرأها. بل هى قد أخذت بمجامع القلوب، و هيمنت على المشاعر، و أنست بباهر أنوارها حتى القلوب التى غرقت فى ظلمات النصب و الانحراف عن بنى هاشم، و كل من له بهم أدنى صله أو رابطه، حتى إن ابن كثير يصف هذه القصيده العصماء، بقوله:

(قلت: هذه قصيده عظيمه، بليغه جدا، لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه. و هى أفحل من المعلقات السبع، و أبلغ فى تأديه المعنى فيها

جميعها إلخ ..) (1).

و بعد، فإن قول النبى (صلى اللّه عليه و آله): للّه در أبى طالب: إنما يريد به أن در أبى طالب و عطاءه هذا، كان خالصا للّه تعالى.

و هو كلام فيه المزيد من الثناء، و التأكيد على صحه ما رتبه عليه من نتيجه، و هى أن أبا طالب لو كان حيا لقرت عيناه برؤيه استجابه اللّه دعاء نبيه، و ظهور المعجزه على يديه.

و هذا يدل على حرص رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على أن تقر عين أبى طالب حتى و هو فى قبره، بظهور الإيمان و الإسلام على أهل الشرک و الإلحاد و الطغيان.

و ما دام أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يحب لهذه القصيده أن تذكر فى محافل أهل الإيمان، فإننى أحب أن أثبتها هنا: ليرغم بها أنف الشانئ و الناصب، و لتقر بها عين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و عين أبى طالب، و عين ابنه أسد اللّه الغالب. و عين من هو لشفاعته طالب، و القصيده هى التاليه:

خليلى ما أذنى لأول عاذل بصغواء فى حق و لا عند باطل

خليلى إن الرأى ليس بشركهو لا نهنه عند الأمور التلاتل

و لما رأيت القوم لا ود فيهم و قد قطعوا كل العرى و الوسائل

و قد صارحونا بالعداوه و الأذى و قد طاوعوا أمر العدو المزايل

و قد حالفوا قوما علينا أظنّهيعضون غيظا خلفنا بالأنامل 4.

1- البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى سنه 1413 ه) ج 3 ص 74.

صبرت لم نفسى بسمراء سمحهو أبيض عضب من تراث المقاول

و أحضرت عند البيت رهطى و إخوتى و أمسكت من أثوابه بالوصائل

قياما معا مستقبلين رتاجه لدى حيث يقضى نسكه كل نافل

و حيث ينيخ الأشعرون (1) ركابهم بمفضى السيول من أساف و نائل

موسّمه الأعضاد أو قصراتهامحبّسه بين السّديس و بازل

ترى الودع فيها و الرّخام و زينهبأعناقها معقوده كالعثاكل (2)

أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل

و من كاشح يسعى لنا بمعيبهو من ملحق فى الدين ما لم نحاول

و ثور و من أرسى ثبيرا مكانه و راق ليرقى فى حراء و نازل

و بالبيت ركن البيت من بطن مكهو باللّه إن اللّه ليس بغافل

و بالحجر المسود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى و الأصائل

و موطئ إبراهيم فى الصخره وطأهعلى قدميه حافيا غير ناعل

و أشواط بين المروتين إلى الصفاو ما فيهما من صوره و تماثل

و من حج بيت اللّه من كل راكب و من كل ذى نذر من كل راجل

و بالمعشر الأقصى إذا عمدوا له ألال إلى مفضى الشراج القوابل

و توقافهم فوق الجبال عشيهيقيمون بالأيدى صدور الرواحل ل.

1- و هم: الحجاج الذين و فروا شعورهم ليحلقوها فى حجهم.

2- العثكول: عرق النخل.

و ليله جمع و المنازل فى منى و ما فوقها من حرمه و منازل

و جمع إذا ما المقربات أجزنه سراعا كما يفزعن (1) من وقع وابل

و بالجمره الكبرى إذا صمدوا لهايأمون قذفا رأسها بالجنادل

و كنده إذ ترمى الجمار عشيهتجيز بها حجاج بكر بن وائل

حليفان شدا عقد ما احتلفا له و ردا عليه عاطفات الذلائل

و حطمهم سمر الرماح مع الظبى و إنقاذهم ما ينتقى كل نابل

و مشيهم حول البسال و سرحه و سلميّه و خد النعام الجوافل (2)

فهل فوق هذا من معاذ لعائذو هل من معيذ يتقى اللّه عادل

يطاع بنا أمر العداودّ أننايسد بنا أبواب ترک و کابل

كذبتم و بيت اللّه نترک مکهو نظعن إلّا أمركم فى بلابل

كذبتم و بيت اللّه نبزى (3) محمداو لما نطاعن دونه و نناضل

أبيت بحمد اللّه ترک محمدبمکه أسلمه لشر القبائل

و قال لى الأعداء قاتل عصابهأطاعوه، و ابغه جميع الغوائل

نقيم على نصر النبى محمدنقاتل عنه بالظبى و العواسل (4) ل

1- يخرصن: خ- ل.
2- البسال: اسم موضع، و السرح: شجر لا شوک فيه، و السّلمى: نبات.
3- أى: نغلب عليه.
4- القنابل: طوائف الخيل و الناس، و فى مجمع البيان ج 4 ص 288 هكذا:
أقيم على نصر النبى محمدأقاتل عنه بالقنا و القنابل

و نسلمه حتى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

و ينهض قوم بالحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

و حتى نرى ذا الضغن يركب ردعه (1) من الطعن فعل الأنكب المتحامل

و إنا لعمر اللّه إن جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

بكفى فتى مثل الشهاب سميدع أخى ثقه حامى الحقيقه باسل

شهورا و أياما و حولا مجرما (2) علينا و تأتى حجه بعد قابل

و ما ترک قوم- لا أبا لک- سيدايحوط الذمار غير ذرب مواكل

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال (3) اليتامى عصمه للأرامل

يلوذ به الهلاک من آل هاشم فهم عنده فى رحمه و فواضل

لعمرى لقد أجرى أسيد و بكره (4) إلى بغضنا إذ جزآنا لآكل

جزت رحم عنا أسيدا و خالداجزاء مسى ء لا يؤخر عاجل

و عثمان لم يربع علينا و قنفذو لكن أطاعا أمر تلک القبائل

أطاعا أبيا و ابن عبد يغوثهم (5) و لم يرقبا فينا مقاله قائل ل.

1- الردع: العنق، و يركب ردعه: أى يسقط على رأسه.
2- المجرّم: التام الكامل، و الحجه: السنه.
3- الثمال: الملجأ.
4- و رهطه: خ- ل، و المراد بالبكر: المولود الأول، و أسيد: هو ابن أبى العاص بن أميه.
5- أطاعا بنا الغاوين فى كل وجهه خ- ل.

كما قد لقينا من سبيع و نوفل و كل تولى معرضا لم يجامل

فإن يلفيا أو يمكن اللّه منهمانكل لهما صاعا بصاع المكايل

و ذاک أبو عمرو أبى غير بغضناليظعننا فى أهل شاء و جامل (1)

يناحى بنا فى كل ممسى و مصبح فناج أبا عمرو بنا، ثم خاتل

و يؤلى لنا باللّه ما إن يغشنابلى قد تراه جهره غير حائل

أضاق عليه بغضنا كلّ تلعهمن الأرض بين أخشب فمجادل (2)

وسائل، أبا الوليد ماذا حبوتنابسعيک فينا معرضا کالمخاتل

و كنت امرءا ممن يعاش برأيه و رحمته فينا و لست بجاهل

فلست أباليه على ذات نفسه فعش يا بن عمى ناعما غير ماحل

و عتبه لا تسمع بنا قول كاشح حسود كذوب مبغض ذى دغاول

و قد خفت إن لم تزدجرهم و ترعوواتلاقى و نلقى منک إحدى البلابل

و مر أبو سفيان عنى معرضاكما مر قيل من عظام المقاول

يفر إلى نجد و برد مياهه و يزعم إنى لست عنهم بغافل

و أعلم أن لا غافل عن مساءهكذاک العدو عند حق و باطل

فميلوا علينا كلكم إن ميلكم سواء علينا و الرياح بهاطل

يخبرّنا فعل المناصح أنه شفيق و يخفى عارمات الدواخل ر.

1- أى: أنه يرحلهم فى أهل الشياه و الجمال.

2- المجادل: القصور.

أمطعم لم أخذ لک فی یوم نجدهو لا عند تلک المعظمات الجلائل

و لا یوم خصم إذ أتوک ألدهأولی جدل مثل الخصوم المساجل

أمطعم إن القوم ساموک خطهو إنی متی أوکل فلست بوائل (1)

جزی اللّه عنا عبد شمس و نوفلاعقوبه شر عاجلا غیر آجل

بمیزان قسط لا یخیس شعیرهله شاهد من نفسه غیر عائل

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوابنی خلف قیضا بنا و الغیاطل

و نحن الصمیم من ذؤابه هاشم و آل قصی فی الخطوب الأوائل

و کان لنا حوض السقأیه فیهم و نحن الذری منهم و فوق الکواهل

فما أدرکوا زحلا و لا سفکوا دماو ما خالفوا إلا شرار القبائل

بنی أمه مجنونه هندکیهبنی جمح عبید قیس بن عاقل

و سهم و مخزوم تمالوا و ألبواعلینا العدی من کل طمل و خامل

و حث بنو سهم علینا عدیّهم عدی بن کعب فاحتبوا فی المحافل

یعضّون من غیظ علینا أکفهم بلا تره بعد الحمی و التواصل

و شأیظ کانت فی لؤی بن غالب نفاهم إلینا کل صقر حلاحل

و رهط نفیل شر من وطأ الحصی و ألأم حاف من معد و ناعل

فعبد مناف أنتم خیر قومکم فلا تشرکوا فی أمرکم کل واغل

فقد خفت إن لم یصلح اللّه أمرکم تکونوا کما کانت أحادیث وائل ی.

1- الوائل: الملتجی.

لعمری لقد وهّنتم و عجزتم و جئتم بأمر مخطئ للمفاصل

و کنتم حدیثا حطب قدر فأنتم ألان حطاب أقدر و مراجل

لیهن بنی عبد المناف عقوقهاو خذلانها و ترکها فی المعاقل

فإن یک قوم سرهم ما صنعتم ستحتلبوها لقحه غیر باهل

فأبلغ قصیا أن سینشر أمرناو بشّر قصیا بعدنا بالتخاذل

و لو طرقت لیلا قصیا عظیمهإذن ما لجأنا دونهم فی المداخل

و لو صدقوا ضربا خلال بیوتهم لکنا أسی عند النساء المطافل

فإن تک کعب من لؤی تجمعت فلا بد یوما مره من تزایل

و إن تک کعب من کعوب کبیرهفلا بد یوما أنها فی مجاهل

و کنا بخیر قبل تسوید معشرهم ذبحونا بالمدی و المقاول

فکل صدیق و ابن أخت نعده لعمری وجدنا غبّه غیر طائل (1)

سوی أن رهطا من کلاب بن مرهبراء إلینا من معقّه خاذل

بنی أسد لا تطرقنّ علی القذی إذا لم یقل بالحق مقول قائل

و نعم ابن أخت القوم غیر مکذب زهیر حساما مفردا من حمائل

أشمّ من الشّم البهالیل ینتمی إلی حسب فی حومه المجد فاضل

لعمری لقد کلفت وجدا بأحمدو إخوته دأب المحب المواصل.

1- لعمری وجدنا عیشه غیر زائل. خ- ل.

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلهاو زينا على رغم العدو المخابل (1)

فمن مثله فى الناس أى مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش يوالى إلها ليس عنه بغافل

و أيده رب العباد بنصره و أظهر دينا حقه غير زائل

فو اللّه لولا أن أجى ء بسبهتجر على أشياخنا فى المحافل

لكنا تبعناه على كل حالهمن الدهر جدا غير قول التهازل

و داستكم منا رجال أعزهإذا جردوا أيمانهم بالمناصل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا و لا يعنى بقول الأباطل

رجال كرام غير ميل نماهم إلى العز آباء كرام المخاصل (2)

وقفنا لهم حتى تبدد جمعهم و حسّر عنا كل باغ و جاهل

شباب من المطّلّبين و هاشم كبيض السيوف بين أيدى الصياقل

بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ضوارى أسود فوق لحم خرادل

و لكننا نسل كرام لسادهبهم يعتلى الأقوام عند التطاول

سيعلم أهل الضغن أيى و أيهم يفوز و يعلو فى ليال قلائل

و أيهم منى و منهم بسيفه يلاقى إذا ما حان وقت التنازل

و من ذا يمل الحرب منى و منهم و يحمد فى الآفاق فى قول قائل ب.

1- المخابل: الفاسد.
2- المخصل: السيف القطّاع. يقال: سيف كريم، أى: لا يفلّ فى الحرب.

فأصبح منا أحمد فی أرومهتقصر منها سوره المتطاول

کأنی به فوق الجیاد یقودهاإلی معشر زاغوا إلی کل باطل

وجدت بنفسی دونه و حمیته و دافعت عنه بالذری و الکلاکل

و لا شک أن اللّه رافع أمره و معلیه فی الدنیا و یوم التجادل

کما قد أری فی الیوم و الأمس جده و والده رؤیاهما خیر آفل (1) ر.

1- راجع المصادر التالیه لتجد أکثر هذه القصیده، أو بعض أبیاتها: خزانه الأدب للبغدادی ج 2 ص 59- 75 و الروض الأنف ج 1 ص 174- 180 و بحار الأنوار ج 35 ص 165- 167 و الغدیر ج 7 ص 338- 340 و السیره النبویه لابن هشام ج 1 ص 172- 176 و البدایه و النهایه ج 3 ص 53- 57 و دیوان شیخ الأبطح أبی طالب للمهزمی العبدی ص 2- 12 و الدره الغراء ص 120- 135، و راجع: سیره ابن إسحاق ص 156 و شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج 3 ص 319 و 320 و الملل و النحل للشهرستانی ج 2 ص 249 و إیمان أبی طالب ص 18- 22 و 37 و إرشاد الساری ج 2 ص 27 و الحماسه لابن الشجری ص 17 و 18 و بلوغ الإرب للآلوسی ج 1 ص 326 و 327 و الحجه ص 298 و تاریخ الإسلام للذهبی، و مجمع البیان ج 4 ص 288 و زهره الأدباء للنقدی و التبیان ج 3 ص 108 و الکافی ج 1 ص 449 و غیر ذلک کثیر.

القسم الثامن من الحديبيه إلى فتح مكه

اشاره

الباب الأول: حتى بيعه الرضوان الباب الثانی: عهد الحديبيه .. وقائع و آثار الباب الثالث: سرايا و قضايا بين خيبر و الحديبيه الباب الرابع: دعوه ملوک الأرض

ص: 56

الباب الأول حتى بيعه الرضوان

اشاره

الفصل الأول: من المدينه .. إلى عسفان الفصل الثانى: من عسفان .. إلى الحديبيه الفصل الثالث: حابس الفيل .. و حقوق الحيوان الفصل الرابع: تعمد صنع المعجزه الفصل الخامس: اتصالات .. و مداولات الفصل السادس: عثمان فى مكه

ص: 58

الفصل الأول: من المدينه .. إلى عسفان

اشاره

الحديبيه: اسما و موقعا:

الحديبيه بتخفيف الياء، تصغير حدباء، و هى اسم بئر أو شجره، سمى باسمها المكان الذى تقع فيه، قريه قريبه من مكه، أكثرها واقع فى الحرم، و هناک المسجد المعروف بمسجد الشجره، و بين الحديبيه و المدينه تسع مراحل و بينها و بين مكه مرحله واحده، أى تسعه أميال (1).

التحرک نحو الحديبيه:

و مجمل الحديث فى أمر الحديبيه: أن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) رأى فى منامه: أنه دخل مكه هو و أصحابه، آمنين، محلقين رؤوسهم، و مقصرين. و أنه دخل البيت، و أخذ مفتاحه، و أدى عمرته، و عرّف مع المعرفين (2) (أى جعل على الناس عرفاء).

فلما أخبر (صلى اللّه عليه و آله) أصحابه بما رأى فرحوا، و ظنوا أنهم يدخلون مكه فى عامهم ذاک. ثم أخبرهم أنه يريد الخروج للعمره، فتجهزوا3.

1- الإستبصار ج 2 ص 177 و معجم البلدان ج 2 ص 229.
2- راجع: تفسير مجاهد ج 2 ص 603 و معانى القرآن ج 6 ص 511 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 33.

للسفر، و استنفر (صلى اللّه عليه و آله) العرب إلى ذلک و أهل البوادى من الأعراب حول المدينه، من أسلم: من غفار، و جهينه، و مزينه، و أسلم، ثم خرج (صلى اللّه عليه و آله) معتمرا.

و كان خروجه من منزله بعد أن اغتسل ببيته، و لبس ثوبين، و ركب راحلته القصوى من عند بابه، و أحرم هو و غالب من معه من ذى الحليفه، بعد أن صلى ركعتين فى المسجد هناک. و بعض أصحابه أحرم بالجحفه. ثم ركب راحلته، من باب المسجد، و انبعثت به و هو مستقبل القبله.

و كان خروجه (صلى اللّه عليه و آله) فى ذى القعده.

و قيل: خرج فى شهر رمضان.

و خرجت أم سلمه، و أم عماره، و أم منيع، و أم عامر الأشهليه، و معه المهاجرون و الأنصار، و من لحق بهم من العرب، و أبطأ عنه كثير منهم و سلک طريق البيداء.

و ساق (صلى اللّه عليه و آله) معه الهدى، سبعين بدنه. و بعد أن صلى الظهر فى ذى الحليفه أشعر عده منها، و هى موجهات إلى القبله فى الشق الأيمن من سنامها. ثم أمر ناجيه بن جندب (و فى معالم التنزيل: ناجيه بن عمير) فأشعر الباقى، و قلدهن، أى علق برقابهن كل واحده نعلا.

و أشعر المسلمون بدنهم، و قلدوها.

و كان الناس سبع مائه رجل.

و قيل: ألفا و أربع مئه.

و هناک أقوال أخر سوف نشير إليها إن شاء اللّه تعالى.

ص: 61

و سار حتى بلغ عسفان (1).

وقفات مع ما تقدم:

و قبل أن نتابع الحديث عن هذا الحدث الكبير نلقى نظره على بعض الخصوصيات و الأمور التى تذكر من بدايه خروج النبى (صلى اللّه عليه و آله) من المدينه إلى حين وصوله إلى عسفان.

فنقول:3.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 9 و 10 و تاريخ الخميس ج 2 ص 16 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 321 و 322 و البدايه و النهايه ج 4 ص 175 و طبقات ابن سعد ج 2 ص 72 و المنتظم ج 3 ص 267 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 86 و المغازى للواقدى ج 2 ص 517 و تاريخ الأمم و الملوک للطبرى ج 2 ص 270 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 169 و جوامع السيره النبويه لابن حزم ص 164 و الإكتفاء ج 2 ص 233. و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 قسم 2 ص 34 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) (ط سنه 1410 ه) ص 364 و 365 و البدء و التاريخ ج 4 ص 224 و عيون الأثر (ط سنه 1406 ه) ج 2 ص 113 و 114 و السيره النبويه لدحلان (ط سنه 1415 ه) ج 1 ص 481 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 33 و 34، و راجع: النص و الإجتهاد ص 166 و مسند أحمد ج 4 ص 323 و السنن الكبرى للبيهقى ج 5 ص 235 و صحيح ابن خزيمه ج 4 ص 290 و شرح معانى الآثار ج 4 ص 174 و المعجم الكبير ج 20 ص 16 و نصب الرايه ج 4 ص 238 و جامع البيان ج 26 ص 124 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 4 ص 200 و 209 و تاريخ خليفه بن خياط ص 48 و أسد الغابه ج 2 ص 93 و الإصابه ج 1 ص 425 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 313.

الخروج إلى العمره:

و أول ما ما يواجهنا من ذلک هو دلالات هذا التحرک الجديد، الذى يدلنا على الأمور التاليه:

1- إن خروج النبى (صلى اللّه عليه و آله) محرما، معظما للبيت، زائرا له، من شأنه أن يطمئن أهل مکه، و من حولها إلى أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يريد الحرب فى تحرکه هذا، و أن بإمكانهم أن يشعروا بالأمن من هذه الجهه.

و لکن ذلک لا يمنع من أن يعتبر هذا التحرک فى الوقت ذاته تحديا لزعماء الشرک، و إقداما جريئا، بل هو الغايه التى ما بعدها غايه فى الجرأه ..

على أمر يستبطن کسر عنفوان الشرک، و هو يدل على شعور المسلمين بالقوه و العزه، إلى حد أنهم يقتحمون على عدوهم داره، و لا يخشونه.

2- و فيه أيضا تأکيد على حق الناس بمقدساتهم، و بممارسه عباداتهم بحريه تامه، وفق ما يعتقدونه و حسبما ثبت لهم.

3- و فيه أيضا إظهار لقريش على أنها باغيه و معتديه، و أنها لا تملک من المنطق و الحجه ما يبرر لها ذلک، بل حجتها فى هذا البغى هو ما تتوسل به من قوه و قهر، و ما تمارسه من ظلم و عدوان ..

4- و الأهم من ذلک هو کسر هيبه الشرک و المشرکين، و قريش بالذات فى المنطقه کلها، و إفساح المجال للناس للاعتقاد بأن بإمكانهم التفکير بعيدا عن الضغوط التى يمارسها عليهم الآخرون، و أن بإمكانهم أن يختلفوا مع قريش و أن يخالفوها إذا وجدوا الحق فى خلافها.

5- إن الناس حين يشعرون بقوه هذا الدين، فإنهم إن لم يتجرأوا على الدخول فيه، سوف تکون لهم الجرأه على الدخول فى تحالفات معه، خصوصا

القبائل القریبه من المدینه، و سیتریثون کثیرا فی اتخاذ قرار التحالف مع أعدائه، و الدخول إلی جانبهم، فی حروبهم ضده.

فائده المنامات:

و قد ذکرت النصوص: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) رأی فی المنام: أنه دخل مکه هو و أصحابه آمنین، محلقین رؤوسهم، مقصرین، و أنه دخل البیت، و أخذ مفتاحه، الخ ..

و قد تحققت رؤیا الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) و لکن فی عام آخر و قد أشار القرآن إلی ذلک حین قال: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْیا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِینَ مُحَلِّقِینَ رُؤُسَکُمْ وَ مُقَصِّرِینَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِکَ فَتْحاً قَرِیباً.

کما أن فی القرآن حدیثا عن الرؤیا و عن تأویلها، فی أکثر من موضع.

و ذلک مثل: ما حکاه سبحانه عن رؤیا إبراهیم علیه و علی نبینا و آله أفضل الصلاه و السلام: أنه یذبح ولده إسماعیل و تأویلها. و رؤیا یوسف أحد عشر کوکبا، و الشمس و القمر و تأویلها.

و من المعلوم: أن رؤیا الأنبیاء (علیهم السلام) هی طرائق الوحی الإلهی إلیهم.

و تحدث القرآن الکریم أیضا: عن رؤیا صاحبی السجن و تأویل یوسف الصدیق (علیه السلام) لها.

و رؤیا عزیز مصر سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یابِساتٍ .. ثم تأویل یوسف لهذه الرؤیا ..

فالرؤيا و تأويلها، و ارتباطها بالواقع الخارجى، أمر ثابت لا مريه فيه، و لا شبهه تعتريه إذا كانت رؤيا من نبى أو وصى، و قد تصدق و قد تكون أضغاث أحلام، إذا كانت من غيره.

نعم .. إن ذلک کله مما لا مجال لدفعه، و لا للنقاش فيه .. و فى النصوص القرآنيه، و النبويه، و کذلک ما روى عن الأئمه الطاهرين (عليهم السلام)، الکثير مما يؤيده و يدل عليه ..

و قد ذکروا: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) کان کثير الرؤيا. و لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (1). و ما ذلک إلا لأن الرؤيا هى مند-

---

1- البحار ج 58 ص 182 و ج 18 ص 195 و 227 و ج 70 ص 103 و مکارم الأخلاق ص 292 و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 42 و النص و الإجتهاد ص 420 و مستدرک سفينه البحار ج 4 ص 21 و أضواء على الصحيحين ص 242 و مسند أحمد ج 6 ص 153 و 232 و عن صحيح البخارى ج 1 ص 3 و ج 6 ص 87 و ج 8 ص 67 و عن صحيح مسلم ج 1 ص 97 و المستدرک للحاکم ج 3 ص 183 و السنن الکبرى للبيهقى ج 9 ص 6 و شرح صحيح مسلم للنووى ج 2 ص 197 و فتح البارى ج 12 ص 318 و الديباج على مسلم ج 1 ص 182 و مسند أبى داود الطيالسى ص 207 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 321 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 314 و راجع کتاب الأوائل لابن أبى حاتم ص 88 و الذريه الطاهره النبويه ص 34 و أسباب نزول الآيات ص 5 و الجامع لأحکام القرآن للقرطبى ج 20 ص 118 و تفسير القرآن العظيم لابن کثير ج 3 ص 25 و ج 4 ص 564 و الدر المنثور ج 6 ص 368 و الثقات ج 1 ص 49 و أسد الغابه ج 1 ص 18 و ج 5 ص 436 و تذکره الحفاظ للذهبى ج 3 ص 1117 و سير أعلام النبلاء ج 17 ص 630 و البدايه و النهايه ج 3 ص 5 و 7 و 9 و 142 و ج 4 ص 258 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 1 ص 476 و ج 2 ق 2 ص 6 و العدد-

طرائق الوحی للأنبیاء (علیهم السلام)، حسبما تقدم.

و الرؤیا هی من وسائل هدایه البشر، و تذکیرهم باللّه، و هی رحمه إلهیه لهم، و لأجل ذلک تجد أنه حتی الذی لا یبالی کثیرا بأمور دینه یحدثک عن أنه رأی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، أو رأی أحد الأئمه الطاهرین (علیهم السلام)، أو رأی الجنه، أو النار، أو غیر ذلک مما من شأنه أن یذکّره باللّه، و بالآخره.

کما أن الکثیر من هؤلاء یتأثرون بما یرونه فیتوب بعضهم إلی اللّه تعالی، و یؤوب إلیه سبحانه، و یعید النظر فی حساباته.

و قد ورد فی الأحادیث الشریفه ما یدل علی ذلک أیضا، فقد روی عن الإمام أبی جعفر (علیه السلام): أن الرؤیا الصالحه من البشارات المقصوده فی قوله تعالی: الَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْری فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا .. (1).

و عن فائده الرؤیا و دورها فی هدایه الناس، و فی تذکیرهم نقول:

روی عن الصادق (علیه السلام) أنه قال: (إذا کان العبد علی معصیه اللّه عز و جل، و أراد اللّه به خیرا، أراه فی منامه رؤیا تروعه، فینزجر بها عن تلک المعصیه، و إن الرؤیه جزؤ من سبعین جزءا من النبوه) (2).ل.

1- البحار ج 58 ص 152 و راجع: مجمع البیان ج 5 ص 120.
2- الإختصاص ص 241 و هناک نصوص مختلفه و متنوعه دلت علی ذلک فراجع: البحار ج 58 ص 167 إلی آخر ذلک الفصل.

لماذا الصدق و الكذب فی الرؤیا؟؟!:

و یدل علی خصوصیه التدبیر الإلهی فیما یتعلق بارتباط الرؤیا بالواقع، و صدقها تاره، و عدم صدقها أخری ما روی عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال للمفضل:

(فکر یا مفضل فی الأحلام، کیف دبر الأمر فیها!! فمزج صادقها بکاذبها؛ فإنها لو کانت کلها تصدق، لکان الناس کلهم أنبیاء ..

و لو کانت کلها تکذب لم یکن فیها منفعه، بل کانت فضلا لا معنی له.

فصارت تصدق أحیانا، فینتفع بها الناس فی مصلحه یهتدی لها، أو مضره یتحذر منها. و تکذب کثیرا، لئلا یعتمد علیها کل الاعتماد) (1).

إذا تم الإیمان رفعت الرؤیا:

و جاء فی الحدیث الذی ذکر قصه الحسن بن عبد اللّه، و أنه اهتدی علی ید أبی الحسن موسی بن جعفر صلوات اللّه و سلامه علیه، قوله: (و کان قبل ذلک یری الرؤیا الحسنه، و تری له، ثم انقطعت عنه الرؤیا. فرأی لیله أبا عبد اللّه (علیه السلام) فیما یری النائم؛ فشکی إلیه انقطاع الرؤیا، فقال: لا تغتم، فإن المؤمن إذا رسخ فی الإیمان رفع عنه الرؤیا) (2).

و هذا یشیر إلی أن الهدایه إذا تمت لم یعد للرؤیا حاجه.5.

1- البحار ج 58 ص 183 و ج 3 ص 85 و توحید المفضل ص 43 و راجع: مستدرک سفینه البحار ج 2 ص 84 و ج 4 ص 19.
2- البحار ج 58 ص 189 و ج 48 ص 53 و بصائر الدرجات ص 275.

و هذا فی غیر ما یراه الأنبیاء (علیهم السلام)، حیث إن رؤیاهم صلوات اللّه و سلامه علیه من طرائق الوحی إلیهم، حسبما أشرنا إلیه.

سبب وضع الرؤیا:

عن الحسن بن عبد الرحمن، عن أبی الحسن (علیه السلام)، قال: إن الأحلام لم تکن فیما مضی من أول الخلق، و إنما حدثت.

فقلت: و ما العله فی ذلک؟!

فقال: إن اللّه عز ذکره بعث رسولا إلی أهل زمانه، فدعاهم إلی عباده اللّه و طاعته.

فقالوا: إن فعلنا کذا، فما لنا؟! فو اللّه، ما أنت بأکثرنا مالا، و لا بأعز عشیره.

فقال: إن أطعتمونی أدخلکم اللّه الجنه، و إن عصیتمونی أدخلکم اللّه النار.

فقالوا: و ما الجنه؟ و ما النار؟!

فوصف لهم ذلک، فقالوا: متی نصیر إلی ذلک؟!

فقال: إذا متم.

فقالوا: لقد رأینا أمواتنا صاروا عظاما و رفاتا ..

فازدادوا له تکذیبا، و به استخفافا.

فأحدث اللّه عز و جل فیهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا، و ما أنکروا من ذلک.

فقال: إن اللّه عز و جل ذکره أراد أن یحتج علیکم بهذا. هکذا تکون

أرواحكم إذا متم، و إن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تبعث الأبدان (1).

و آخر كلمه نقولها هنا هى: أن الكثيرين ممن قد يظن ظان بأنهم قد عاشوا فى بيئه الانحراف، و لم يصل إلى مسامعهم النداء الإلهى، و لم يكن هناک من يذكّرهم باللّه تعالى، و يخوّفهم من عقابه، و يرشدهم إلى جزيل ثوابه، و يعرّفهم على فواضل نعمائه، و بديع صنعه، و باهر آياته و آلائه ..

و يلفت نظرهم إلى ألطافه و رحماته، و نعمه، و بركاته ..

إن هؤلاء لا يمكن الجزم بأن اللّه تعالى لم يرهم فى منامهم، أو فى يقظتهم، ما يرشدهم إليه، و يدلهم عليه .. فإن للّه الحجه البالغه، و البراهين الساطعه، و الآيات البينات، و الدلالات الباهرات ..

رؤيا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هى المحور:

و لسنا بحاجه إلى التأكيد على: أن من المعجزات الكبرى لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هى رؤياه فى مناسبه الحديبيه، التى كانت هى الإطلاقه القويه، و هى العامل الأعمق تأثيرا فى صناعه هذا الحدث الفريد، الذى غيّر وجه التاريخ ..

لقد بدأ النبى (صلى اللّه عليه و آله) كل إنجازه العظيم، و كل عمليه التغيير بهذه الرؤيا، التى أثرت على روحيات أصحابه و معنوياتهم، و نقلتهم إلى أجواء5.

1- البحار ج 58 ص 189 و 190 و ج 6 ص 243 و ج 14 ص 485 و الكافى ج 8 ص 90 و شرح أصول الكافى ج 11 ص 474 و تفسير نور الثقلين ج 2 ص 410 و قصص الأنبياء للجزائرى ص 515.

جديده فيها الكثير من الصور الرائعه، التى باتت تراود خواطرهم، و يحتاج الربط فيما بينها إلى نظام علاقات تتبلور فيه خصائصها، و تنسجم فيه ميزاتها، و تتعانق ملامحها، و تتجاذب أطياف السعاده آفاقها الرحبه ..

و هذه الرؤيا بالذات، و طريقه تداولها، هى التى أربكت حركه النفاق و فضحت المنافقين ..

و وضعت إيمان أهل الإيمان على المحک، فنجح من نجح عن جداره و استحقاق.

و أخفق من أخفق عن تقصير، و عن قله تدبير، و خطل رأى، و خمول ضمير ..

هذا بالإضافه إلى أن هذه الرؤيا قد جرّت أهل الشرک و الكفر إلى مزالق خطيره، لم يحسبوا لها حسابا، و وضعتهم فى مواقع الحيره و التيه، حتى أظهر اللّه الحق، و أهل الحق. و فتح اللّه لنبيه فتحا مبينا، فتح به القلوب، و أزال كل رين و ريب منها و عنها، و كشف عن الأبصار و عن البصائر كل الغشاوات، و بطلت الترهات، و فضحت الأضاليل، و الأباطيل، و أسفر الصبح لذى عينين.

فكانت هذه الرؤيا- المعجزه- هى الحجه البالغه، و البرهان القاطع، و البلسم الشافى، و للّه الحمد ..

إستنفار العرب .. و مراسم السفر:

و عن الحركه العمليه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نقول:

1- إنهم يقولون: قد اغتسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قبل

الشروع فی السفر، و لبس ثوبین، و رکب راحلته من عند باب بیته ..

و لعل هذه التصرفات التی لم تعهد منه فی سائر أسفاره، هی للتأکید علی أن هذا السفر یختلف عن غیره مما سبقه، فهو سفر له حرمته، و له مراسمه الخاصه به، التی تتوافق مع حاله التعظیم و التقدیس لبیت اللّه عز و جل، من حیث إنه یمهد لإطلاله علی واحه من العبادات الروحیه بما یناسبها من حرکات، و تصرفات ..

و قد ظهر من رؤیاه التی أخبر بها أصحابه، و من إعلانه لوجهه سیره، أن الهدف هو أداء مراسم العمره، ما یؤکد هذه الحقیقه، و یزیل أی احتمال فی أن تکون هناک أهداف قتالیه، و عملیات حربیه ..

بل إن قوله فی رؤیاه: إنه یعرّف مع المعرّفین، أی أنه یحضر عرفه، دلیل قاطع علی أن المراد لیس هو العمره، و إنما هو أداء مراسم الحج التی تتضمن الوقوف بعرفات. و لیس فی العمره ذلک.

فإخباره لهم: أنه یرید العمره دلیل علی أن هذا السفر لیس هو التعبیر لتلک الرؤیا التی أخبرهم بها. فما معنی امتناعهم عن الإحلال حینما أمرهم بذلک؟! و ما معنی استدلالهم علیه بتلک الرؤیا التی تضمنت إسقاط دعواهم هذه بصوره دقیقه و صریحه؟!

و قد أکد هذه الأجواء أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أحرم من ذی الحلیفه، و صلی بالمسجد الذی بها رکعتین، و رکب من باب المسجد هناک، و انبعثت به راحلته، و هو مستقبل القبله، و أشعر البدن هناک و هی موجهات إلی القبله، و قلدها، و کذلک فعل المسلمون معه.

فهذه الأجواء کلها تشیر إلی أنه لا یرید حرب أحد، فإن المحرم لا یحارب.

2- و كل ذلک يجعل مشركى مكه أمام خيار صعب، و محرج، فإن البيت للناس كلهم، و هؤلاء القوم قد جاؤوا لزياره بيت ربهم، فكيف يمكن دفعهم عنه، فضلا عن مواجهتهم بالحرب؟! بل كيف يمكن منعهم من تأديه مناسكهم، و لو من دون قتال؟!

إن ذلک سيفضح قريشا بين العرب، و سوف يقلل من مستوى الثقه بها، و سيظهر المسلمين أنهم مظلومون و ممنوعون من أبسط حقوقهم ..

خصوصا، و أن هذا الإجراء قد جاء فى الأشهر الحرم التى يمنع القتال فيها، من كل أحد. و قد كانت قريش بالذات بحاجه إلى هذه الأشهر، من أجل مراجعه علاقاتها مع المحيط الذى تعيش فيه، ثم من أجل تجاراتها فى موسم الحج، و التأكيد على ارتباطاتها، و علاقاتها و تحالفاتها مع القبائل الوافده .. ليكون لها بذلک بعض القوه فى حربها مع محمد (صلى اللّه عليه و آله) الذى لم يزل يسجل عليها النصر تلو النصر، و لم تزل تخسر مواقعها لصالحه، و ينحسر نفوذها عنها ليحتل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مواقع هذا النفوذ، و لكن دون أن تتمكن من انتزاع تلک المواقع منه، لأنه يحتلها بالدين، و بالإيمان، و يكون التزام الناس معه من موقع التقديس له، و الطاعه للّه تعالى، لا لأجل المصالح الفرديه، و الفئويه، أو القبليه، و لا لغير ذلک من غايات دنيويه ..

3- و الأمرّ و الأدهى بالنسبه لقريش: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد جاءها بجموع كثيره من العباد، و من مختلف القبائل، و من كثير من البلاد، ليكونوا شهودا على ما تمارسه من ظلم و اضطهاد ليس ضد النبى (صلى اللّه عليه و آله) و حسب، و إنما ضدهم جميع الذين أتوا معه، لا لذنب أتوه إليها،

بل لمجرد أنهم يقولون: ربنا اللّه ..

عامل النبى صلّى اللّه عليه و آله على المدينه:

و يقولون: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد استعمل على المدينه ابن أم مكتوم.

و قيل: أبا رهم، كلثوم بن الحصين.

و قيل: نميله بن عبد اللّه الليثى ..

و قيل: استعمل ابن أم مكتوم و أبا رهم جميعا، فكان ابن أم مكتوم على الصلاه، و كان أبو رهم حافظا للمدينه (1).

و نقول:

إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد استعمل ابن أم مكتوم على المدينه عده مرات .. مع أن هذا الرجل كان ضريرا، فاختيار هذا الرجل الضرير بالذات يشير إلى أن كونه أعمى لا يسلب منه الأهليه للتصدى للأمور حتى الحساسه منها، إذا كان فقد بصره، أو ابتلاؤه بأيه عاهه أخرى، لا يمنع من قيامه بما يوكل إليه من مهام. فما معنى تعطيل طاقاته، و هدر قدراته لأجلها؟!

و ربما يزيد هذا الأمر وضوحا إذا كان قد تصدى ابن أم مكتوم للصلاه و غيرها من شؤون الناس .. و أوكل أمر الحراسه و الحفظ إلى أبى رهم، فإنه لا يشترط سلامه النظر فى إمامه الجماعه، و لا فى تقريب وجهات النظر لحل3.

1- راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 9 و السيره النبويه لدحلان (ط سنه 1415 ه) ج 1 ص 181 و شرح المواهب اللدنيه للزرقانى ج 3 ص 172 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 33.

خلافات الناس ..

أسلم و غفار، و سائر العرب:

و الذی نلاحظه هنا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد استنفر العرب، و الأعراب حول المدینه بما فیهم أسلم و غفار، و جهینه، و مزینه ..

و قد حدثنا عکرمه فی تفسیر قوله تعالی: وَ مِمَّنْ حَوْلَکُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ .. (1).

أن المراد بهذه الآیه: جهینه، و أشجع، و أسلم، و غفار (2) و زاد بعض المفسرین مزینه (3).8.

1- الآیه 101 من سوره التوبه.
2- الدر المنثور ج 3 ص 271 عن ابن المنذر و تفسیر النسفی ج 2 ص 142 و السراج المنیر للشربینی ج 1 ص 646 و البحار ج 22 ص 41 و تفسیر مجمع البیان ج 5 ص 114 و تفسیر جوامع الجامع ج 2 ص 91 و تفسیر الثعالبی ج 3 ص 208 و فتح القدیر ج 2 ص 401، و ورد ذلک أیضا فی: أسباب النزول للواقدی ص 174 و الجامع لأحکام القرآن للقرطبی ج 8 ص 240، و قال المعتزلی فی شرح النهج: و لیست هذه الآیه عامه فی کل الأعراب بل خاصه ببعضهم و هم جهینه و أسلم، و أشجع، و غفار، فراجع: ج 13 ص 181.
3- جوامع الجامع ج 1 ص 627 و الجامع لأحکام القرآن ج 8 ص 240 و تفسیر أبی السعود ج 4 ص 97 و روح البیان ج 3 ص 493 و مجمع البیان ج 5 ص 66 و راجع: فتح القدیر ج 2 ص 398 و 401 عن عکرمه، بإضافه مزینه، و البحار ج 22 ص 41 و تفسیر مجمع البیان ج 5 ص 114 و أسباب نزول الآیات ص 174 و الدر المنثور ج 3 ص 271 و تفسیر الثعالبی ج 3 ص 208.

و هذا هو ما قاله المفسرون أيضا، و زاد الثعالبى على هؤلاء: مزينه، و عصيه، و لحيان (1)

فإذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد دعا هذه القبائل و غيرها للمشاركه معه فى سفره ذاک، فإن ذلک يستبطن رفع مستوى الأمن لسكان المدينه فى مده غيابه (صلى اللّه عليه و آله)، لأنه إذا كان لكل تلک القبائل جماعات تحت سمع و بصر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فإن الذين يبقون فى ديارهم منهم سوف لن يجرؤوا على مهاجمه المدينه، و هم يعلمون أن طائفه من قبيلتهم عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و تحرک المنافقين فى غيابه (صلى اللّه عليه و آله) ليس بالأمر المستبعد ففى غزوه تبوک اضطر النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى أن يبقى عليا (عليه السلام) مكانه فى المدينه خوفا من أن يتحرک المنافقون فى غيبته حركه خطيره على مستوى الأمن العام للمدينه و أهلها ..

هذا كله .. لو فرضنا: أن الذين رافقوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى عمرته تلک هم خصوص الخلّص من مؤمنى تلک القبائل، أو خليطا منهم و من المنافقين، أما إذا كان المنافقون هم الذين رافقوه (صلى اللّه عليه و آله) لأسباب، و مطامع معينه، فإن احتمالات مهاجمه الباقين الذين هم فى الأكثر مؤمنون ستصبح ضئيله، و بلا مبرر.

و النتيجه- على كلا الحالين- هى: أن هذا التدبير النبوى كان على درجه كبيره من الأهميه، و الواقعيه.0.

1- تفسير الثعالبى ج 2 ص 150.

و سيكون من يتولى المدينه فى غياب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) غير مطالب بكثير من الجهد فى الحراسه و الحفظ ..

لماذا تثاقل الأعراب عنه؟!

ذكرت النصوص: أن جماعات من الأعراب الذين كانوا حول المدينه، و كذلك غيرهم قد تثاقلوا عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، خشيه من قريش أن يحاربوه، أو أن يصدوه عن البيت، كما صنعوا، و قالوا: أنذهب إلى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينه، و قتلوا أصحابه، فنقاتلهم؟!

و اعتلّوا بالشغل بأهاليهم و أموالهم، و أنه ليس لهم من يقوم بذلك فأنزل اللّه تعالى تكذيبهم فى اعتذارهم هذا، فقال: يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ .. (1).

و ذكرت النصوص أيضا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) سلك طريق البيداء، و مر فيما بين مكه و المدينه بالأعراب من بنى بكر، و مزينه، و جهينه، فاستنفرهم فتشاغلوا بأموالهم، و قالوا فيما بينهم: يريد محمد يغزو بنا إلى قوم معدين فى الكراع و السلاح، و إنما محمد، و أصحابه أكله جزور، لن يرجع محمد و أصحابه من سفرهم هذا أبدا، قوم لا سلاح معهم و لا عدد (2).

و نقول:

1- ظاهر كلامهم هذا: أنهم أناس يحبون أنفسهم، و يهتمون بمصالحهم، و أن إيمانهم ليس خالصا، و لا صحيحا، لأنهم قد اتخذوا2.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 9.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 34 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 602.

قرارهم بعدم المسير مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حین وجدوا أن أعداءه أقویاء إلی حد أنهم غزوه فی عقر داره، و قتلوا أصحابه ..

2- إنهم قد صرحوا: بأن دعوه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لهم للعمره هی فی واقعها دعوه لهم للمشارکه فی الحرب.

3- إنهم یریدون الإبقاء علی خط الرجعه إلی التفاهم مع قریش، إن کانت هی المنتصره فی نهایه الأمر، مع کونهم آمنین جانب المسلمین لإظهارهم: أنهم علی دینهم.

و لکن اللّه قد فضحهم بما أنزل من آیات تحکی قصتهم، و تشیر إلی مکرهم هذا، و تدل علیه، لکی لا یظنوا أنهم قد خدعوا اللّه و رسوله، و لکنه سبحانه لم یوصل الأمور إلی نقطه اللاعوده، بل هو یبقی الباب مفتوحا، و المجال مفسوحا أمامهم لإعاده النظر فی حساباتهم، مقدما لهم: بإخباراته الغیبیه عما أسروه من تزویر و تدبیر ماکر، الدلیل المقنع لهم: بأن هذا النبی (صلی اللّه علیه و آله)، متصل باللّه العالم بالسرائر، و الواقف علی ما فی القلوب و الضمائر، لیسهل علیهم أمر التوبه و العوده إلیه.

عدد المسلمین:

قالوا: (و کان الناس سبع مائه رجل.

و قیل: کانوا أربع عشره مائه.

و قیل: خمس عشره.

و قیل: ست عشره.

و قیل: کانوا ألفا و ثلاث مائه.

و قيل: و أربع مائه.

و قيل: و خمس مائه و خمسه و عشرين.

و قيل: ألف و سبع مائه.

و قيل: ألف و ثمان مائه) (1).8-

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 9 و تاريخ الخميس ج 2 ص 16 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 322 و المواهب اللدنيه (ط دار الكتب العلميه) ج 1 ص 266 و 267 و جوامع السيره النبويه لابن حزم ص 164 و المنتظم ج 3 ص 167 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) (ط سنه 1410 ه) ص 364 و 365 و 366 و البدء و التاريخ ج 4 ص 224 و عيون الأثر (ط سنه 1406 ه) ج 2 ص 114 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 321 و 313 و السيره النبويه لدحلان (ط سنه 1415 ه) ج 1 ص 481 و 482 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 171 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 169- 173 و سبل الهدى و الرشاد ج 9 ص 70 و 71 و مسألتان فى النص على على ج 2 ص 24 و مسند أحمد ج 4 ص 323 و 48 و 290 و صحيح ابن خزيمه ج 4 ص 290 و 291 و ج 1 ص 66 و شرح معانى الآثار ج 4 ص 174 و نصب الرايه ج 4 ص 238 و جامع البيان ج 26 ص 124 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 4 ص 197 و 200 و 209 و الدر المنثور ج 6 ص 244 و 68 و البدايه و النهايه ج 4 ص 188 و 194 و 195 و عن صحيح البخارى ج 4 ص 170 و ج 5 ص 62 و 63 و عن صحيح مسلم ج 5 ص 190 و ج 6 ص 25 و السنن الكبرى للبيهقى ج 5 ص 235 و ج 6 ص 326 و ج 9 ص 223 و عن فتح البارى ج 6 ص 467 و ج 7 ص 339 و ج 10 ص 88 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 127 و ج 14 ص 479 و دلائل النبوه ص 120 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 179 و ج 2 ص 99 و 100 و تاريخ خليفه بن خياط ص 48-

و نقول:

قد يقال: إن الروايه القائله: إن الذين ساروا معه كانوا سبع مائه رجل هى الراجحه، فقد روى البخارى، و غيره عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قوله: (اكتبوا لى كل من تلفظ بالإسلام، فكتب حذيفه بن اليمان له ألفا و خمس مائه رجل).

و فى روايه: و نحن ما بين الست مائه إلى السبع مائه.

قال الدمامينى: قيل: كان هذا عام الحديبيه (1).

و إنما رجحنا روايه السبع مائه، لأن المفروض: أن كثيرا من العرب و كذلک غيرهم من الأعراب حول المدينه، و كذلک جماعات من أهل المدينه أنفسهم، لم يسيروا معه (صلى اللّه عليه و آله) فى وجهه ذاک، حسبما قدمناه ..

مع ملاحظه: أن كثيرين ممن أسلموا كانوا فى أرض الحبشه آنئذ.

و مع ضروره إبقاء جماعه قادره على حراسه المدينه فى غيابه (صلى اللّه عليه و آله).9.

1- راجع: صحيح البخارى ج 2 ص 116 و صحيح مسلم ج 1 ص 91 و مسند أحمد ج 5 ص 384 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1337 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 251 و 252 و ج 1 ص 220- 223 و عن المصنف لابن أبى شيبه ج 15 ص 69.

ص: 79

هل المدينه فى خطر؟!

و يبقى أمام الباحث أمر هام، و هو أنه لابد من اكتشاف العناصر الأساسيه، التى من خلالها انطلق القرار النبوى بدعوه الناس إلى العمره، و الخروج من المدينه بمعظم العناصر القادره على الحمايه، و المؤثره فى حسابات القوه و الضعف، حتى خلت المدينه أمام الطامعين و الطامحين، و الحاقدين و الموتورين من قبائل الشرک فى المنطقه ..

و خلت أيضا أمام يهود خيبر، الذين يبعدون عنها حوالى ثمانين ميلا، و الذين قد يقال: إنهم كانوا قادرين على دخول الحرب مع الإسلام و المسلمين بعشره ألاف مقاتل، إن لم يكن من اليهود وحدهم، فمنهم و من القبائل المتحالفه معهم فى المنطقه ..

و اليهود من أشد الناس حقدا على الإسلام، بعد أن رأوا ما حل بإخوانهم بنى النضير، و قينقاع، و قريظه ..

فكيف أمكن أن يتخذ النبى (صلى اللّه عليه و آله) قراره بالخروج بأكثر المقاتلين إلى هذه المسافات البعيده، و ترک المدينه فى هذا المحيط المعادى، الذى يتربص بها الدوائر؟!.

و لعلنا نستطيع أن نجيب على هذه التساؤلات على النحو التالى:

1- أما بالنسبه لقبائل العرب المحيطه بالمدينه فإن السرايا الكثيره التى حركها الرسول (صلى اللّه عليه و آله) قبل الحديبيه مباشره لضرب القوه المعاديه، و المتآمره و المتربصه بهم شرا قد حسمت الأمور مع هؤلاء الأعداء، بصوره تامه .. و قد أضعفتهم و شلت حركتهم من الناحيه الاقتصاديه ..

و أرعبتهم، و أسقطت كبرياءهم، و جعلتهم يعيشون حاله اليأس من إمكانيه

النيل من هذه القوه الضاربه، و أدركوا أن التمادى فى التصدى لها لا يفيد إلا تعريض أنفسهم للمزيد من النكبات، و البلايا، و الرزايا.

فالرأى الصواب هو: أن ينأوا بأنفسهم عن التعرض لها، حتى حينما تخلو ربوعها من المقاتلين، لأن مهاجمتهم للمدينه سوف يصاحبه تعرضهم لمن تبقّى فيها من النساء، و الأطفال، و سبيهم، و استلاب أموالهم، ذلا شاملا، و عقابا صارما و حازما، لا طاقه لأحد به، فقد عوّدهم المسلمون:

أنهم يلاحقون من يعتدى عليهم، و ينزلون به القصاص العادل و لا يستطيع أن يفوتهم فى كل زمان و مكان ..

2- و أما بالنسبه لليهود فالأمر لا يختلف عن ذلک أيضا ..

و قد جرب إخوانهم من بنى النضير، و قينقاع و قريظه، نقض العهود، و التحدى و التعدى على المسلمين، فنزلت بهم الضربات الماحقه و الساحقه، فى مرات ثلاث، كانت كل واحده أقسى عليهم من سابقتها ..

و لا يزال يهود خيبر، و تيماء و غيرهما يعيشون الهلع من أن يكون مصيرهم هو نفس مصير أولئک .. و قد نبههم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بصوره قويه و حاسمه حينما جربوا القيام بخطوات عمليه تؤدى إلى توجيه ضرباتهم للمسلمين، فقد أنزل المسلمون ضربتهم القاضيه بزعمائهم الغادرين، الذين تصدوا لهذا الأمر .. فقتلوا أبا رافع سلام بن أبى الحقيق و أسير بن رزام .. و غيرهما ممن تقدم الحديث عنهم فى هذا الكتاب.

3- و من جهه أخرى، فإن التجارب قد أظهرت لهم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يترک لهم و لا لغيرهم ثغره ينفذون منها تمكنهم من الإيقاع بالمسلمين بسهوله، بل هو يراعى أدق التفاصيل، و لا يهمل الاحتياط لأى طارئ.

و أظهرت الوقائع فى بدر، و أحد، و الخندق و غيرها: كيف تحول ما كان يراه الناس يتعرض للبوار و الدمار، و الفناء المحتم، إلى نصر مؤزر، و فتح مبين، و مدهش.

من أجل ذلک کله: فإنهم كانوا غير مستعدين للمغامره معه، بل لابد من حساب الأمور بدقه، و لا بد لهم من رصد خططه (صلى اللّه عليه و آله)، حتى لا تنتهى الأمور إلى مفاجآت ماحقه لهم ..

كما أن عليهم أن يعرفوا: أن القوه الضاربه و المقاتله لم يصبها أى وهن أو ضعف، بل هى لو عرفت أنهم قد اعتدوا على من خلّفوه من نساء و أطفال و أموال، سوف يتضاعف حماسها، و اندفاعها لإنزال أقسى الضربات بهم.

و قد رأى الناس من هذا الجيش العجائب فى الحالات العاديه، فكيف إذا تطورت الأمور على هذا النحو المثير.

و ذلک کله يوضح: أن لا خوف على المدينه من أحد فى غياب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حتى لو استمرت غيبته شهرا، أو شهرين أو أكثر .. فلا معنى لخوف الأعراب، و لا معنى لأن يتصوروا أن محمدا و أصحابه اكله جزور لقريش، و أنه لن يرجع هو و أصحابه من سفره هذا إلا إذا كان ثمه من يبث الشائعات، و يخوف الناس لمصلحه قريش.

حضور المنافقين فى الحديبيه:

لقد اعتقد كثير من المنافقين: أنه ليس من مصلحتهم أن يكونوا مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى سفره ذاک، لأن ظواهر الأمور تشير إلى: أن مشركى مكه لن يمكّنوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من دخول مكه،

و أن الحرب واقعه بينهم و بين المسلمين لا محاله .. و ليس من مصلحتهم تعريض أنفسهم لأخطار جسام فى مناطق بعيده عن بلادهم؛ لأن الدائره ستدور على المسلمين؛ من أجل ذلک صاروا يتعللون بأعذار واهيه تتعلق بأشغالهم، و بأموالهم، و أهليهم ..

و لکن بعضهم قد خرج مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى ذلک السفر ربما اعتمادا على علاقاته بمشرکى مکه، و إحساسه بالأمن من جهتهم، لو أنهم انتصروا فى الحرب .. مع شعوره بضروره الحضور؛ لأن زعامته و موقعه لا يسمح له بالتخلف، و يجعله محرجا أمام أقرانه، و أمام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و ربما لغير ذلک من أسباب ..

هذا هو سلاحهم:

قالوا: (و لم يکن مع المسلمين سلاح إلا السيوف فى القرب. و السيوف هى سلاح المسافر، و قال عمر بن الخطاب:

أتخشى يا رسول اللّه من أبى سفيان، و أصحابه، و لم تأخذ للحرب عدتها؟!

فقال (صلى اللّه عليه و آله): لست أحب أن أحمل السلاح معتمرا.

و کان معهم مائتا فرس) (1).

و ذکر الطبرى: أنه لما خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالهدى، و انتهى إلى ذى الحليفه (و هو موضع مسجد الشجره، حيث يحرم أهل المدينه، يقع على بعد سته أميال من مسجد النبى (صلى اللّه عليه و آله)) قال3.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 9 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 173.

عمر: يا رسول اللّه، تدخل على قوم هم لک حرب بغير سلاح و لا كراع؟

قال: فبعث النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى المدينه، فلم يدع فيها كراعا و لا سلاحا إلا حمله، فلما دنا من مكه منعوه أن يدخل الخ ..

ثم ذكر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) أرسل خالدا إلى عكرمه، فحاربه فهزمه حتى أدخله حيطان مكه (1).

و نقول:

أولا: إن هذا الكلام غير صحيح لأن خالدا لم يكن قد أسلم حينئذ بل كان لا يزال على الكفر، و يحارب مع أهل مكه، و يقود جيوشهم. و كان طليعه خيل المشركين و معه مائتا فارس فى الحديبيه (2).

ثانيا: قد صرحت النصوص: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يأخذ معه من السلاح إلا السيوف فى القرب (3)، و هى سلاح المسافر.

و نقول أيضا:

1- إن من الواضح: أن ما يقوله و ما يفعله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حجه و دليل، على الأحكام، و على السياسات، و على الاعتقادات، و على المفاهيم، و على كل ما يمكن استفادته منه بطرق الاستفاده و الدلاله التى يرضاها العقلاء بما هم عقلاء. و لم تزل البيانات الإلهيه و النبويه تتواليه.

1- تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 272.
2- الإصابه ج 1 ص 417 و صحيح البخارى و جميع المصادر التى ذكرناها فى الهامش الأول فى هذا الفصل، و كذلک المصادر التى ستأتى فى الفصول التاليه. و راجع أيضا: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 36.
3- راجع جميع المصادر التى تحدثت عن غزوه الحديبيه.

و تؤكد قولا و عملا على أن للبيت حرمته، و لمكه شرفها، و مكانتها.

و هذا بالذات هو ما يفسر لنا قوله (صلى اللّه عليه و آله) لعمر بن الخطاب، حين سأله عن ذلک: لست أحب أن أحمل السلاح معتمرا ..

و لو أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أبدى أى تسامح فى هذا الأمر- و لو بإظهار السلاح فى حال اعتماره- لوجدت الظلمه و الطغاه لا يكتفون بحمل السلاح، و إخافه الناس، و إنما هم يسفكون الدم الحرام، و يستحلون البلد الحرام فى الشهر الحرام!! بسبب، و بدون سبب!!

2- إن اللافت هنا: هو مطالبه عمر بن الخطاب نبى الرحمه بإشهار سلاحه، و الاستعداد للحرب، فى حين أننا لم نجد غيره قد طالب بمثل ذلک .. فهل خاف عمر على نفسه من بطش قريش؟!

أم أنه رأى أن عدم الاستعداد للحرب يخالف طريقه العقلاء الذين يحتاطون فى مثل هذه المواقف؟! فأراد أن يعرف إن كان للنبى (صلى اللّه عليه و آله) تدبير آخر، يستطيع أن يدفع به غائله قريش، و يحبط مساعيها العدوانيه؟!

أو أنه اعتقد: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان غافلا حقا عن هذا الأمر الخطير، فأراد أن يوجه نظره إليه، ليعدّ للحرب عدتها قبل فوات الأوان، و قبل أن يحدث ما لم يكن بالحسبان؟!

أو أنه احتمل أن فى الأمر سرا، و أن الأمور تسير وفق تدبير غيبى و معجزه إلهيه .. فأراد أن يطمئن إلى واقعيه هذا الاحتمال ..

إننا نترک تحديد ما هو الراجح من هذه الاحتمالات إلى القارئ الكريم الذى سوف يختار ما يتوافق مع ما عرفه فى هذا الرجل من خصائص، و من

طبائع، و سمات.

عين لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و قالوا: إنه (صلى اللّه عليه و آله) بعث من ذى الحليفه عينا له من خزاعه، يقال له: بسر بن سفين، يخبره عن قريش (1) و جعل عباد بن بشر فى عشرين راكبا من المهاجرين و الأنصار طليعه له (2).

و قد كان بسر بن سفين حديث عهد بالإسلام؛ لأنه أسلم فى شوال، فاختاره عينا لأن من رآه لا يظن به ذلک لعدم اشتهار إسلامه.

و الاستفاده من العيون و الأرصاد لمعرفه تحركات العدو، و التحرز من أن يأخذهم العدو على حين غفله هو مقتضى الحزم و الحكمه.

و أما جعل الطلائع، فللأمن من غائله الكمائن، من أجل أن تشاغل الطليعه ذلک الكمين، حتى إذا بلغ الخبر الجيش، فإنه يتأهب لمعالجه الموقف، بالقوه اللازمه، و الخطه المناسبه ..

نبع الماء من بين أصابعه صلّى اللّه عليه و آله:

و فى بعض المحال أقبلوا نحو رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و كان4.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 16 و المواهب اللدنيه (ط دار الكتب العلميه) ج 1 ص 267 و تاريخ الإسلام للذهبى ص 366 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 482 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 174 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 34.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 16 و المنتظم ج 3 ص 267 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 34.

بين يديه ركوه يتوضأ منها، فقال: ما لكم؟!

قالوا: يا رسول اللّه، ليس عندنا ماء نشربه، و لا ماء نتوضأ منه إلا ما فى ركوتک.

فوضع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يده فى الركوه. فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفه أمثال العيون (1).

قال جابر: فشربنا، و توضأنا، و لو كنا مائه ألف لكفانا، كنا خمس عشره مائه (2).

و قالوا: (و إنما لم يخرجه (صلى اللّه عليه و آله) بغير ملابسه ماء فى إناء، تأدبا مع اللّه تعالى؛ لأنه المنفرد بابتداع المعدومات من غير أصل) (3).

و نقول:

إن إظهار الكرامه الإلهيه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ليس أمرا عشوائيا، بحيث يكون بمناسبه و بلا مناسبه .. بل هو أمر هادف، يراد منه أيضا الربط على القلوب، و صيانه الإيمان من التعرض للاهتزاز فى مواجهه التحديات الكبرى، و الكوارث و الأزمات الحاده، التى تتمخض عن نكبات تزعزع و تزلزل، و تبعث اليأس و الهزيمه فى النفوس.

ثم يراد منه أيضا: إزاله الشبهه، فى حين تحجز المحاذير المختلفه عن التصريح ببعض الحيثيات و الغايات لبعض المواقف، بسبب حساسيه0.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 9 و عيون الأثر (ط سنه 1406 ه) ج 2 ص 114.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 10 و عيون الأثر ج 2 ص 114.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 10.

الظرف تاره، و لتلافى سوء استفاده الأعداء من ذلک أخرى، و ربما يكون ذلک بسبب عدم توفر المستوى المطلوب من الوعى، و عدم توفر حسن تقدير الأمور، و العجز عن التدقيق فى مناشئها و فى غاياتها، و إدراک ذلک و توظيفه فى حركه الواقع بصوره سليمه و قويمه ..

فلا يبقى ثمه من وسيله تحفظ للمؤمنين إيمانهم، حين تختلط عليهم الأمور سوى أن يتلمسوا بوجدانهم، و يشعروا بكل وجودهم، و أن يحسوا بكل قواهم الباطنيه، و يشاهدوا بأم أعينهم حقيقه اللطف الإلهى، و الكرامه الربانيه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ليكون هذا الارتباط بالغيب عن طريق الحواس الظاهريه هو الضمانه لحفظ التوازن فى الباطن .. بعد أن عجزت عقولهم عن الإمساک بأسباب هذا التوازن، بسبب فقدها لبعض ما يفيدها فى ذلک ..

و قد كانت الأمور فى غزوه الحديبيه- بما تفرضه الخصوصيات و الأحوال- تتجه نحو اتخاذ قرار يصعب فهمه على الكثيرين، و يصعب أيضا توضيح مناشئه و غاياته .. و نتائجه. كما أن أصحاب الأهواء و الأغراض الدنيئه، و خصوصا من أهل النفاق، قد يجدونها فرصه سانحه لإشاعه شبهاتهم، و نشر أباطيلهم، بنحو يصعب رتق الفتق الذى قد يتمكنون من إحداثه، بسبب استغلالهم السى ء لظرف صعب و دقيق.

و قد أظهرت الوقائع: أنه حتى الذين يزعمون أنهم فى مواقع القرب من موقع القرار قد أعلنوا تشكيكا خطيرا، حين كان الرسول (صلى اللّه عليه و آله) يكتب الكتاب فى الحديبيه حسبما سيأتى توضيحه .. فكانت هناک سياسات إلهيه دقيقه تقضى بحفظ وحده الناس، و ترسيخ إيمانهم، و تقويه

يقينهم، و قد بدأت بإخبار الناس بأمر الرؤيا التى رآها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيما يرتبط بدخوله مع أصحابه مكه على النحو الذى وصفه لهم.

و لكن كانت هناک أمور أيضا لابد من إبقائها على حاله من الغموض، ليمكن الوصول إلى أفضل النتائج، و حفظ مستوى الاندفاع لدى أصحابه (صلى اللّه عليه و آله) و من جاء معه، و إثاره أجواء تتسم بالقوه و التفاؤل فيما بينهم، و كذلک إثاره أجواء صعبه، و حساسه لدى مشركى قريش، تختلط فيها الحيره بالدهشه، مع إثاره جو من الإبهام و الغموض، الذى لا يسمح لقريش بالكثير من المناوره و الحركه ..

و من هذه الأمور: أن لا يخبرهم فى بدايه الأمر بأن الذى رآه سوف لا يتحقق فى مسيره ذاک، بل هو سيتحقق فى وقت لا حق ..

و طبيعى أن يكون لظهور هذا التأجيل فى تحقق الرؤيا لأصحابه وقعا غير عادى، قد لا يمكنهم معه حفظ ذلک المستوى من الصفاء و الاندفاع، و الحيويه، و السكينه و الطمأنينه .. التى تمكنهم من متابعه الموقف بقوه و فاعليه. مع ملاحظه: أنه لا توجد أيه مصلحه فى كشف كل الحقيقه لهم، بل قد يكون ضرر ذلک عظيما و جسيما.

فكان لا بد من تدخل الغيب الإلهى، و السعى إلى تجسيده لهم، لكى يتلمسوه و يحسوا به بوجدانهم، و مشاعرهم، و بكل كيانهم و وجودهم، ليكون هو الحافظ و الحامى لهم، من تسويلات نفوسهم، و من وسوسات الشياطين، و من كيد المنافقين.

فكان نبع الماء من بين أصابعه الشريفه هو أحد مفردات ربطهم بذلک الغيب كما هو ظاهر.

لا أقبل هديه مشرک:

و ذکروا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قدم الهدی. و سار، فلقی فی طریقه طائفه من بنی نهد، فدعاهم إلی الإسلام، فأبوا. و أهدوا له لبنا من نعمهم.

فقال: لا أقبل هدیه مشرک.

فابتاعه المسلمون منهم (1).

و نقول:

قد تقدمت الإشاره: إلی هذا الأمر فی الفصل الذی تحدثنا فیه عن أبی طالب رضوان اللّه تعالی علیه ..

و نعود فنذکر القارئ هنا: بأنه (صلی اللّه علیه و آله) قد عاش فی کنف عبد المطلب أولا، ثم فی کنف أبی طالب، و قد کان لهما الأیادی البیضاء علیه (صلی اللّه علیه و آله) .. فلولا أنهما کانا علی رأس أهل الإیمان فی زمانهما لم یجعل اللّه تعالی لهما نعمه عند النبی (صلی اللّه علیه و آله)، تستحق الجزاء منه (صلی اللّه علیه و آله).

و الذی یثیر العجب هنا: أنه رغم کون أبی بکر مسلما، و رغم کون النبی (صلی اللّه علیه و آله) یقبل الهدیه من المسلم، فإنه لم یقبل الناقه من أبی بکر فی لیله الهجره إلا بالثمن، مع أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان بأمس الحاجه إلیها، لیتمکن من النجاه علیها من کید قریش.

فهل کان (صلی اللّه علیه و آله) یخشی من أن یمنّ علیه أبو بکر بهذا العطاء؟!..4.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 34.

أم أنه قد أشفق على أبى بكر أن يرزأه شيئا من ماله؟!..

أم أنه وجد فى هذا المال شبهه، فأراد أن يتحرز من الارتطام بها؟!

أم أن للقضيه منحى آخر، لا بد من صرف النظر عن إظهاره، و التدقيق فى البحث عنه؟!..

لا ندرى، غير أننا نقول:

إننا لسنا بحاجه إلى أن ننتظر المزيد من الدلالات و الإشارات إلى واقع الأمر لكى ندرى!!

هل يجوز أكل لحم الضب؟!:

و حين التقى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ببنى نهد، ابتاع المسلمون- كما زعموا- منهم ثلاثه أضبه، فأكل منها قوم قبل أن يحرموا، و أما المحرمون، فسألوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عنها، فقال: (كلوا، فكل صيد البر لكم حلال فى الإحرام، تأكلونه، إلا ما صدتم، أو صيد لكم) (1).

و نقول:

أولا: إن الروايه قد صرحت: بأنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أباح لهم أن يأكلوا ما سألوه عنه، معللا ذلك بأن أكل صيد البر حلال فى الإحرام، إلا ما صادوه أو صيد لهم ..

و لكن يجب أن يكون مفهوما: أن فى الروايه درجه من الإبهام، إذ ليس فيها تصريح بما أباح لهم أكله .. بل جاء الجواب فى كلامه (صلى اللّه عليه4.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 34.

و آله) تابعا للسؤال، و لم يذكر فى الروايه أيه صيغه للسؤال المطروح.

فإن كانوا قد قالوا له: هل يجوز لنا أن نأكل الضب و نحن محرمون؟

فإن الجواب يكون هو أن أكل الضب مباح حال الإحرام ..

و إن كانوا قد قالوا: هل يجوز لنا أكل الصيد حال الإحرام؟ فالجواب يكون بإباحه ذلک لهم.

و المناسب لطبيعه الحال هو السؤال الثانى؛ لأنهم إنما يشكّون فى جواز أكل الصيد حال الإحرام، سواء أكان ضبا أم غيره، فليس لخصوصيه كونه ضبا أيه مدخليه فى شكهم هذا، بل الإحرام هو السبب فى شكهم بجواز أكل ما يصطاد لهم. و لأجل ذلک جاء الجواب موافقا لهذه الحقيقه، حيث قال: كل صيد البر لكم حلال فى الإحرام، إلا ما صدتم أو صيد لكم ..

و يشهد لذلک قوله: (كل صيد البر لكم حلال) فإن المقصود حليه الصيد الذى يكون جامعا لشرائط الحليه فى نفسه، إذ لا إشكال فى عدم حليه أكل لحم الخنزير، حتى لو اصطاده المحلون منهم.

ثانيا: روى مسلم، عن ابن عباس، قال: أهدت خالتى أم حفيد إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) سمنا، و أقطا، و أضبا، فأكل من السمن و الأقط، و ترک الضب تقذرا الخ .. (1).

فإذا كانت قذاره الضب إلى هذا الحد، فإن ذلک يجعله من الخبائث التى لا يجوز أكلها ..7.

1- صحيح مسلم ج 6 ص 69 و راجع: سنن ابن ماجه (مطبوع بحاشيه السندى) ج 2 ص 296 و 297 و راجع: صحيح البخارى (ط المكتبه الثقافيه) ج 9 ص 197.

خصوصا إذا علمنا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) حین أخبر بأن ما یهم بمدّ یده إلیه، هو ضب؛ رفع یده، و لم یأکل.

و قد زعموا: أنه سئل عن ذلک، فقال: لم یکن بأرض قومی، فأجدنی أعافه (1).

و لأجل ذلک قالوا: إن من یقول بحرمته یقول: کان هذا (یعنی عدم التحریم) قبل نزول قوله تعالی: .. وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ .. و الضب من جملته، لأنه (صلی اللّه علیه و آله) کان یستقذره (2).

ثالثا: قد رووا أیضا عن جابر، قال: أتی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بضب، فأبی أن یأکل منه، و قال: لا أدری، لعله من القرون التی مسخت (3).

و عن أبی سعید الخدری، قال: قال رجل: یا رسول اللّه، إنا بأرض مضبه، فما تأمرنا؟ أو فما تفتینا؟

قال (صلی اللّه علیه و آله): ذکر لی: أن أمّه من بنی إسرائیل مسخت.

فلم یأمر، و لم ینه.

قال أبو سعید: فلما کان بعد ذلک قال عمر: إن اللّه عز و جل لینفع به غیر واحد، و إنه لطعام عامه هذه الرعاء، و لو کان عندی لطعمته، إنما عافه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (4).7.

1- راجع: صحیح مسلم ج 6 ص 68 و سنن الدارمی ج 2 ص 128 و عن البخاری (ط المکتبه الثقافیه) ج 7 ص 176 و ص 129، کتاب الصید و الذبائح باب 33 و الموطأ کتاب الإستئذان، و أحمد فی مسنده، و النسائی، و أبی داود.
2- حاشیه السندی علی سنن ابن ماجه ج 2 ص 297.
3- صحیح مسلم ج 6 ص 70 و راجع: سنن ابن ماجه (بحاشیه السندی) ج 2 ص 296.
4- صحیح مسلم ج 6 ص 70 و راجع: سنن ابن ماجه (بحاشیه السندی) ج 2 ص 297.

و سأل عنه أعرابى النبى (صلى اللّه عليه و آله) مرتين، فلم يجبه، و أجابه فى الثالثه، فقال: يا أعرابى، إن اللّه لعن، أو غضب على سبط من بنى إسرائيل، فمسخهم دواب، يدبون فى الأرض، فلا أدرى لعل هذا منها، فلست آكلها، و لا أنهى عنها (1).

و عن ثابت بن وديعه، قال: أتى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بضب، فقال: أمه مسخت (2).

و فى توضيح ذلك نقول:

ألف: إنه يستوقفنا هنا زعمهم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال: لا أدرى، لعله من القرون التى مسخت .. فإننا لا نشك فى كونه كلاما محرفا؛ لأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) معصوم عن النسيان، و عن القول بغير علم .. و لم يكن اللّه تعالى ليحجب عن نبيه علما ينفعه، أو تحتاج الأمه إلى معرفه حكمه، فلا معنى لما يذكرونه من إحجامه (صلى اللّه عليه و آله) عن الأمر و النهى، استنادا إلى عدم معرفته بالحقيقه. و لا معنى لاعترافه بالجهل فى أمر يحتاج الناس إلى معرفه حكمه، و تحديد الموقف منه.

ب: إننا نستطيع أن نقول: إن المسوخ، و إن كانت لا تعيش أكثر من ثلاثه أيام، بعد مسخها، و لكن المهم هو أن تلك المخلوقات التى مسخت على صورتها، يراعى فى أحكامها هذه الحقيقه، و من ذلك عدم جواز أكلها.

ج: و عن المسخ على صوره الضب نقول: روى عن النبى (صلى اللّهى.

1- صحيح مسلم ج 6 ص 70.
2- سنن الدارمى ج 2 ص 27 و فى هامشه عن أبى داود، و النسائى، و أحمد، و البيهقى.

علیه و آله): أن رجلا من الأعراب کانت خیمته علی ظهر الطریق، و کان إذا مرت به قافله تسأله عن الطریق إلی مقصدها، یرشدها إلی خلاف ذلک المقصد، فإن أراد القوم المشرق ردهم إلی المغرب، و إن أرادوا المغرب ردهم إلی المشرق، و ترکهم یهیمون (1).

و هذا یناسب ما یقال عن الضب من أنه لا یهتدی لجحره، و یضرب فی تحیره المثل .. و قد کان الرجل الممسوخ لا یرشد الناس إلی طریقهم، و یشیر علیهم بما یحیرهم، و یترکهم یهیمون.

د: و أخیرا .. فإن الروایه التی ذکرناها قد ذکرت عن عمر بن الخطاب:

أنه کان یصر علی تحلیل أکل الضب، و إقناع الناس بذلک، و تذلیل الصعوبات أمامهم فیه.

و لعل رغبته هذه هی التی دعت الآخرین إلی ترجیح فتوی التحلیل، و التخفیف من حده دلاله النصوص المانعه، و اللّه هو العالم.

و الرجوع إلی أهل البیت (علیهم السلام) فی مثل هذه الأمور، و فی کل الأمور هو الصحیح، و هو المتعیّن، فإن أهل بیت النبوه أدری، و الاتباع لهم أصوب و أحری.

أکلات محرمه علی المحرم و علی غیره:

و رووا: أنه أهدی لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حمار وحشی و هو بالأبواء، أو بودّان، فرده علی صاحبه، فلما رأی ما فی وجهه، قال: إنّا لم نردهص.

1- البحار ج 62 ص 227 عن الإختصاص.

علیک إلا أنّا حرم (1).

و أهدی بعض الأعراب من ودان: معیشا، و عترا، و ضغابیس، فجعل (صلی اللّه علیه و آله) یأکل الضغابیس و العتر، و أعجبه، و أدخل علی أم سلمه منه الخ .. (2).

و نقول:

إن کان المراد بالضغابیس هو صغار الثعالب، فلا شک فی عدم صحه هذه الروایه؛ لأن أکل الثعلب حرام.

و إن کان المراد بها الضبع، أو أیه دابه أخری یحرم أکلها فکذلک.

و أما إن کان المراد بها صغار القثاء (3)، أو غیره من النباتات التی تؤکل، فلا إشکال ..

و أما العتر، فإن کان المراد به الذبیحه، فإن الذابح إذا کان مشرکا، فلا یجوز الأکل من ذبیحته أیضا ..

علی علیه السّلام ساقی العطاشی فی الجحفه:

قال الشیخ المفید: روی إبراهیم بن عمر، عن رجاله، عن فاید مولی عبد اللّه بن سالم، قال: لما خرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی عمره الحدیبیه نزل الجحفه، فلم یجد بها ماء، فبعث سعد بن مالک بالروایا، حتی8.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 35 و عن البخاری ج 4 ص 31 رقم 1825 و 2573 و عن صحیح مسلم ج 2 ص 850 و النسائی، و مالک، و الترمذی.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 35.
3- ترتیب القاموس ج 3 ص 28.

إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا، فقال: يا رسول اللّه، ما أستطيع أن أمضى، لقد وقفت قدماى رعبا من القوم!

فقال له النبى (عليه و آله السلام): اجلس.

ثم بعث رجلا آخر، فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذى انتهى إليه الأول رجع، فقال له النبى (عليه السلام): (لم رجعت)؟.

فقال: و الذى بعثك بالحق، ما استطعت أن أمضى رعبا.

فدعا رسول اللّه أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات اللّه عليهما فأرسله بالروايا، و خرج السقاه و هم لا يشكون فى رجوعه، لما رأوا من رجوع من تقدمه.

فخرج على (عليه السلام) بالروايا حتى ورد الحرار (1) فاستقى، ثم أقبل بها إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و لها زجل (2).

فكبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) و دعا له بخير (3).

و نقول:

1- إن هذين الرجلين اللذين أرسلهما النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالروايا لم يثبتا أمام هواجس الخوف التى انتهابتهما، و لم يلقيا بالا، و لا أعارا اهتماما لكل تلك المعجزات التى أظهرها لهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه9.

1- الحرار: جمع حره، و هى أرض ذات أحجار سود نخره. الصحاح ج 2 ص 626.
2- الزجل: رفع الصوت الطرب. لسان العرب ج 11 ص 302.
3- الإرشاد للمفيد (ط مؤسسه آل البيت) ج 1 ص 121 و 122 و البحار ج 20 ص 359 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 623 و كشف الغمه ج 1 ص 210 و الإصابه ج 3 ص 199 و مناقب آل أبى طالب ج 2 ص 88 و كشف اليقين ص 139.

و آله) .. حيث يفترض أن يدفعهما التفكر فيها، و التفاعل معها إلى خوض اللجج، و بذل المهج فى سبيل تحقيق ما رغب إليهما النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله) فى تحقيقه، فكانت نفساهما أحب إليهما من اللّه و رسوله، و جهاد فى سبيله.

و كان على (عليه السلام) على العكس منهما، قويا فى ذات اللّه، مؤثرا رضا اللّه و رسوله على كل ما فى هذه الدنيا من زبارج و بهارج.

2- إن هذه الحادثه تذكّرنا بما جرى بعد ذلک فى خيبر، حينما ذهب الرجلان- أبو بكر أولا، و عمر ثانيا- بأمر الرسول (صلى اللّه عليه و آله) لمناجزه اليهود، ثم رجعا منهزمين مع من معهما، يجبن بعضهم بعضا.

و يذكّرنا أيضا: بما جرى قبل ذلک فى بنى قريظه، حيث ذهب نفس الرجلين أيضا- أعنى أبا بكر و عمر- لمناجزه اليهود، ثم رجعا مع من معهما منهزمين، يجبن بعضهم بعضا.

3- و إن كتمان اسم الرجل الثانى الذى أرسله (صلى اللّه عليه و آله) بالروايا، و رجع خائفا منهزما بأوهامه و هواجسه، يثير فضولنا، و تأخذنا الاحتمالات و الظنون فيه يمينا و شمالا .. خصوصا مع ما عرفناه و ألفناه من تستر هؤلاء القوم على أسماء من يحبونهم، حين يجدون أن التصريح بها يضر بسمعتهم و بمكانتهم.

حديث الثقلين:

اشاره

قالوا: و لما بلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الجحفه أمر بشجره، فقمّ ما تحتها، فخطب الناس، فقال: (إنى كائن لكم فرطا، و قد تركت فيكم

ما إن أخذتم به لن تضلوا أبدا: كتاب اللّه، و سنه نبيه) (1).

و نقول:

إن كان هذا هو حديث الثقلين الشائع و الذائع، الذى أحرج أهل السنه، فأخرجهم عن جاده الإنصاف و الاعتدال فهو النص المحرف له، أو هو نص آخر، يشبهه، زعموا: أنه هو، من أجل إبطال الحق، و تأييد الباطل.

فخاب فألهم، و طاش كلمهم. و توضيح هذا الأمر يحتاج إلى بعض التفصيل، الذى لا مجال له فى سياق كهذا، غير أننا نقول:

1- الثقل: بفتح القاف، أم بسكونها:

الظاهر: أن كلمه (الثقلين) هى بفتح الثاء المشدده و القاف بعدها.

قال ابن حجر الهيثمى: (سمى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) القرآن9.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 36 و فى هامشه عن البخارى ج 4 ص 12 و عن صحيح مسلم ج 2 ص 861 و الحديث فى الموطأ (بشرح السيوطى) ج 2 ص 208 كتاب القدر و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 603 و فيض القدير ج 3 ص 340 و مستدرک الحاكم ج 1 ص 93 و تنبيه الغافلين ص 43 و ميزان الإعتدال ج 2 ص 302 و الكامل ج 4 ص 69 و الضعفاء للعقيلى ج 2 ص 251 و العلل ج 1 ص 9 و كمال الدين ص 235 و البحار ج 23 ص 132 و كنز العمال ج 1 ص 173- 187 و الجامع الصغير ج 1 ص 505 و 506 و السنن الكبرى للبيهقى ج 10 ص 114 و الجامع لأخلاق الرواه ج 1 ص 166 و سنن الدارقطنى ج 4 ص 160 و العهود المحمديه ص 635 و طبقات المحدثين بإصبهان ج 4 ص 68 و عن تاريخ الأمم و الملوک للطبرى ج 2 ص 403 و ذكر أخبار إصبهان ج 1 ص 103 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج 2 ق 2 ص 59.

و عترته ثقلين، لأن الثّقل كل نفيس خطير مصون. و هذان كذلک، إذ كل منهما معدن العلوم الدينيه، و الأسرار و الحكم العليه، و الأحكام الشرعيه؛ و لذا حث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على الاقتداء و التمسک بهم، و التعلم منهم.

و قيل: سميا ثقلين، لثقل وجوب رعايتهما) (1).

أو رعايه حقوقهما، قال الشريف الرضى فى المجازات النبويه: تسميه الكتاب و العتره بالثقلين، و واحدهما ثقل، و هو متاع المسافر الذى يصحبه إذا رحل، و يسترفق به إذا نزل، فأقام عليه الصلاه و السلام الكتاب و العتره مقام رفيقيه فى السفر، و رفاقه فى الحضر، و جعلهما بمنزله المتاع الذى يخلفه بعد وفاته (2).

2- النص الصحيح و الصريح:

إنه لا يمكن الاعتماد على هذه الروايه، و الحكم بأنها هى حديث الثقلين المعروف و هى روايه: (كتاب اللّه، و سنه نبيه) بل المعتمد عند جهابذه العلم و الروايه هو حديث الثقلين المروى بأسانيد صحيحه، و له نصوص متقاربه، منها ما ورد فى صحيح مسلم، من أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال فى غدير خم:

(يوشک أن يأتى رسول ربى، فأجيب. و إنى تارک فيكم الثقلين: أولهما كتاب اللّه فيه الهدى و النور، خذوا بكتاب اللّه و استمسكوا به- فحث على كتاب اللّه و رغب فيه، ثم قال: و أهل بيتى. أذكّركم اللّه فى أهل بيتى،8.

1- الصواعق المحرقه ص 226 و 227 و راجع تيسير الوصول.
2- المجازات النبويه ص 218.

أذكّركم اللّه فى أهل بيتى الخ ..) أو نحو ذلک (1).ع.

1- صحیح مسلم ج 7 ص 123 و تیسیر الوصول ج 1 ص 16 و النهایه فی اللغه لابن الأثیر ج 3 ص 177 و الصواعق المحرقه، و الجامع الصحیح للترمذی ج 5 ص 621 و 622 و الطرائف ص 114- 122 و مسند أحمد ج 5 ص 182 و 189 و 190 و ج 4 ص 371 و 366 و ج 3 ص 17 و 26 و 14 و 59 و مستدرک الحاکم ج 3 ص 148 و 110 و 109 و 533 و تلخیص المستدرک للذهبی (مطبوع بهامشه) و الدر المنثور ج 2 ص 60 و المعجم الکبیر ج 5 ص 186 و 187 و ج 3 ص 63 و 66 و نوادر الأصول ص 68 و کنز العمال (ط أولی) ج 1 ص 48 و تهذیب الکمال ج 10 ص 51 و تحفه الأشراف ج 2 ص 278 و مشکاه المصابیح ج 3 ص 258 و سنن الدارمی ج 2 ص 310 و السنه لابن أبی عاصم ص 629 و 630 و السنن الکبری ج 2 ص 148 و مصابیح السنه ج 2 ص 205 و البدایه و النهایه ج 5 ص 206 و 209 و ج 7 ص 9 و کشف الأستار عن زوائد البزار ج 3 ص 221 و سمط النجوم العوالی ج 2 ص 502 و تهذیب اللغه للأزهری ج 9 ص 78 و لسان العرب ج 4 ص 538 و مجمع الزوائد ج 9 ص 156 و 163 و ترجمه الإمام أمیر المؤمنین من تاریخ دمشق (بتحقیق المحمودی) ج 1 ص 45 و عن السیره الحلبیه ج 3 ص 308 و نظم درر السمطین ص 231 و 232 و المنهاج فی شرح صحیح مسلم ج 15 ص 180 و فیض القدیر ج 3 ص 14 و شرح المواهب اللدنیه ج 7 ص 5 و 8 و المرقاه فی شرح المشکاه ج 5 ص 600 و نسیم الریاض فی شرح الشفاء ج 3 ص 410 و عن أشعه اللمعات فی شرح المشکاه ج 4 ص 677 و ذخائر العقبی ص 16 و غرائب القرآن ج 1 ص 347 و الفصول المهمه لابن الصباغ ص 24 و الخصائص للنسائی ص 30 و کفایه الطالب ص 11 و 130 و الطبقات الکبری ج 2 ص 194 و أسد الغابه ج 2 ص 12 و ج 3 ص 147 و حلیه الأولیاء ج 1 ص 355 و تذکره الخواص ص 332 و العقد الفرید و السراج المنیر فی شرح الجامع الصغیر ج 1 ص 321 و شرح الشفاء للقاری (مطبوع بهامش نسیم الریاض) ج 3 ص 410 و منتخب کنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج 1 ص 96 و 101 و ج 2 ص 390 و ج 5 ص 95 و عن تفسیر الرازی ج 3 ص 18 و عن تفسیر النیسابوری ج 1 ص 349 و تفسیر الخازن ج 1 ص 257 و ج 4 ص 94 و 21 و تفسیر القرآن العظیم ج 4 ص 113 و ج 3 ص 485 و شرح النهج للمعتزلی ج 6 ص 130 و فضائل الصحابه ص 22 و تحفه الأشراف ج

11 ص 263 و 255 و السنن الكبرى للبيهقى ج 7 ص 30 و ج 10 ص 114 و مسند ابن الجعد ص 397 و منتخب مسند عبد بن حميد ص 114 و السنن الكبرى للنسائى ج 5 ص 51 و مسند أبى يعلى ج 2 ص 297 و 303 و مسند ابن خزيمه ج 4 ص 63 و المعجم الصغير ج 1 ص 131 و 135 و المعجم الأوسط ج 3 ص 374 و ج 4 ص 33 و الغدير ج 1 ص 30 و 176 و ج 3 ص 297 و ج 10 ص 278 و فدک فى التاريخ ص 98 و مستدرک سفينه البحار ج 1 ص 508 و ج 3 ص 86 و أمان الأمه من الاختلاف ص 126 و 130 و 132 و 135 و نهج السعاده ج 3 ص 96 و ج 8 ص 417 و مسند الإمام الرضا ج 1 ص 106 و 108 و درر الأخبار ص 40 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 358 و 553 و مواقف الشيعه ج 1 ص 33 و ج 3 ص 474 و تفسير أبى حمزه الثمالى ص 5 و تفسير العياشى ج 1 ص 5 و تفسير القمى ج 1 ص 173 و ج 2 ص 345 و التبيان ج 9 ص 474 و تفسير مجمع البيان ج 7 ص 267 و ج 9 ص 340 و كشف اليقين ص 188 و 426 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 6 و ج 12 ص 232 و 396 و تفسير جوامع الجامع ج 1 ص 411 و التفسير الصافى ج 1 ص 21 و ج 2 ص 69 و تفسير الميزان ج 1 ص 12 و ج 3 ص 86 و ج 16 ص 319 و ج 17 ص 45 و الكنى و الألقاب ج 1 ص 262 و شواهد التنزيل ج 2 ص 42 و اختيار معرفه الرجال ج 1 ص 85 و ج 2 ص 484 و 485 و الدرجات الرفيعه ص 451 و الضعفاء للعقيلى ج 2 ص 250 و ج 4 ص 362 و الكامل ج 6 ص 67 و تاريخ مدينه دمشق ج 19 ص 258 و ج 41 ص 19 و ج 54 ص 92 و سير أعلام النبلاء ج 9 ص 365 و كشف الغمه ج 2 ص 172 و نهج الإيمان ص 202 و حياه الإمام الحسين للقرشى ج 1 ص 79 و حياه الإمام الرضا للقرشى ج 1 ص 9 و لمحات فى الكتاب و الحديث و المذهب للصافى ص 137 و مجموعه الرسائل ج 1 ص 56 و 189 و ج 2 ص 47 و 49 و 51. و راجع: بصائر الدرجات ص 433 و 434 و دعائم الإسلام ج 1 ص 28 و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 34 و 68 و الخصال ص 66 و الأمالى للصدوق ص 500 و كمال الدين و تمام النعمه ص 64 و 234 و 235 و 236 و 238 و 239 و 240 و 278 و معانى الأخبار ص 90 و شرح أصول الكافى ج 1 ص 34 و ج 5 ص 166 و الوسائل ج 1 ص 2 و ج 18 ص 19 و مستدرک الوسائل ج 3 ص 355 و ج 7 ص 255 و ج 11 ص 374 و كتاب سليم بن قيس ص 201 و مسند الرضا ص 68 و 210 و مناقب أمير المؤمنين ج 1 ص 148 و ج 2 ص 112 و 115 و 116 و 117 و 135 و 136 و 137 و 140 و المسترشد للطبرانى الشيعى ص 559 و دلائل الإمامه ص 20 و الهدايه الكبرى ص 18 و شرح الأخبار ج 1 ص 99 و ج 2 ص 379 و 502 و ج 3 ص 12 و مائه منقبه ص 161 و الإرشاد ج 1 ص 233 و الأمالى للمفيد ص 135 و الأمالى للطوسى ص 162 و 255 و 548 و الإحتجاج ج 1 ص

191 و 216 و 391 و ج 2 ص 147 و 252 و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 3 و العمده لابن البطريق ص 68 و 69 و 98 و 102 و 118 و التحصين ص 636 و سعد السعود لابن طاووس ص 228 و إقبال الأعمال ج 2 ص 242 و الطرائف لابن طاووس ص 114 و 115 و مشكاه الأنوار ص 11 و الصراط المستقيم ج 2 ص 32 و كتاب الأربعين للشيرازى ص 363 و 364 و 365 و 367 و الفصول المهمه فى أصول الأئمه ج 1 ص 549 و حليه الأبرار ج 2 ص 328 و مدينه المعاجز ج 2 ص 382 و بحار الأنوار ج 2 ص 100 و 104 و 226 و 285 و ج 5 ص 21 و ج 10 ص 369 و ج 16 ص 337 و ج 22 ص 311 و 476 و ج 23 ص 107 و 108 و 109 و 113 و 117 و 526 و ج 23 ص 133 و 134 و 136 و 140 و 141 و 145 و 146 و 147 و ج 24 ص 324 و ج 25 ص 237 و ج 28 ص 262 و 287 و ج 30 ص 588 و ج 31 ص 376 و 415 و ج 35 ص 184 و ج 36 ص 315 و 331 و 338 و ج 37 ص 114 و 129 و ج 47 ص 399 و ج 86 ص 13 و 27 و نور البراهين ج 1 ص 384 و كتاب الأربعين للماحوذى ص 41 و 68 و العوالم (الإمام الحسين) ص 605 و 734 و مناقب أهل البيت ص 82 و 173 و 171 و خلاصه عبقات الأنوار ج 1 ص 27 و 28 و 30 و 58 و ج 2 ص 3 و 8 و 47 و النص و الإجتهاد ص 13 و المراجعات ص 72 و 73 و 262 و السقيفه للمظفر ص 188، و راجع: كتب اللغه ماده ثقل، مثل: القاموس المحيط، و تاج العروس، و المناقب المرتضويه ص 96 و 97 و 100 و 472 و مدارج النبوه لعبد الحق الدهلوى ص 520. و نقله: الشيخ محمد قوام الدين الوشنوى فى حديث الثقلين عن أكثر من تقدم، و عن الصواعق المحرقه ص 75 و 78 و 99 و 90 و 136 و عن ينابيع الموده ص 18 و 25 و 30 و 32 و 34 و 95 و 115 و 126 و 199 و 230 و 238 و 301 و إسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص 10 و عن فردوس الأخبار للديلمى و نقله صاحب العبقات عن عشرات المصادر الأخرى، فراجع حديث الثقلين ص 22- 29 فراجع.

ص: 103

رواه الحديث من الصحابه:

و قد ذکر السخاوی: أن حدیث الثقلین هذا مروی عن:

1- أبی سعید الخدری.

2- زید بن أرقم.

3- جابر.

4- حذیفه بن أسید الغفاری.

5- خزیمه بن ثابت.

6- سهل بن سعد.

7- ضمیره.

8- عامر بن أبی لیلی.

9- عبد الرحمن بن عوف.

10- عبد اللّه بن عباس.

11- عبد اللّه بن عمر.

12- عدی بن حاتم.

13- عقبه بن عامر.

14- علی (علیه السلام).

15- أبی ذر.

16- أبی رافع.

17- أبی شریح الخزاعی.

18- أبی قدامه الأنصاری.

19- أبی هریره.

20- أبی الهیثم بن التیهان.

21- أم سلمه.

22- أم هانی بنت أبی طالب.

23- رجال من قريش (1).ى.

1- حديث الثقلين للوشنوى ص 13 عن الإستجلاب لشمس الدين السخاوى.

و قد زاد صاحب العبقات على ما تقدم؛ الأسماء التاليه:

24- الحسن بن على (عليه السلام).

25- سلمان الفارسى (المحمدى).

26- حذيفه بن اليمان.

27- زيد بن ثابت.

28- عبد اللّه بن حنطب

29- جبير بن مطعم

30- البراء بن عازب

31- أنس بن مالک

32- طلحه بن عبيد اللّه

33- سعد بن أبى وقاص

34- عمرو بن العاص

35- سهل بن سعد

36- أبا أيوب الأنصارى

37- فاطمه الزهراء (صلوات اللّه و سلامه عليها)

38- أبا ليلى الأنصارى (1).

حديث الثقلين متواتر:

و قد صرحوا: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد قال هذا القول فين.

1- حديث الثقلين ص 14 عن عبقات الأنوار المجلد الخاص بحديث الثقلين.

مواطن عديده، فقد قاله فى عرفه فى حجه الوداع، و قاله فى المدينه فى مرضه الذى توفى فيه. و قاله فى غدير خم، و قاله بعد انصرافه من الطائف (1).

و قد صرحوا: بأنه مروى عن نيف و ثلاثين صحابيا (2).

و قد ظهر مما تقدم: أنه مروى عن ما يقرب من أربعين.

و قد اعتبر ابن حجر الهيثمى الحديث المروى عن ثمانيه من الصحابه متواتر (3)، فكيف إذا كان مرويا عن ثمانيه و ثلاثين صحابيا؟! أو أكثر حسبما ذكرناه.

و سنتى و عترتى متوافقان:

إن من الواضح: أن حديث: (كتاب اللّه و عترتى) متواتر.

و أما حديث: (و سنتى) فليس كذلک، فلو كانا متعارضين لوجب تقديم المتواتر.

على أن حديث (كتاب اللّه و عترتى) لا ينافى حديث (و سنتى) .. بل هما حديثان مستقلان لا يضر أحدهما بالآخر، و لو سلمنا ارتباطهما فهو ارتباط لا يضر، حيث يكون أحدهما موضحا، أو مقيدا للآخر، و يكون المعنى:

أن سنه الرسول (صلى اللّه عليه و آله) التى يوصى بها هى التى تنقلها العتره، و هى التى تحفظ من الضلال؛ لأن العتره معصومه، عن الخطأ1.

1- الصواعق المحرقه (ط سنه 1385 ه) ص 148 و 149.
2- راجع: الصواعق المحرقه (ط سنه 1385 ه) ص 148 و 149 و الجامع الصحيح للترمذى ج 2 ص 220 و 221.
3- الصواعق المحرقه (ط سنه 1385 ه) ص 21.

و السهو و النسيان، و عن كل نقص و عيب، و خلاف ..

أما السنه التى يأتى بها أمثال: أبى هريره أو سمره بن جندب، أو كعب الأحبار، أو عمرو بن العاص، أو معاويه و أضرابهم، فلا يؤمن عليها من أن تكون قد تعرضت للتحريف، أو التزييف ..

فيكون فى هذين الحديثين دلاله على الحجه، و على طريق ثبوتها ..

أسرار فى حديث الثقلين:

1- و حديث الثقلين نفسه يدل على عصمه العتره (عليهم السلام)، لأنه (صلى اللّه عليه و آله) جعلها عدلا للقرآن، فى كون التمسک بها يوجب الأمن من الضلال، فلو كانوا (عليهم السلام) يسهون، أو يخطئون، أو ينسون، أو يكذبون- و العياذ باللّه- أو يحتمل ذلک فى حقهم لم يكن التمسک بهم من موجبات الأمن من الضلال عن الحق ..

2- قد أكد هذا الحديث أن هذه العصمه لهم ثابته و مستمره إلى حين الورود على الحوض، و هو يدل على بقائهم فى موقع الهدايه للأمه ما دامت الدنيا باقيه، و ذلک إنما يكون ببقائهم فيها بصوره فعليه، و على قيد الحياه، تماما كما هو الحال بالنسبه لبقاء القرآن ..

3- إن هذا لا يكون إلا ببقاء إمامتهم و حضورهم .. و ليكن هذا أحد الإرشادات إلى حياه الإمام المهدى (عليه السلام) إلى أن يرث الأرض و من عليها.

قال الهيثمى: (فى أحاديث الحث على التمسک بأهل البيت إشاره إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسک إلى يوم القيامه. كما أن الكتاب العزيز

كذلک) (1).

4- يضاف إلى ذلک: أنه لو جاز عليهم الخطأ لفارقوا القرآن، مع أن هذا الحديث يقول: إنهما لن يفترقا حتى يردا على النبى (صلى اللّه عليه و آله) الحوض ..

5- إن التعبير بأن القرآن و العتره لن يفترقا .. يعطى: أن القرآن يكون مع العتره و يصدقهم، و لا يكون مع غيرهم فى مقابلهم أبدا، و أنه لا يتضمن أى شى ء يخالف أقوالهم، و أفعالهم، كما أنهم هم أيضا لا يفارقون القرآن ..

و هذا معناه: أن القرآن و السنه يحتاجان إلى حافظ و مبين، يشرحهما، و يبين ناسخهما من منسوخهما، و المحكم من المتشابه فيهما، و يكشف عن غوامضهما، و ينفى تحريفات المبطلين عنهما ..

6- لو كان الرجوع إلى الكتاب و السنه من دون رجوع للعتره يحفظ الأمه من الضلال، لم يختلف الناس بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لم يتفرقوا إلى عشرات الفرق، و لم يختلفوا فى أحكامهم و اعتقاداتهم و .. و ..

الخ ..

كما أنه لو كان الرجوع إلى الكتاب و السنه من دون العتره كافيا، لم يبق معنى لقوله تعالى: .. فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (2) فإنه إذا وجب السؤال، و جاء الجواب، فلا بد من الأخذ به، و العمل على طبقه،ل.

1- الصواعق المحرقه (ط سنه 1385 ه) ص 149، و راجع: الفصول المهمه لابن الصباغ ص 310 و نور الأبصار ص 28 و ينابيع الموده (ط سنه 1301 ه) ج 2 ص 414.
2- الآيه 43 من سوره النحل.

و هذا يستلزم ثبوت العصمه للمسؤول، إذ لولا ذلک لجاز أن يخطئ فی الإجابه، و لا معنی لإيجاب الأخذ بالخطأ، و لا لإيجاب العمل به ..

من هم العتره؟!

و من الواضح: أن المقصود بالعتره ليس جميع أقارب رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله)، بل المراد بهم قد بيّنه (صلی اللّه عليه و آله) بقوله: (و عترتی أهل بيتی) کما صرحت به النصوص الکثيره لحديث الثقلين.

و ذلک يشير: إلی ما ورد فی آيه التطهير، التی أثبتنا أن المراد بأهل البيت (عليهم السلام) فيها هم: (أهل بيت النبوه) و قد دل حديث الکساء، و حديث الأئمه بعدی اثنا عشر و غيرهما، علی أنهم: فاطمه، و علی، و الحسنان .. ثم الأئمه التسعه من ذريه الحسين (عليهم السلام)، فراجع کتابنا: (أهل البيت فی آيه التطهير).

و أخيرا: فقد قال السمهودی: (و هذا الخبر يفهم منه وجود من يکون أهلا للتمسک من أهل البيت و العتره الطاهرين فی کل زمان) (1).

و قد ذکر العلامه الوشنوی کلاما يفيد فی توضيح هذا المعنی فراجع (2).ا.

1- حديث الثقلين للعلامه الوشنوی ص 22 عن السمهودی.
2- حديث الثقلين للعلامه الوشنوی ص 19 فما بعدها.

ص: 112

الفصل الثانی: من عسفان .. إلى الحديبيه

اشاره

بدايه:

فى هذا الفصل نذكر أولا النصوص التى ذكرها المؤرخون و كتّاب السيره، ثم نعقبها ببعض التوضيحات، أو التصحيحات، أو المناقشات، التى نرى أن من المفيد الاطلاع عليها ..

و النصوص هى التاليه:

إطلاق الصرخه فى مكه:

قال الصالحى الشامى و غيره: روى الخرائطى فى الهواتف، عن ابن عباس، قال: لما توجه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يريد مكه عام الحديبيه، قدم عليه بشر بن سفيان العتكى، فقال له: (يا بشر، هل عندک علم أن أهل مكه علموا بمسيرى)؟ (1).

فقال: بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه، إنى لأطوف بالبيت فى ليله كذا و قريش فى أنديتها، إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبى قبيس- ليله أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالمسير- بصوت أسمع أهل مكه:

هيوا لصاحبكم مثلى صحابته سيروا إليه و كونوا معشرا كرما 9.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 36 و 37 و الإصابه ج 1 ص 429.

بعد الطواف و بعد السعى فى مهل و أن يحوزهم من مكه الحرما (1)

شاهت وجوهكم من معشر تكل لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما فارتجت مكه، و اجتمع المشركون، و تعاقدوا ألا يدخل عليهم بمكه فى عامهم هذا.

فبلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فقال: (هذا الهاتف سلفع. شيطان الأصنام يوشک أن يقتله اللّه (تعالى) إن شاء اللّه عز و جل).

فبينما هم كذلک إذ سمعوا من أعلى الجبل صوتا، و هو يقول:

شاهت وجوه رجال حالفوا صنماو خاب سعيهم ما قصّر الهمما

إنى قتلت عدو اللّه سلفعهشيطان أوثانكم سحقا لمن ظلما

و قد أتاكم رسول اللّه فى نفرو كلهم محرم لا يسفكون دما (2) قالوا: و لما بلغ المشركين خروج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) راعهم ذلک، فاجتمعوا و تشاوروا، فقالوا: أيريد محمد أن يدخلها علينا فى جنوده معتمرا، فتسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوه، و بيننا و بينه من الحرب ما بيننا؟! و اللّه لا كان هذا أبدا و منا عين تطرف.

ثم قدموا خالد بن الوليد فى مائتى فارس إلى كراع الغميم، و استنفروا من أطاعهم من الأحابيش، و أجلبت ثقيف معهم، و خرجوا إلى بلدح، و ضربوا بها القباب و الأبنيه، و معهم النساء و الصبيان، فعسكروا هناک، و أجمعوا على منع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من دخول مكه و محاربته،6.

1- الموافق لقواعد اللغه هو (الحرم) بالرفع.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 36.

و وضعوا العيون على الجبال، و هم عشره أنفس يوحى بعضهم إلى بعض الصوت الخفى: فعل محمد كذا و كذا، حتى ينتهى إلى قريش ببلدح (1).

و رجع بشر بن سفيان الذى بعثه (صلى اللّه عليه و آله) عينا له من مكه، و قد علم خبر مكه و القوم، فلقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بغدير الأشطاط وراء عسفان فقال: يا رسول اللّه!! هذه قريش سمعت بمسيرک، فخرجوا و معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، و قد نزلوا بذى طوى، يعاهدون اللّه لا تدخلها عليهم أبدا، و هذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدمها إلى كراع الغميم.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بينى و بين سائر العرب، فإن هم أصابونى كان ذلک الذى أرادوا، و إن أظهرنى اللّه تعالى عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوه، فما تظن قريش؟ فو اللّه لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى اللّه تعالى به حتى يظهره اللّه (تعالى) أو تنفرد هذه السالفه (2).3.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 37.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 37 و راجع: السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 356 و السيره الحلبيه ج 3 ص 12 و السيره النبويه لدحلان ج 2 و النص و الإجتهاد ص 167 و الكامل ج 2 ص 75 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 87 و مسند أحمد ج 4 ص 323 و كنز العمال ج 4 ص 439 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 4 ص 209 و تاريخ الأمم و الملوک للطبرى ج 2 ص 272، و البدايه و النهايه ج 4 ص 189 و عن عيون الأثر ج 2 ص 115 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 605 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 313.

النبی صلّی اللّه علیه و آله یشاور أصحابه:

ثم قام رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی المسلمین، فحمد اللّه و أثنی علیه بما هو أهله، ثم قال:

(أما بعد: یا معشر المسلمین، أشیروا علیّ، أترون أن نمیل إلی ذراری هؤلاء الذین أعانوهم فنصیبهم)؟.

و قال: (فإن قعدوا، قعدوا موتورین محروبین، و إن یأتونا تکن عنقا- و فی لفظ: عینا- قطعها اللّه، أم ترون أن نؤم البیت، فمن صدنا عنه قاتلناه)؟.

فقال أبو بکر (رضی اللّه عنه): اللّه و رسوله أعلم، یا رسول اللّه إنما جئنا معتمرین، و لم نجئ لقتال أحد، و نری أن نمضی لوجهنا، فمن صدنا عن البیت قاتلناه.

و وافقه علی ذلک أسید بن الحضیر.

و روی ابن أبی شیبه عن هشام بن عروه عن أبیه، و محمد بن عمر عن شیوخه: أن المقداد بن الأسود (رضی اللّه عنه) قال بعد کلام أبی بکر:

إنّا و اللّه یا رسول اللّه لا نقول لک کما قالت بنو إسرائیل لنبیها:

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ و لکن اذهب أنت و ربک فقاتلا إنا معکم مقاتلون).

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (فسیروا علی اسم اللّه) (1). 5

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 37 و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 111 و کنز العمال ج 10 ص 484 و السنن الکبری للبیهقی ج 10 ص 109 و المصنف للصنعانی ج 5

صلاه الخوف:

و دنا خالد بن الوليد فی خیله حتی نظر إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و أصحابه، فصف خیله فیما بین النبی (صلی اللّه علیه و آله) و بین القبله، فأمر (صلی اللّه علیه و آله) عباد بن بشر فتقدم فی خیله، فقام بإزائه، فصف أصحابه، و حانت صلاه الظهر، فأذن بلال، و أقام، فاستقبل النبی (صلی اللّه علیه و آله) القبله، و صف الناس خلفه، فرکع بهم رکعه و سجد، ثم سلم، فقاموا علی ما کانوا علیه من التعبئه.

فقال خالد بن الولید: قد کانوا علی غرّه، لو حملنا علیهم أصبنا منهم.

و لکن تأتی الساعه صلاه أخری هی أحب إلیهم من أنفسهم و أبنائهم.

فنزل جبریل بین الظهر و العصر بهذه الآیه: وَ إِذا کُنْتَ فِیهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاهَ فَلْتَقُمْ طائِفَهٌ مِنْهُمْ مَعَکَ وَ لْیَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْیَکُونُوا مِنْ وَرائِکُمْ وَ لْتَأْتِ طائِفَهٌ أُخْری لَمْ یُصَلُّوا فَلْیُصَلُّوا مَعَکَ وَ لْیَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِکُمْ وَ أَمْتِعَتِکُمْ فَیَمِیلُونَ عَلَیْکُمْ مَیْلَهً واحِدَهً وَ لا جُناحَ عَلَیْکُمْ إِنْ کانَ بِکُمْ أَذیً مِنْ مَطَرٍ أَوْ کُنْتُمْ مَرْضی أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَکُمْ وَ خُذُوا حِذْرَکُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْکافِرِینَ عَذاباً مُهِیناً (1).ء.

1- الآیه 102 من سوره النساء.

فحانت صلاه العصر، فصلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) صلاه الخوف (1).

النبی صلّی اللّه علیه و آله یخالف العدو فی الطریق:

روی البزار بسند رجاله ثقات، عن أبی سعید الخدری مختصرا، و محمد7.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 38 و ج 8 ص 250 و موسوعه التاریخ الإسلامی ج 2 ص 607 و مستدرک الوسائل ج 6 ص 518 و البحار ج 20 ص 348 و ج 83 ص 110 و النص و الإجتهاد ص 165 و راجع: مسند أحمد ج 4 ص 59 و 60 و السنن الکبری للبیهقی ج 3 ص 254 و المصنف للصنعانی ج 2 ص 505 و مسند أبی داود الطیالسی ص 192 و المصنف لابن أبی شیبه ج 2 ص 351 و السنن الکبری للنسائی ج 1 ص 596 و المنتقی من السنن المسنده ص 68 و شرح معانی الآثار ج 1 ص 318 و المعجم الکبیر ج 5 ص 213 و 214 و 215 و 216 و سنن الدارقطنی ج 2 ص 47 و کنز العمال ج 8 ص 415 و تفسیر القمی ج 2 ص 310 و التبیان ج 3 ص 311 و تفسیر مجمع البیان ج 3 ص 177 و التفسیر الصافی ج 1 ص 494 و ج 5 ص 33 و تفسیر کنز الدقائق ج 2 ص 606 و تفسیر المیزان ج 5 ص 64 و ج 18 ص 264 و جامع البیان ج 5 ص 338 و 349 و معانی القرآن ج 2 ص 179 و أحکام القرآن ج 2 ص 331 و عن أسباب نزول الآیات ص 120 و زاد المسیر ج 2 ص 182 و الجامع لأحکام القرآن للقرطبی ج 5 ص 364 و تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ج 1 ص 561 و تفسیر الجلالین ص 285 و الدر المنثور ج 2 ص 211 و 214 و لباب النقول ص 70 و فتح القدیر ج 1 ص 509 و تهذیب الکمال ج 34 ص 161 و البدایه و النهایه ج 4 ص 93 و 94 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 157.

بن عمر عن شيوخه، قالوا: لما أمسى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال:

(تيامنوا، فى هذا العصل.

و فى روايه اسلكوا ذات اليمين بين ظهور الحمض، فإن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعه) (1).

كره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يلقاه، و كان بهم رحيما، فقال:

(تيامنوا فأيكم يعرف ثنيه ذات الحنظل)؟

فقال بريده بن الحصيب الأسلمى: أنا يا رسول اللّه عالم بها.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (اسلک أمامنا).

فأخذ بريده فى العصل- قبل جبال سراوع- قبل المغرب، فو اللّه ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقتره الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، فسلک بريده بهم طريقا وعرا أجرل (2) بين شعاب، و سار قليلا تنكّبه الحجاره،3.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 37 و مسند أحمد ج 4 ص 328 و عن صحيح البخارى ج 3 ص 178 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 218 و عن فتح البارى ج 5 ص 243 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 331 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 217 و المعجم الكبير ج 20 ص 10 و إرواء الغليل ج 1 ص 55 و تفسير مجمع البيان ج 9 ص 195 و تفسير الميزان ج 18 ص 465 و جامع البيان ج 26 ص 127 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 4 ص 212 و الدر المنثور ج 6 ص 76 و تاريخ مدينه دمشق ج 57 ص 226 و أسد الغابه ج 4 ص 198 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 330.
2- أجرل: الجرل الحجاره. و قيل: الشجر مع الحجاره، أنظر لسان العرب ج 1 ص 603.

و تعلقه الشجر، و صار حتی کأنه لم یعرفها قط.

قال: فو اللّه، إنی کنت أسلکها فی الجمعه مرارا، فنزل حمزه بن عمرو الأسلمی، فسار بهم قلیلا، ثم سقط فی خمر الشجر، فلا یدری أین یتوجه، فنزل عمرو بن عبدنهم الأسلمی، فانطلق أمامهم حتی نظر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی الثنیه، فقال: هذه ثنیه ذات الحنظل)؟

فقال عمرو: نعم یا رسول اللّه.

فلما وقف به علی رأسها تحدر به.

قال عمرو: فو اللّه إن کان لتهمنی نفسی وحدها، إنما کانت مثل الشراک فاتسعت لی حین برزت، فکانت فجاجا لاحبه. و لقد کان الناس تلک اللیله یسیرون جمیعا معطفین من سعتها یتحدثون، و أضاءت تلک اللیله حتی کأنا فی قمر (1).

و روی مسلم عن جابر مختصرا، و أبو نعیم عن أبی سعید، و ابن إسحاق عن الزهری، و محمد بن عمر عن شیوخه.

قال أبو سعید: خرجنا مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عام الحدیبیه حتی إذا کنا بعسفان سرنا من آخر اللیل حتی أقبلنا علی (عقبه ذات الحنظل).

قال جابر: فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): من یصعد ثنیه المرار، فإنه یحطّ عنه ما حطّ عن بنی إسرائیل؟ (2).3-

---

1- ذکره الحافظ ابن کثیر فی البدایه و النهایه ج 4 ص 165.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 39 و الکافی ج 8 ص 322 و شرح أصول الکافی ج 12 ص 448 و البحار ج 20 ص 365 و ج 83 ص 111 و مستدرک سفینه البحار ج 2 ص 31 و عن صحیح مسلم ج 8 ص 123 و الدیباج علی مسلم ج 6 ص 139 و تحفه الأحوذی ج 10 ص 247 و مسند أبی یعلی ج 3 ص 394 و المعجم الأوسط ج 3-

فكان أول من صعد خيل من الخزرج، ثم تبادر الناس بعد.

و قال أبو سعيد: فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (مثل هذه الثنيه الليله كمثل الباب الذى قال اللّه تعالى لبنى اسرائيل: .. وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ .. (1)) (2).

و قال ابن إسحاق: إن المسلمين لما أن خرجوا من الأرض الصعبه، و أفضوا إلى أرض سهله، قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (قولوا نستغفر اللّه و نتوب إليه) .. فقالوا ذلک.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (و اللّه إنها للحطّه التى عرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها) (3).

قال أبو سعيد: ثم قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (لا يجوز هذه الثنيه الليله أحد إلا غفر له).

فلما هبطنا نزلنا فقلت: يا رسول اللّه، نخشى أن ترى قريش نيراننا.

فقال: لن يروكم (4).

فلما أصبحنا صلى بنا صلاه الصبح، ثم قال: (و الذى نفسى بيده لقد9.

1- الآيه 58 من سوره البقره، و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 39.
2- الآيه 58 من سوره البقره، و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 39.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 39 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 1 ص 103 و الدر المنثور ج 1 ص 71.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 39.

غفر للركب أجمعين إلا رويكبا واحدا على جمل أحمر التقت عليه رحال القوم ليس منهم) (1).

و قال جابر: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر) (2).

قال أبو سعيد: فطلب فى العسكر فإذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، و الرجل من بنى ضمره من أهل سيف البحر، يظن أنه من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فقيل لسعيد: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال: كذا و كذا.

فقال له سعيد: ويحک!! اذهب إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يستغفر لک (3).س.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 39.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 37 و عن صحيح مسلم ج 8 ص 123 و المستدرک للحاكم ج 4 ص 83 و الديباج على مسلم ج 1 ص 139 و تحفه الأحوذى ج 10 ص 247 و 248 و مسند أبى يعلى ج 3 ص 394 و المعجم الأوسط ج 3 ص 178 و كنز العمال ج 1 ص 102 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 4 ص 202 و 203 و تاريخ مدينه دمشق ج 11 ص 229 و 230 و ج 35 ص 85 و مناقب أهل البيت ص 462 و سنن الترمذى ج 5 ص 358 و مجمع الزوائد ج 9 ص 161 و معرفه علوم الحديث ص 216 و ضعيف سنن الترمذى ص 518.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 35 و 36 عن مسلم فى صفات المنافقين رقم (12) و البيهقى فى دلائل النبوه ج 4 ص 109 و ذكر ابن كثير فى التفسير ج 4 ص 202 و صاحب الجمل أن هذا المنافق هو: الجد بن قيس.

و قال جابر: فقلنا له: تعال يستغفر لک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)

فقال: و اللّه، لأن أجد ضالتی أحب إلیّ من أن یستغفر لی صاحبکم (1).

و قال أبو سعید: فقال: بعیری و اللّه، أهم من أن یستغفر لی.

إذا هو قد أضل بعیرا له، فانطلق یطلب بعیره بعد أن استبرأ العسکر، و طلبه فیهم، فبینا هو فی جبال سراوع إذ زلقت به نعله، فتردی فمات، فما علم به حتی أکلته السباع.

قال أبو سعید: فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یومئذ: (سیأتیکم أهل الیمن کأنهم قطع السحاب. هم خیر أهل الأرض) (2).

تعقیبات علی النصوص المتقدمه:

و نقول:

إن لنا علی النصوص المتقدمه ملاحظات عدیده، بعضها للتوضیح، و بعضها للتصحیح، نذکر منها ما یلی:7.

1- و عن صحیح مسلم ج 8 ص 123 و المستدرک للحاکم ج 4 ص 83 و الدیباج علی مسلم ج 6 ص 139 و تحفه الأحوذی ج 10 ص 248 و مسند أبی یعلی ج 3 ص 394 و المعجم الأوسط ج 3 ص 178 و تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ج 4 ص 202 و 203 و تاریخ مدینه دمشق ج 11 ص 229 و 230.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 36- 40. و فی المصادر بعض النصوص، فراجع: مسند أحمد ج 4 ص 82 و مجمع الزوائد ج 10 ص 54 و فتح الباری ج 8 ص 77.

ص: 124

لماذا عدل عن الطريق؟!:

و أما عدول النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن الطريق، و عدم مواجهته طليعه المشركين التى كانت بقياده خالد. فلعله يرجع إلى عده أسباب ..

منها: أنه لم يرد أن يواجه تلك الطليعه لكى يتجنب أى اشتباک معها، يمكن أن يدفع بالأمور إلى حيث تصبح الحرب مع قريش أمرا مفروضا لا يمكن تجنبه، و قد يمكن لقريش أن تشيع: أن أصحابه، أو بعضهم هم الذين تسببوا بنشوب الحرب.

و منها: أن ذلک يمثل ضربه لعنفوان قوى الشرک، حيث إن طلائعهم، و كذلک عيونهم المنتشره فى كل مكان لم تغن عنهم شيئا ..

و منها: أنه لا يريد أن يشعر المشركون بأنهم قادرون على التحكم بقرار الحرب، و أنهم قد فرضوا عليه أن يتحرک وفق ما رسموه له، مما يعنى: أن خططهم ناجحه من الناحيه العسكريه.

و منها: أنه يريد أن يربک حركتهم العسكريه، و يعرفهم: أنهم غير قادرين على التحكم فى مسار الأمور، مما يعنى: أن أخطار المواجهه معه لا يمكن الاستهانه بها .. و أنهم لا يستطيعون ضمان النجاح فى أى شى ء ..

من الذى يجمع الجموع لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!

قد ذكرت بعض النصوص المتقدمه:

أن الخزاعى الذى أرسله النبى (صلى اللّه عليه و آله) عينا له على قريش قد عاد إليه، فقال: (إنى تركت كعب بن لؤى، و عامر بن لؤى قد جمعوا لک جموعا، و هم مقاتلوک، و صادوک عن البيت.

فقال النبی (صلی اللّه علیه و آله): أشیروا علیّ، أترون أن نمیل إلی ذراری هؤلاء الذین أعانوهم، فنصیبهم؟ فإن قعدوا الخ ..) (1).

فالذی جمع الجموع- وفق ما قاله هذا النص- هو قبائل عامر و کعب ابنا لؤی .. مع أن أبا سفیان هو الذی یجمع الجموع، و یرید أن یقاتل النبی (صلی اللّه علیه و آله) و یصده عن البیت .. فما معنی نسبه هذا الأمر إلی هؤلاء بهذا التهویل و المبالغه؟!

علی أن المذکور فی النص الآخر هو قریش، و أن استشارته أصحابه إنما هی حین قدم خالد بمن معه ..

سلفع شیطان الأصنام:

و أما الحدیث عن صرخه شیطان الأصنام (سلفع) (2)؛ فهو حدیث غریب و عجیب (3)، إذ فیه:

أولا: أن الأبیات المنسوبه إلی (سلفع) فی غایه الرکاکه و السقوط، و البیت الثانی منها لیس له لون، و لا طعم، و لا رائحه ..1.

1- تاریخ الإسلام (المغازی) ص 366.
2- مسند أحمد ج 4 ص 328 و السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 218 و ج 10 ص 109 و عن فتح الباری ج 5 ص 242 و المصنف للصنعانی ج 5 ص 330 و السنن الکبری للنسائی ج 5 ص 171 و صحیح ابن حبان ج 11 ص 217 و جامع البیان ج 26 ص 126 و تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ج 4 ص 212 و الدر المنثور ج 6 ص 76 و تاریخ مدینه دمشق ج 57 ص 225 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 37.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 36 و الإصابه ج 1 ص 151.

و كذلک الحال بالنسبه للأبيات الأخرى، إذ لا نجد معنى مقبولا أو معقولا لقوله فى البيت الأول: (ما قصر الهمها).

ثانيا: لماذا لم يقتل هذا الهاتف شيطان الأصنام قبل هذه الحادثه، فلم يقتله فى حرب بدر، أو قبل الهجره، أو فى أحد، أو فى حمراء الأسد، و الخندق، أو غير ذلک؟!

و لماذا لم يكن سلفع الشيطان يخبر أهل مكه بتحركات رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ضدهم؟!

ثالثا: كيف علم بسر (أو بشر) بن سفيان الذى أرسله النبى (صلى اللّه عليه و آله) من ذى الحليفه إلى مكه عينا له: أن صرخه الشيطان كانت ليله مسير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليهم؟ و كيف حضر فى مكه ساعه هذه الصرخه؟! مع أن بسر بن سفيان لم يكن فى مكه حين مسير النبى (صلى اللّه عليه و آله) إليها؟!.

ولو فرضنا: أنه كان فيها، فكيف جاء من مكه كل هذه المسافه قبل أن يجاوز رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ذا الحليفه.

و إذا كان قد عاد إليه، و كانت عودته قبل قتل سلفع، حتى أبلغه بصرخته، فقال له رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): يوشک أن يقتله اللّه ..

فلماذا تأخر قتل سلفع، كل هذه المده؟!

رابعا: إن بسر بن سفيان هو الذى يحدث النبى (صلى اللّه عليه و آله) بهذه الأحداث، و هو الذى يقول: فبلغ النبى ذلک، فأخبر أن هذا سلفع يوشک أن يقتله اللّه إن شاء اللّه.

ثم قال: فبينما هم كذلک إذ صوت الهاتف الثانى الذى أخبرهم بأنه قتل

سلفعا، فما معنى قوله: فبينما هم كذلک؟!

هل معناه: أنهم كانوا لا يزالون فى مجالسهم و أنديتهم؟!

فكيف يكون ذلک الخبر قد وصل إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ليقول فى حق سلفع ما قال؟!

فإن ظاهر قوله: بلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أنه بلغه بالطرق العاديه.

خامسا: إن كلام سلفع لم يتضمن أى خبر لقريش عن تحركات رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لم يخبرهم فى شعره بأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يقصدهم بالحرب، أو أنه يقصد دخول مكه.

بل غايه ما فيه: أنه يطلب منهم أن يجهزوا جيشا يشتمل على ضعف أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أن يسيروا إلى حربه، فما معنى قول الروايه: إنهم لما سمعوا ذلک الشعر (ارتجت مكه، و اجتمع المشركون، و تعاقدوا: أن لا يدخل عليهم بمكه فى عامهم هذا)؟!

سادسا: إذا كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لا يريد إعلام قريش بمسيره، لكى يفاجئها بالأمر، و يجعلها أمام الأمر الواقع، ليربكها، و يشعرها بالعجز، و الضعف، حيث يكون قد وجه لها صدمه روحيه، حتى إذا استجاب لمطالبها، فإنه يكون فى موقع المتفضل الرحيم بها ..

نعم .. إذا كان الأمر كذلک .. فلماذا يتدخل هذا الهاتف الثانى ليفسد خطط رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أو ليؤثر سلبا عليها، و ذلک حين أخبر أهل مكه بمسيره (صلى اللّه عليه و آله) إليهم، و أنه على حال الإحرام.

و ما إلى ذلک؟!

بلدح أم ذو طوى؟:

و قد ذكرت الروايات المتقدمه: أن قريشا و من تابعها من ثقيف، و غيرها من القبائل قد تجمعوا فى مكان يقال له: (بلدح)، و عسكروا هناک، و وضعوا العيون على الجبال، و تستمر الروايه لتقول: إن بسر بن سفيان الذى لقى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بغدير الأشطاط، وراء عسفان قد قال للنبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله): إنهم (قد نزلوا بذى طوى).

و من الواضح: أن (بلدح) هو واد غربى مكه- كما يقول ياقوت (1).

و أما ذو طوى، فهو: واد فى طريق التنعيم إلى مكه (2).

خيارات لو أن قريشا تلجأ إليها!!

و يستوقفنا هنا: قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب. ماذا عليهم لو خلوا بينى و بين سائر العرب، فإن هم أصابونى الخ..

و نقول:

إن نظره منصفه إلى واقع الحال تعطينا: أن هذا الكلام من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ما هو إلا رساله ذات مغزى عميق و دقيق، يريد8.

1- معجم البلدان (ط سنه 1388 ه) ج 1 ص 480 و البحار ج 18 ص 37 و مقدمه فتح البارى ص 88 و تاريخ مدينه دمشق ج 25 ص 298 و ج 39 ص 77 و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 159.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 82 و عن فتح البارى ج 7 ص 108 و تاريخ مدينه دمشق ج 9 ص 508.

الرسول (صلى اللّه عليه و آله) أن يوصلها إلى الناس، من أجل سوقهم نحو هدف يريد أن يصل إليه، و أن يحصل عليه ..

و يتضح ذلک من خلال البيان التالی:

أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد بدأ كلامه بما يلتقى مع ما يعانيه الناس العاديون من شدائد اقتصاديه، و ضغوطات عاطفيه، و اجتماعيه و أمنيه، و خسائر فی الأنفس، و فی الأموال، و فی العلاقات .. و غير ذلک ..

حيث قال عن قريش: (لقد أكلتهم الحرب)!! .. مع ما فی ذلک من إظهار درجه من العطف علی هؤلاء الذين يظلمون أنفسهم، و يظلمون غيرهم، و هم قريش، أو على الأقل، فيه إيحاء، بأن من الممكن التجاوز عما مضى، و أن الأمور بينه و بين قريش لم تصل إلى نقطه اللا رجوع ..

ثم قدم خيارات يجد فيها من يتعرض لهذه المعاناه متنفسا مقبولا و حلا معقولا، ينسجم مع ما يصبو و يشتاق إليه، حب السلامه و الراحه ..

و لكن من الواضح: أن هذه الخيارات و إن كانت سوف تؤثر على مستوى ثقه العرب بقريش، و على علاقاتهم بها، و لكنها خيارات واقعيه، تحمل معها الخلاص من العناء و الشقاء، و البلاء و ما يجرى على قريش و المشركين. فإنما على نفسها جنت براقش .. و تلک هی نتائج الإثم و البغی و العدوان.

يضاف إلى ذلک: أن الأخذ بهذه الخيارات، من شأنه أن يوزع القوى، فيسهل على المظلومين مواجهه الظلم، لأن القوى حين تكون متفرقه فإنها لا تملک نفس القوه حين تكون مجتمعه، فإنه إذا قضى على قوه العرب الذين هم حول قريش فلن تنفع قريشا قوتها .. خصوصا مع تنامی قوه الإسلام،

و اتساع رقعته، و ازدياد نفوذه.

و الخلاصه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) يقدم لقريش خيارات، لو عملت بها، فسوف تجد نفسها فى أحضان الإسلام، و لن تقوى على مقاومته، و لا تجد مناصا من الدخول فيه، و سوف تكون بأمس الحاجه إلى حمايته، و الاستظلال بظله ..

فالأمور التى طرحها (صلى اللّه عليه و آله) لا يمكن تجاهلها، بل لا بد أن يعلق فى أذهان الناس شى ء منها، و يثير ذلك بلابل فى صدورهم، و تبدأ من ثم الاقتراحات التى تنسجم مع أجواء تلك الخيارات، فتضعف العزائم عن خوض الحروب، و تنقاد النفوس لقبول حلول تقرّبهم من أجواء السلم، و القبول بما كان مجرد تخيله يعد جريمه و خيانه، و عارا عندهم ..

و قد كانت المبادره إلى العمره، و إلى الإحرام، و سوق الهدى، تهدف إلى إثاره هذه الأجواء، حيث فرض عليهم الرضا بأن يعاهدوه و يصالحوه ..

و رضوا أيضا بأن يدخل إلى الحرم، و يحج البيت فى سنه لاحقه .. مع أن التفكير الذى كان سائدا إلى تلك اللحظه هو لزوم قتله، و كل من معه ..

فالتنزل و القبول بما هو أدنى من ذلك يعتبر إنجازا عظيما.

و لا شك فى أن الخيارات السابقه التى طرحها الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، و تحدثنا عنها آنفا قد أسهمت فى إثاره هذه الأجواء التى ساعدت على الوصول إلى تلك النتائج الباهره و الفتح العظيم ..

النبى صلّى اللّه عليه و آله يستشير أصحابه:

1- و قد تقدم: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد استشار أصحابه فى هذه

المناسبه أيضا و قد أظهرت هذه المشوره أنه لم يكن لدى المسلمين ميل للقتال، و لا كانوا يتسترون بالإحرام، و يضمرون العدوان، حينما تمكنهم الفرصه. و قد كان لابد من تسجيل و إظهار هذه الحقيقه للأجيال، فلم يعد يمكن للذين لا يؤمنون أن يقولوا: إن أقوال النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا تعكس ما فى ضميره، لأنه رجل سياسى، و منطق السياسه التى درجوا عليها، هو المكر و الخداع، و انتهاز الفرص السانحه.

2- إننا نعتقد: أن مشوره أبى بكر بعدم القتال، كانت تنسجم مع سياساته الراميه إلى تعزيز قريش، و حفظ عنفوانها، و عدم المساس برموزها، كما ظهر من مشورته فى حرب بدر، سواء بالنسبه لأصل الحرب، أم بالنسبه لسعيه لإنقاذ أسرى قريش من القتل.

3- و كان لهذه التدخلات أثرها الضاغط على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و المثير فيما بين المسلمين سلبيات كبيره و متنوعه، من حيث تأثيرها على مستوى الثقه و القناعه، و من ثم على الطاعه و الانقياد و الرضا من قبل عامه المسلمين بقرارات النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

4- لقد كان موقف المقداد فى بدر و فى الحديبيه، الذى هو الإعلان بالتسليم المطلق لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، هو الموقف الصحيح و الصائب، الذى كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) يريد له أن يتنامى و أن يشيع و يتأكد و يتجذر فيما بين المسلمين. ليصبح خلقهم و سجيتهم الظاهره فى كل حين، و كل وقت، و فى كل موقف.

5- إن قوله (صلى اللّه عليه و آله): أترون أن نميل على ذرارى هؤلاء؟

يراد به إظهار الخلق النبيل و السامى لأهل الإيمان، و أنهم يتعاملون مع

الأمور بمنطق المبادئ و القيم، لا بمنطق الأهواء و الغرائز، وردات الفعل.

فإنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أوضح: أن هناک قبائل قد انضمت إلى قريش لتحارب معها، و تركوا ذراريهم خلفهم بلا حام و لا كفيل. و هذا خطأ فادح، لأن المفروض بالمحارب: أن يحسب حساب عدوه، و لا يدع ماله، و عياله يقعان فى معرض الاستباحه!! فها هو رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يعرض الأمر على من معه، و يستدرجهم بسؤاله لهم إلى الإعلان بأنهم طوع إرادته، و رهن إشارته، ليرى الناس كيف يعفّ و يعفو و لا يقدم على أى عمل يتناقض مع مبادئه و دينه رغم قدرته عليه.

من أجل ذلک نقول:

إن موقف المقداد هو الموقف الصحيح، فإن الإعلان بالطاعه- خصوصا- فى مثل هذه المواقف أمر مطلوب؛ حسبما أوضحناه، كما أنه يدخل الرعب و اليأس فى قلوب الأعداء، و تضعف توقعاتهم بزعزعه وحده الذين جاؤوا لحربهم ..

أما جواب أبى بكر، فهو يعنى: أن فى أصحاب النبى (صلى اللّه عليه و آله) من يتجرأ عليه، و يبادر إلى رسم الطريق له، و يطلب منه أن يكون بأمره، و رهن إشارته و يجعل نفسه فى موقع من يعرف الرأى الصائب، و يتوهم أنه قد عرف ما لم يعرفه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و هذا الأمر يطمع العدو فى المسلمين، و يدفعه إلى التفكير فى التدخل فى سياساتهم، بإلقاء الآراء المختلفه إليهم ليثير البلبله فى أفكارهم، و يلقى الشبهات لديهم فى صوابيه قرارات القياده، و مدى إدراكها لما يجب فعله أو يجب تركه.

و هذا خلل خطير و كبير تداركه المقداد (رحمه اللّه)، و رضى عنه و أرضاه.

الشوری فی الحدیبیه:

و قد حاول البعض أن یدّعی: (أن فی عامه تصرفات الرسول (صلی اللّه علیه و آله)، ما یدل علی مشروعیه الشوری، و ضروره تمسک الحاکم بها.

و عمل النبی (صلی اللّه علیه و آله) هنا یدل علی طبیعه هذه الشوری، و المعنی الذی شرعت من أجله. فالشوری فی الشریعه الإسلامیه مشروعه، و لکنها لیست ملزمه. و إنما الحکمه منها استخراج وجوه الرأی عند المسلمین، و البحث عن مصلحه قد یختص بعلمها بعضهم دون بعض، أو استطابه لنفوسهم.

فإذا وجد الحاکم فی آرائهم ما سکنت نفسه إلیه، علی ضوء دلائل الشریعه الإسلامیه و أحکامها أخذه، و إلا کان له أن یأخذ بما شاء، شرط أن لا یخالف نصا فی کتاب و لا سنه، و لا إجماعا للمسلمین ..

و لقد وجدنا أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) استشار أصحابه فی الحدیبیه، و أشار علیه أبو بکر بما قد علمت.

قال له: إنک یا رسول اللّه خرجت عامدا لهذا البیت، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه.

و لقد وافقه النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی بادئ الأمر، و مضی مع أصحابه، متوجها إلی مکه حتی إذا برکت الناقه، و علم أنها ممنوعه، ترک الرأی الذی کان قد أشیر به علیه.

و أعلن قائلا: و الذی نفسی بیده، لا یسألوننی خطه یعظمون فیها حرمات اللّه إلا أعطیتهم إیاها.

و حینئذ تحول العمل عن ذلک الرأی الذی أبداه أبو بکر إلی أمر

الصلح و الموافقه على شروط المشركين، دون أن يستشير فى ذلک أحدا).

إلى أن قال: فهذا (يدل أيضا على أن الشورى إنما شرعت للتبصر بها، لا للإلزام أو التصويت على أساسها) (1).

و نقول:

إن لنا على هذا الكلام عده ملاحظات، نذكر منها ما يلى:

1- إنه ليس فى تصرفات النبى (صلى اللّه عليه و آله) ما يدل على ضروره تمسک الحاكم بالشورى، بل غايه ما تدل عليه: أنه يباح للحاكم أن يمارسها.

2- إنه ليس فى تصرفاته (صلى اللّه عليه و آله) ما يدل على ضروره تمسک الحاكم بالشورى، بل غايه ما تدل عليه: أنه يباح للحاكم أن يمارسها.

2- إنه ليس فى تصرفاته (صلى اللّه عليه و آله) ما يدل على أن الحاكم ملزم بالأخذ بما يشيرون به عليه، فقد يأخذ بمشوره أحدهم، و قد لا يأخذ بمشوره أحد منهم أصلا، بل يأخذ برأى نفسه.

3- إن حكمه ممارسه الشورى لا تنحصر بما ذكره ذلک البعض، بل قد تشمل إظهار نوايا بعض من يدلون بآرائهم فيها، لکى يعرف الناس تلک النوايا، ليمكنهم تمييز المخلص من غيره، و الذكى من الغبى، و الشجاع من الجبان، و .. و ..

4- إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن بحاجه إلى رأى أحد؛ لأنه عقل الكل، و مدبر الكل، و فوق الكل. و لا يمكن أن يختص أحد بعلم شى ء دونه .. فاستشارته للناس لا يمكن أن تكون لأجل معرفه الصواب من الخطأ، أو لأجل علم اختص به سواه.5.

1- فقه السيره (ط دار الفكر) ص 324 و 325.

5- إن من أعظم الموبقات و الجرائم فى حق النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) هو القول بإمكان أن يأخذ برأى يخالف نصا فى الكتاب، أو السنه، أو الإجماع، فإن هذا يدل على انتفاء صفه العصمه عنه، و من موجبات فقد الثقه بما يقول و يفعل ..

و هذا القائل الذى نحن بصدد مناقشه كلامه ليس فقط لم يستثن النبى (صلى اللّه عليه و آله) من هذه المقوله، بل هو قد صرح: بأنه قاصد له فيها، حيث قال بعد حوالى أربع صفحات فى إشاره منه إلى عباراته الآنفه الذكر، و موضحا مراده فيها ما يلى:

(قد علمت فيما سبق: أن تصرفات النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا تكتسب قوه الحكم الشرعى، إلا إذا أقرها الكتاب بالسكوت عليها، أو التأكيد لها.

و لقد أقرّ الكتاب كل بنود المصالحه إلا ما يتعلق برد النساء إلى بلاد الكفر، فلم يقرّه، و ذلك على فرض دخوله فى بنود الاتفاقيه و شروطها) (1).

على أننا لم نفهم وجها لقوله: مخالفه الرسول (صلى اللّه عليه و آله) للسنه، فإن السنه هى نفس قول النبى (صلى اللّه عليه و آله) و فعله و تقريره ..

كما أننا لم نفهم الوجه فى مخالفه النبى (صلى اللّه عليه و آله) للإجماع، و كيف يمكن أن يتحقق ذلك.

و هذا يسقط الحقيقه التى تقول: إن قول الرسول (صلى اللّه عليه و آله) و فعله و تقريره حجه بنفسه على العباد، كما أنه يثير الشك و الشبهه فى ما يصدر عنه (صلى اللّه عليه و آله)، و يحتاج نفس قوله و فعله إلى مراجعه على9.

1- فقه السيره ص 329.

أهل الاختصاص و الاجتهاد لإجراء مقارنه بينه و بين الآيات، و الاطلاع على الإجماعات التى قد تكون فى حياته، أو تنشأ بعد وفاته، ليتم عرض كلامه عليها، و قياسه عليها!!

6- و أما ما زعمه هذا القائل: من أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد أخذ برأى أبى بكر أولا، ثم لما بركت الناقه، و علم أنها ممنوعه ترک ذلک، و تحول إلى أمر الصلح و الموادعه.

فهو غير صحيح: فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) شاورهم، و سمع مشوره أبى بكر، و مشوره المقداد، ثم قال: امضوا على بركه اللّه، فليس فى كلامه أيه دلاله على ما عقد العزم عليه، بل بقى متمسكا بقوله: إنه لم يأت لقتال أحد، بل جاء للعمره و زياره البيت، و قال: (إن قريشا قد نهكتهم الحرب، و أضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مده، أو يخلو بينى و بين الناس، و إن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، و إلا فقد جمّوا الخ..).

فلماذا ينسب هذا الرجل لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أمرا لم يكن؟

و لماذا يريد أن يظهر الخطأ و التقلب و الاختلاف فى مواقف الرسول (صلى اللّه عليه و آله).. من دون أى شاهد أو دليل إلا ما تنسجه يد التعصب لفريق بعينه، حتى لو أدى ذلک: إلى الاستهانه به (صلى اللّه عليه و آله)؟!

عباد بن بشر.. و صلاه الخوف:

و قد تقدم أيضا زعمهم: أن خالدا دنا حتى نظر إلى رسول اللّه، فأمر

(صلی اللّه علیه و آله) عباد بن بشر فتقدم فی خیله، فقام بإزاء خالد، فصف أصحابه، و حانت صلاه الظهر، فصلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) بهم رکعه، ثم قاموا الخ .. (1).

و نقول:

إننا نشک فی صحه ذلک، استنادا إلی ما یلی:

أولا: إن خالد بن الولید لا یجرؤ علی التقدم إلی حد أن یصف خیله قباله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، إذا کان معه مائتا راکب فقط، و کان المسلمون أضعاف هذا العدد ..

ثانیا: ما معنی: أن یصل خالد و یصف خیله بین النبی (صلی اللّه علیه و آله) و بین القبله؟!

و أین کانت خیل المسلمین فی هذه اللحظه؟!

و کیف لم تبادر للوقوف فی وجهه بمجرد ظهوره؟!

و لماذا لم تمنعه من أن یصف خیله؟!

ثالثا: إذا کانت خیل المسلمین بقیاده عباد بن بشر قد اصطفت بإزاء خالد، فمعنی ذلک: أن المسلمین ملتفتون إلی عدد أفراد من معه، عارفون بمواقعه، مراقبون له.س.

1- الدر المنثور ج 2 ص 211 عن عبد الرزاق، و سعید بن منصور، و ابن أبی شیبه، و أحمد، و عبد بن حمید، و أبی داود، و النسائی، و ابن جریر، و ابن أبی حاتم، و الدارقطنی، و الطبرانی، و الحاکم و صححه، و البیهقی عن أبی عیاش الزرقی. و فی الدر المنثور: عن الترمذی و صححه، و ابن جریر عن أبی هریره، و فی الدر المنثور أیضا ج 2 ص 213 عن البزار، و ابن جریر، و الحاکم و صححه عن ابن عباس.

فما معنى قول خالد، حين رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله) يصلى بمن معه: (قد كانوا على غره لو حملنا عليهم، أصبنا منهم)؟.

رابعا: أين كان على بن أبى طالب (عليه السلام) عن ساحه القتال آنئذ؟!

و لماذا قدم النبى (صلى اللّه عليه و آله) عباد بن بشر، و لم يقدم عليا، الذى كانت تخشاه قريش كل الخشيه؟!

ألم يكن على (عليه السلام) هو القائد العام فى تلك الغزوه، كما كان فى غيرها؟!

خامسا: إن الآيه القرآنيه تقول: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاهِ الْوُسْطى وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ (1)، و على هذا الأساس نقول:

ما معنى قول خالد عن صلاه العصر: إنها أحب إلى المسلمين من أنفسهم و أبنائهم؟!

فهل أمر اللّه للناس بالمحافظه على الصلاه الوسطى يجعل هذه الصلاه أحب إلى المسلمين من أنفسهم و أموالهم، ثم تصبح الصلوات الأخرى أقل أهميه من هذه الصلاه؟!..

سادسا: ما معنى: أن يركع النبى (صلى اللّه عليه و آله) بهم ركعه، و يسجد و يسلم فى صلاه الظهر؟! فهل أصبحت صلاه الظهر ركعه واحده؟! أم أن هذه هى صوره صلاه الخوف؟!

و إذا كانت صلاه الخوف، فما معنى قولهم: إن آيه صلاه الخوف قده.

1- الآيه 238 من سوره البقره.

نزلت فی صلاه العصر، لا فی صلاه الظهر؟!

سابعا: بالنسبه لنزول آیه صلاه الخوف فی هذه المناسبه نقول:

إن هناک روایات تعارض الروایه المذکوره، فقد:

1- روی عن سلیمان الیشکری: أنه سأل جابر بن عبد اللّه عن إقصار الصلاه، أی یوم أنزل؟!

فقال جابر بن عبد اللّه: و عیر قریش آتیه من الشام، حتی إذا کنا بنخل جاء رجل من القوم الخ (1).

2- عن ابن عباس: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد صلی صلاه الخوف یوم بطن نخله (2).

قال یاقوت الحموی: بطن نخل: قریه قریبه من المدینه علی طریق البصره (3).

3- و عن ابن عباس أیضا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله)، قد صلاها بذی قرد .. (4) و قد تقدم ذلک.ه.

1- الدر المنثور ج 2 ص 211 عن ابن جریر، و عبد بن حمید، و شرح معانی الآثار ج 1 ص 317 و صحیح ابن حبان ج 7 ص 136 و جامع البیان ج 5 ص 334 و عن تاریخ الأمم و الملوک للطبری ج 2 ص 227.
2- الدر المنثور ج 2 ص 212 عن ابن جریر، و ابن أبی حاتم، و الطبرانی، و المعجم الکبیر ج 12 ص 195 و جامع البیان ج 5 ص 344.
3- معجم البلدان ج 1 ص 449 و تفسیر کنز الدقائق ج 2 ص 604 و تاریخ مدینه دمشق ج 39 ص 423 و معجم قبائل العرب ج 1 ص 22.
4- الدر المنثور ج 2 ص 212 عن عبد الرزاق، و ابن أبی شیبه، و عبد بن حمید، و ابن جریر، و الحاکم و صححه.

4- عن عائشه، و عن صالح بن خوات، عمن صلی مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد صلاها فی غزوه ذات الرقاع (1).

و هذا هو المروی عن أبی عبد اللّه الصادق (علیه السلام) (2).

5- عن جابر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) صلاها و هو محاصر بنیه.

1- الدر المنثور ج 2 ص 212 عن أبی داود، و ابن حبان، و الحاکم و صححه، و البیهقی، و مالک، و الشافعی، و ابن أبی شیبه، و عبد بن حمید، و البخاری، و مسلم، و الترمذی، و النسائی، و ابن ماجه، و الدارقطنی و دعائم الإسلام ج 1 ص 199 و مستدرک الوسائل ج 6 ص 516 و مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 170 و عوالی اللئالی ج 2 ص 62 و البحار ج 20 ص 176 و 178 و ج 83 ص 112 و اختلاف الحدیث ص 527 و مسند أحمد ج 6 ص 275 و عن صحیح البخاری ج 5 ص 51 و السنن الکبری للبیهقی ج 3 ص 265 و شرح صحیح مسلم ج 6 ص 128 و عن فتح الباری ج 7 ص 321 و 326 و 327 و الدیباج علی مسلم ج 2 ص 425 و عون المعبود ج 4 ص 81 و المصنف للصنعانی ج 2 ص 503 و صحیح ابن خزیمه ج 2 ص 303 و صحیح ابن حبان ج 7 ص 124 و نصب الرایه ج 2 ص 294 و 295 و موارد الظمآن ص 155 و کنز العمال ج 8 ص 419 و إرواء الغلیل ج 2 ص 292 و جامع البیان ج 5 ص 341 و أحکام القرآن ج 1 ص 544 و ج 2 ص 330 و الجامع لأحکام القرآن ج 5 ص 368 و تفسیر القرآن العظیم ج 1 ص 560 و أسد الغابه ج 1 ص 22 و تفسیر الثعالبی ج 2 ص 291 و 293 و الثقات ج 1 ص 258 و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج 2 ق 2 ص 29 و موسوعه التاریخ الإسلامی ج 2 ص 424 و 607 و إعلام الوری ج 1 ص 189 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 180 و 181 و 185 و ج 12 ص 60.

2- تفسیر البرهان ج 1 ص 411 عن من لا یحضره الفقیه.

محارب بنخل (1).

و بعد ما تقدم نقول:

كيف يصح قول مجاهد: إنه (صلى اللّه عليه و آله) صلى صلاه الخوف بعسفان، و المشركون بضجنان، (فلم يصل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) صلاه الخوف قبل يومه و لا بعده)؟! (2).

و كيف يمكن الاطمئنان إلى صحه ما ورد فى تلك الروايه، من أن صلاه الخوف قد نزلت فى غزوه الحديبيه سنه ست؟!

ثامنا: إننا إذا أردنا أن نلزم هؤلاء الناس بما ألزموا به أنفسهم، فإننا نقول:

إنهم هم أنفسهم قد صرحوا: بأن صلاه الخوف قد نزلت فى السنه السابعه (3)، أى بعد غزوه الحديبيه، بسنه. فما معنى دعواهم هنا: أنها شرعت و نزلت الآيه فى غزوه الحديبيه ..

تاسعا: إن دعواهم: أن صلاه العصر كانت أحب إلى المسلمين من3.

1- الدر المنثور ج 2 ص 213 عن الدارقطنى و ص 214 عن ابن جرير، و ابن أبى شيبه.
2- الدر المنثور ج 2 ص 214 عن ابن أبى شيبه، و ابن جرير، و المصنف لابن أبى شيبه ج 2 ص 350.
3- الدر المنثور ج 2 ص 214 عن أحمد، و مسند أحمد ج 3 ص 384 و عن صحيح البخارى ج 5 ص 51 و مجمع الزوائد ج 2 ص 196 و عن فتح البارى ج 7 ص 324 و مسند ابن راهويه ج 1 ص 31 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 181 و ج 8 ص 252 و ج 8 ص 252 و ج 12 ص 63.

أنفسهم و أبنائهم، لم نجد ما يثبتها فى التاريخ العملى، الذى يمكّن خالدا من انتزاع هذه الصوره عنهم، و التصريح بها أمام جيشه ..

يضاف إلى ذلک: أنه إذا كانت آيه: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاهِ الْوُسْطى .. هى المنشأ لما قاله عن صلاه العصر، فإننا نقول:

إن المروى عن أهل البيت (عليهم السلام) هو: أن المقصود بالصلاه الوسطى هو: صلاه الظهر (1).

و إذا أخذنا بالروايه التى تقول: إن الإمام الصادق، و كذلک الإمام الباقر (عليهما السلام) قد قرأ: (حافظوا على الصلوات و الصلاه الوسطى، و صلاه العصر، و قوموا للّه قانتين) (2).

فأضاف (عليه السلام) كلمه (و صلاه العصر) لأجل التفسير و البيان، و ربما ليعلمنا: بأن هذا التفسير قد أنزله اللّه تعالى، و ليس قرآنا، بل هو بمثابه الحديث القدسى، الذى هو من عند اللّه تعالى، و لكنه ليس من القرآن ..

فنقول:

إن هذه الروايه تجعل صلاه الظهر فى مستوى صلاه العصر، فما معنى كونها أحب إلى المسلمين من أنفسهم و أبنائهم؟!.

الروايه الأقرب إلى الاعتبار:

و لعل الروايه الأقرب إلى الإعتبار هى: تلک التى رواها على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن الإمام الصادق (عليه السلام):ى.

1- راجع: تفسير البرهان ج 1 ص 230 و 231.
2- تفسير البرهان ج 1 ص 231 عن تفسير القمى و العياشى.

أنها نزلت لما خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى الحديبيه، يريد مكه.

فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد فى مائتى فارس، كمينا، يستقبل رسول اللّه، فكان يعارض النبى (صلى اللّه عليه و آله) على الجبال.

فلما كان فى بعض الطريق، و حضرت صلاه الظهر، فأذن بلال، فصلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالناس، فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم، و هم فى الصلاه لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، و لكن تجى ء لهم الآن صلاه أخرى، و هى أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا فى الصلاه أغرنا عليهم.

فنزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بصلاه الخوف فى قوله: وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ .. الآيه (1).

فليس فى هذه الروايه أى شى ء مما أوجب الإشكال على الروايه الأخرى التى ناقشناها آنفا .. سوى هذه العباره الأخيره، التى قد يفهم منها أن الآيه قد نزلت و أن تشريع صلاه الخوف قد حصل فى هذه المناسبه .. مع أن هناك روايه عن أهل البيت (عليهم السلام) تصرح: بأن ذلک قد كان فى غزوه ذات الرقاع (2).

و يمكن تجاوز هذا الإشكال إذا كان المراد: أن جبرئيل (عليه السلام) قد نزل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أخبره بنيه المشركين، و أن2.

1- البرهان (تفسير) ج 1 ص 411.
2- راجع البرهان (تفسير) ج 1 ص 411 و من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 293 و وسائل الشيعه ج 5 ص 479 و الكافى ج 3 ص 456 و تهذيب الأحكام ج 3 ص 172.

تکلیفک یا محمد الآن هو: أن تعمل بالآیه المبارکه التی أنزلناها علیک فی غزوه ذات الرقاع .. و لیس المراد أن تشریع هذه الصلاه قد بدأ فی الحدیبیه.

و لکن یبقی التساؤل الذی سجلناه حول قول خالد، عن صلاه العصر: إنها أحب إلیهم من ضیاء عیونهم .. فما هذه الخصوصیه لصلاه العصر، و من الذی عرّف خالدا هذا الأمر عن المسلمین. هذا ما لم نستطع أن نهتدی إلی وجهه. و اللّه هو العالم بالحقائق.

إتساع الثنیه للمسلمین:

و قد لو حظ: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أوضح للناس، أو أظهر فی العدید من المواضع: الرعایه الغیبیه لهم، و أخبرهم بالعدید من القضایا التی لا تعرف إلا بالإخبار الإلهی، و التوقیف .. مثل ما تقدم، من أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أخبر المسلمین: أن قریشا لن تری نیرانهم حین جاوز ثنیه ذات المرار، و قد تقدم الحدیث عن أن ثنیه الحنظل قد اتسعت للمسلمین، فکانت فجاجا لاحبه (أی واسعه)، بعد أن کانت ضیقه مثل الشراک.

و أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد ذکر لهم: أن هذه الثنیه مثل باب حطه لبنی إسرائیل، و أخبرهم عن رجل لم یکن من المسلمین، و هم یظنونه مسلما مثلهم، و هو موجود بینهم. و غیر ذلک مما تقدم.

فإن ذلک کله و سواه مما ذکرناه فی الفصل السابق و مما سیأتی، ما هو إلا توطئه للتقلیل من وقع المفاجأه التی سوف یسقط فیها الکثیرون، و ذلک حین یظهر لهم: أنه سوف لن یدخلوا المسجد فی عامهم هذا .. و أنهم قد أخطأوا حین ظنوا: أن ما أخبرهم به النبی (صلی اللّه علیه و آله) سوف

يتحقق فى نفس هذا المسير ..

و قد فاجأهم هذا الأمر، إلى حد: أنهم امتنعوا من طاعه أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالإحلال فى مواضعهم، و التأهب للعوده كما سنرى ..

و لعله لولا ما رأوه من مزيد عنايه اللّه تعالى بهم، و من معجزات و كرامات إلهيه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لتجاوز الأمر حدود الشك إلى ما هو أعظم و أدهى، و أشر و أضر على دينهم و يقينهم.

النبى صلّى اللّه عليه و آله عارف بالأمور و يستعين بالعارفين:

تقول النصوص: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى أخبرهم بأن خالد بن الوليد قد وصل فى خيل لقريش إلى الغميم- طليعه لقريش- و لم يظهر من إخباره هذا أنه قد تلقى ذلك من العيون .. و إن كان ذلك محتملا- ثم إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد سلك طرقا معينه استطاع باختياره لها أن يفاجئ خالد بن الوليد، حتى لتقول الروايه: (فو اللّه، ما شعر بهم خالد، حتى إذا هم بقتره- أى بغبار- الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش).

و هذه المفاجأه من شأنها أن ترهب خالدا و من معه، و أن تربكهم بحيث يفلت زمام المبادره من يدهم ..

و قد ظهر مما تقدم: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان عارفا بالمسالك، مطّلعا على المفاوز، بأسمائها و مواصفاتها، فهو يأمر أصحابه بسلوک فجاج معينه، و يوجه مسيرتهم فى اتجاهات محدده، و لكنه مع ذلک يطلب من بريده أن يكون هو الدليل للناس. و يحمل هذا التصرف من الدلالات و المعانى ما لا يخفى ..

هل کان النبی صلّی اللّه علیه و آله رحیما بالمشرکین؟!:

لکن روایه سلوک المسلمین إلی ثنیه ذات الحنظل قد تضمنت فقره نری أنها مقحمه فی الروایه، لأسباب لا تخفی، فقد قالت الروایه: إنه (صلی اللّه علیه و آله) قال لأصحابه:

اسلکوا ذات الیمین بین ظهور الحمض، فإن خالد بن الولید بالغمیم فی خیل لقریش طلیعه.

(کره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یلقاه، و کان بهم رحیما).

و نقول:

صحیح أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان رحیما، و لکن بالمؤمنین. أما المشرکون المحاربون للّه و لرسوله و لدینه، فالنبی (صلی اللّه علیه و آله) کان شدیدا علیهم. و لا یتساهل معهم، إلا بمقدار ما یکون ذلک ضروریا لدفع أذاهم عن أهل الإیمان، و تألیفهم علی الإسلام. و قد وصف تعالی المؤمنین بقوله: .. أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ .. (1).

فما معنی حشر هذه الکلمه المنسوبه إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی هذا الموضع؟!

ثم إن من الواضح: أنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یأت قریشا محاربا، و إنما جاء معتمرا، محرما، فلا مکان للحدیث عن الرحمه لقریش ..

کما أن الاستفاده من عنصر المفاجأه من شأنه أن یسقط مقاومه العدو، و یضیّع علیه فرصه تسدید ضربته، و یجعله فی حاله ضیاع و ارتباک. و منح.

1- الآیه 29 من سوره الفتح.

شأن هذا: أن يحفظ للمسلمين هيبتهم و قوتهم، و هيمنتهم، و يصون لهم سلامتهم.

و من جهه ثالثه: إن خالدا و من معه- أنفسهم- كانوا يعرفون أن لقاء المسلمين فى ساحه الحرب لن يكون فى مصلحتهم، خصوصا بملاحظه الفارق الكبير فى حجم القوه فيما بين الفريقين، فإن المسلمين كانوا أضعاف المشركين، و فيهم على (عليه السلام) الذى عرفوه فى بدر، و فى أحد، و الخندق، و .. فهل تراهم يجازفون بأرواحهم فى مثل هذه الأحوال؟!

إن غايه ما تستطيع هذه الطليعه فعله هو مشاغله المسلمين لبعض الوقت، و إعاقه حركتهم إلى أن تأتى قريش و حلفاؤها إلى نجدتها ..

بنو إسرائيل، و باب حطه:

و قد رووا أيضا: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد أعطى ثنيه ذات المرار صفه باب حطه الذى كان لبنى إسرائيل، و أن من يصعدها يحط عنه ما يحط عن بنى إسرائيل. و أنه لا يجوز أحد فى تلك الليله هاتيک الثنيه إلا غفر له .. و أنه قد غفر للركب أجمعين إلا رويكبا واحدا على جمل أحمر الخ ..

و نقول:

إن لنا تساؤلات ههنا لا بد من طرحها، نذكر منها ما يلى:

1- لقد قال تعالى: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَهَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّهٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ، فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ

ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (1).

و قد أخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله): أن كل ما كان فى الأمم السالفه سيكون فى هذه الأمه مثله.

و فى نص آخر: لتركبن سنن من كان قبلكم، حذو القذه بالقذه، و مطابق النعل بالنعل، حتى لو دخل أولئک جحر ضب لدخل هؤلاء فيه.

و فى بعض الروايات: لا تخطئون طريقهم، و لا يخطئكم سنه بنى إسرائيل (2). 2

1- الآيتان 58 و 59 من سوره البقره.

2- راجع هذه الأحاديث فى: البحار ج 5 ص 22 و ج 13 ص 180 و ج 22 ص 390 و ج 24 ص 350 و ج 28 ص 7 و 30 و 282 و 2 و ج 29 ص 450 و ج 36 ص 284 و ج 51 ص 253 و ج 52 ص 110 و ج 53 ص 72 و 141 و التاج الجامع للأصول ج 1 ص 43 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 893 و إعلام الورى ج 2 ص 93 و السيره النبويه ج 3 ص 616 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 314 و اللمعه البيضاء ص 396 و دعائم الإسلام ج 1 ص 1 و الإيضاح ص 426 و المسترشد ص 229 و أمالى المفيد ص 135 و الصراط المستقيم ج 3 ص 107 و مستدرک سفينه البحار ج 5 ص 185 و راجع: المستدرک للحاكم ج 4 ص 455 و مجمع الزوائد ج 7 ص 261 و المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 634 و شرح النهج للمعتزلى ج 9 ص 286 و الجامع الصغير ج 2 ص 401 و كنز العمال ج 11 ص 134 و تفسير العياشى ج 1 ص 303 و مجمع البيان ج 7 ص 405 و ج 10 ص 308 و التفسير الصافى ج 2 ص 26 و نور الثقلين ج 1 ص 606 و مسند أحمد ج 3 ص 74 و الإعتصام بالكتاب و السنه ج 8 ص 151 و 57 و الميزان (تفسير) ج 2 ص 108 و ج 3 ص 380 و تفسير القرآن للصنعانى ج 2

و فی روایه أخری: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما خرج إلی خیبر (و فی حدیث إلی حنین) مر علی شجره، یقال لها: ذات أنواط، یعلقون علیها أسلحتهم.

فقالوا: یا رسول اللّه، اجعل لنا ذات أنواط کما لهم ذات أنواط.

فقال لهم النبی (صلی اللّه علیه و آله): هذا کما قال قوم موسی: اجعل لنا آلهه کما لهم آلهه. و الذی نفسی بیده لترکبن سنه من کان قبلکم (1).

و هذا معناه: أن موضوع باب حطه المذکور هنا سیقع مشابها لما کان فی بنی إسرائیل، حیث تذکر الروایات: أن بنی إسرائیل قد أخطأوا خطیئه، فأحب اللّه أن ینقذهم منها، إن تابوا، فقال لهم:

إن انتهیتم إلی باب القریه، فاسجدوا و قولوا حطه. تنحط عنکم خطایاکم.6.

1- عولی اللآلی ج 1 ص 314 و کتاب الأربعین للشیرازی ص 266 و مسند أحمد ج 5 ص 218 و صحیح ابن حبان ج 15 ص 94 و الصراط المستقیم ج 3 ص 107 و سنن الترمذی ج 3 ص 322 و سنن أبی داود الطیالسی ص 191 و المصنف للصنعانی ج 11 ص 369 و مسند الحمیدی ج 2 ص 375 و المصنف لابن أبی شیبه ج 8 ص 634 و السنن الکبری للنسائی ج 6 ص 346 و مسند أبی یعلی ج 3 ص 30 و المعجم الکبیر للطبرانی ج 3 ص 243 و 244 و البیان فی تفسیر القرآن ص 221 و السیره النبویه لابن هشام ج 4 ص 893 و البدایه و النهایه ج 4 ص 372 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 616.

فأما المحسنون، ففعلوا ما أمروا به.

و أما الذين ظلموا فزعموا: (حنطه حمراء) الخ .. (1).

أى أنهم بدل أن يقولوا: حطه.

قالوا: حنطه حمراء، تجاهلا و استهزاء.

و المراد بقولهم: (حطه) هو: حط عنا ذنوبنا يا اللّه.

و تطبيق ذلک على أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى الحديبيه، معناه: أن جماعه الخلص من المؤمنين هم الذين أطاعوا اللّه و رسوله فى قضيه الحديبيه، أما الذين ظلموا فبدّلوا قولا غير الذى قيل لهم، و لم يقبلوا ما جاءهم به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و استخفوا به.

فإعطاء و سام المغفره للجميع لا يتلاءم مع ما أخبر اللّه و رسوله به من أن قوم النبى (صلى اللّه عليه و آله) سوف يفعلون مثل فعل بنى إسرائيل ..

2- إن من الواضح: أن مجرد مسيرهم وفق دلاله الدليل، و وصولهم إلى ثنيه المرار لا يكفى لاعتبار ذلک بمثابه باب حطه. بل هذا بمثابه خروج بنى إسرائيل من أرض التيه، و نجاتهم منها ..9.

1- البحار ج 9 ص 185 و ج 13 ص 180 و 181 و 183 و 187 عن قصص الأنبياء و راجع: مجمع البيان ج 1 ص 118- 120 و مجمع الزوائد ج 6 ص 314 و فتح البارى ج 8 ص 229 و تفسير الإمام العسكرى ص 260 و 545 و مجمع البيان ج 1 ص 230 و جوامع الجامع ج 1 ص 180 و التفسير الصافى ج 1 ص 136 و التفسير الأصفى ج 1 ص 39 و كنز الدقائق ج 1 ص 255 و جامع البيان ج 1 ص 433 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 103 و الدر المنثور ج 1 ص 71 و البدايه و النهايه ج 1 ص 379 و قصص الأنبياء للجزائرى ص 299.

فلا بد أن يتعرضوا لا متحان يشبه ما تعرض له بنو إسرائيل، فإذا اجتازوه، استحقوا المغفره للخطايا، تماما كما استحقها الذين أمروا بأن يدخلوا باب حطه سجدا، و أن يطلبوا حط الذنوب عنهم. و هذا ما لم يحصل من المسلمين بعد، فلماذا يبادر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و یمنحهم هذه المغفره؟! فی حین أن المغفره تحتاج إلی التوبه، و لم یظهر منهم بعد الذنب، ما یدل علی التوبه، أو یشیر إلیها.

3- لقد کان بین المسلمین أیضا أناس من المنافقین، و قد اعتبروا عبد اللّه بن أبی کان رأسهم و قد حضر أیضا الحدیبیه، فهل غفر اللّه له أیضا؟! کما هو صریح العباره المؤکده علی أن المغفره قد نالت کل الحاضرین بدقه تامه، باستثناء رجل واحد، هو راکب الجمل الأحمر؟!

و یدل علی حضور ابن أبی فی غزوه الحدیبیه قولهم: إن قریشا بعثت فی الحدیبیه إلی أبی بن سلول، إن أحببت أن تدخل فتطوف فی البیت، ففعل، فقال له ابنه عبد اللّه: یا أبت أذکرک اللّه ألا تفضحنا فی کل موطن؛ تطوف، و لم یطف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟!

فأبی حینئذ، و قال: لا أطوف حتی یطوف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و فی لفظ: إن لی فی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أسوه حسنه.

فلما بلغ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) امتناعه (رض) أثنی علیه بذلک (1).ی.

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 18 و ستأتی بقیه المصادر لذلک إن شاء اللّه تعالی.

كما أن الجد بن قيس كان فى ذلک الجمع أيضا. و كان يرمى بالنفاق، و قد قالوا: إنه نزل فى حقه فى غزوه تبوک ما يدل على نفاقه.

بل هم يقولون: إنه حين جرت بيعه الرضوان تخلف عنها، و لم يتخلف عنها غيره.

قال بعض من حضر: كأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته، يستتر بها من الناس (1).

فلماذا لم يستثنه النبى (صلى اللّه عليه و آله) ممن غفر له من الحاضرين فى الحديبيه؟!

بل إننا نلاحظ: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، قد أخذ البيعه فى الحديبيه من بعض من حضر ثلاث مرات .. أو مرتين كما كان الحال بالنسبه لسلمه بن الأكوع و غيره ..

و البعض .. و إن كان يعتبر ذلک فضيله لسلمه، و يظنه تنويها بشجاعته التى أظهرها فى غزوه ذى قرد ..

إلا أننا نشک كثيرا فى صحه هذا التعليل، فإنهم يقولون: إن كثيرين من الصحابه كانوا أفضل من ابن الأكوع، و لأجل ذلک هم لا يرضون بتفضيل ابن الأكوع على ما يدّعون أنهم العشره المبشرون بالجنه، و هم يرون: أن أبا بكر، و عمر، و عثمان، و عليا (عليه السلام)، أفضل من سلمه بن الأكوع بمراتب.

و أما شجاعه سلمه .. فلا شک فى أنها لا تصل إلى مستوى شجاعه أبيه.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 17 و ستأتى مصادر أخرى لذلک إن شاء اللّه.

دجانه، أو زيد بن حارثه، أو ابن رواحه، أو الزبير، أو أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام). فلماذا خصه النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأخذ البيعه منه ثلاث مرات دون هؤلاء، و دون غيرهم، من أصحاب المواقف المشهوره؟!

على أننا قد قدمنا: أن ما يذكرونه عنه فى غزوه ذى قرد لا يصح، و الشواهد كلها على خلافه ..

من أجل ذلک كله و سواه نقول: إننا لا نجد تفسيرا مقبولا أو معقولا لطلب البيعه منه أكثر من مره. إلا أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان يتخوف من نكثه، فأراد أن يحرجه بذلک أمام المئات من صحابته .. و أن يشير له: بأنه (صلى اللّه عليه و آله) عالم بدخيله نفسه، فعليه أن يلزم حده، و يقف عنده.

ص: 155

الفصل الثالث: حابس الفيل .. و حقوق الحيوانات

اشاره

بدايه:

لسوف نتحدث فى هذا الفصل عن الاختيار الإلهى لموضع الحديبيه، و حبس اللّه ناقه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هناک، و منعها من مواصله سيرها، ثم نتبع ذلک بفصول تعنى بمتابعه الأحداث التى سبقت و رافقت و لحقت كتابه المعاهده المعروفه ب (صلح الحديبيه) .. التى اعتبرها اللّه سبحانه فتحا مبينا، و نصرا مؤزرا ..

و سوف نحاول أن لا يكون حديثنا ذا اتجاه واحد، أى أننا لا نريد أن نستغرق فى بيان الحيثيات، و الدوافع، و النتائج السياسيه لمعاهده الهدنه، كما أننا لا نريد الاكتفاء بسرد الأحداث، وفقا لما ورد فى الروايات الحديثيه و التاريخيه .. بل نريد أن نعزز ذلک أيضا بالإشاره إلى كل ما يستفاد من حركه الأحداث التى سبقت، و رافقت، ثم لحقت هذا الحدث الهام. سواء فى ذلک، ما له مساس بالنواحى العقائديه، أم السلوكيه، أم التاريخيه، و غير ذلک.

بالإضافه إلى محاوله كشف مواقع الزيف و التزوير فى المواضع المختلفه، بالمقدار الذى يسمح به المجال.

فمن أجل ذلک نورد بعض النصوص المتوفره لدينا وفق ما هى عليه فى مصادرها.

ثم نعقب ذلک ببعض التوضیحات، أو التصحیحات، أو الإثارات التی نحسب أنها ستکون مفیده و سدیده إن شاء اللّه تعالی ..

خلأت القصواء:

قالوا: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) سار من المدینه، فلما دنا من الحدیبیه وقعت یدا راحلته علی ثنیه تهبط فی غائط القوم (1)، فبرکت راحلته، فقال- و فی روایه: فقال الناس-: حل، حل.

فأبت أن تنبعث، و ألحت، فقال المسلمون: خلأت القصواء (2).

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): ما خلأت القصواء؛ و ما ذاک لها بعاده.

و فی لفظ: بخلق. و لکن حبسها حابس الفیل عن مکه.

ثم قال: و الذی نفس محمد بیده، لا یسألونی الیوم خطه فیها تعظیم حرمات اللّه تعالی إلا أعطیتهم إیاها.

ثم زجرها، فقامت، فولی راجعا عوده علی بدئه.

و فی روایه: فعدل عنهم، حتی نزل بأقصی الحدیبیه علی ثمد، ظنون، قلیل الماء الخ .. (3).8.

1- الغائط: المکان المطمئن الواسع.
2- خلأت الناقه: یراد: أنها حرنت، کما تحرن الفرس.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 40 و السیره الحلبیه ج 3 ص 11 و 12 و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) (ط دار الکتاب العربی) ص 367 و السیره النبویه لدحلان ج 2 و المنتظم ج 3 ص 268 و جوامع السیره النبویه ص 164 و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج 2 ق 2 ص 34 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 273 و السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 324 و المواهب اللدنیه (ط دار الکتب العلمیه) ج 1 ص 267 و 268 و فی هامشه عن سنن أبی داود رقم الحدیث 2765 و مسند أحمد ج 4 ص 323 و تفسیر القرآن العظیم ج 4 ص 212 و 591 و الجامع لأحکام القرآن ج 16

ص 275 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 314 و 315 و الكامل فى التاريخ ج 2 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 96 و عن صحيح البخارى ج 3 ص 178 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 218 و عن فتح البارى ج 8 ص 243 و عون المعبود ج 7 ص 316 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 332 و المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 513 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 218 و المعجم الكبير ج 20 ص 10 و كنز العمال ج 10 ص 484 و 489 و إرواء الغليل ج 10 ص 55 و مجمع البيان ج 9 ص 195 و تفسير الميزان ج 18 ص 265 و جامع البيان ج 26 ص 127 و زاد المسير ج 7 ص 160 و الدر المنثور ج 6 ص 76 و الثقات ج 1 ص 297 و تاريخ مدينه دمشق ج 57 ص 226 و البدايه و النهايه ج 4 ص 198.

و نقول:

إن لنا هنا وقفات، هی التالیه:

الحجه البالغه:

لقد ظهرت لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی مسیره هذا معجزات، و کرامات إلهیه و قد رآها، و عاش أجواءها جمیع الذین کانوا معه فی ذلک المسیر، و کلها تدل: علی أن اللّه تعالی یرعی نبیه (صلی اللّه علیه و آله)،

و يسدده فى ما هو بصدده، و هى تقطع لمن كانوا معه، و لغيرهم كل عذر، و تزيل عنهم كل شبهه و ريب، و تفرض عليهم التسليم و الانقياد له (صلى اللّه عليه و آله).

و لكن ما جرى لناقه النبى (صلى اللّه عليه و آله)، حسبما ذكرناه آنفا، قد جاء ليعالج الأمر بطريقه مختلفه، وضعت فيها النقاط على الحروف، و انتقل من التلميح إلى التصريح، فى نفس الأمر الذى عصاه فيه أصحابه (صلى اللّه عليه و آله).

فإن الفيل الذى حبس، فى قضيه أبرهه عند دخول مكه يستجيب لأمر حابسه، و هو اللّه سبحانه، كما أن أمر اللّه هو الذى حبس ناقه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن الاستمرار فى السير لدخول مكه فكان ما أراه سبحانه ..

فما معنى إصرار أصحابه (صلى اللّه عليه و آله) على الدخول فى أمر تدخّل اللّه مباشره لمنعه، و إلغائه .. فإن هذا الإصرار منهم يدخل تصرفهم هذا فى عداد التمرد السافر على اللّه تعالى، بعد البيان الصادق، و التأكيد المتلاحق، تلميحا تاره، و تصريحا أخرى، بالقول و بالعمل و الممارسه ..

و هذا معناه: أنه لم يكن هناک أى مبرر لامتناع الأصحاب عن إطاعه أمر اللّه تعالى لهم بالإحلال من إحرامهم، بالحلق أو التقصير، و الرجوع، حتى انتهى الأمر، بافتضاح المتمردين على أمر اللّه و رسوله أيما فضيحه ..

و يزيد من قباحه فعلهم هذا: أنهم بإحرامهم للعمره إنما يعلنون، بصوره عمليه: أنهم بصدد طاعه اللّه سبحانه، و أنهم زاهدون فى هذه الدنيا، و لا تهمهم أنفسهم، و أنهم تائبون من كل ما بدر منهم من ذنوب، مستسلمون إلى اللّه

سبحانه فی کل ما یختاره لهم، فما معنی أن یعودوا للتمرد علیه و علی رسوله؟! و ما معنی أن یعصوا أوامره؟! و أن یشکوا فی دینهم شکا لم یشکوا مثله قبل ذلک، و لا بعده، کما صرح به بعضهم؟!

و کیف یطیعون رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی المسیر للعمره، و لا یطیعون أمره فی الإحلال منها؟!

و الذی یزید الأمر خطوره و تعقیدا، أن المسلمین حتی حین أحلوا و حلقوا رؤوسهم، قد ظهر منهم أنهم کانوا مرغمین علی هذا الإحلال، حتی إنهم حین کانوا یحلقون رؤوس بعضهم کاد بعضهم أن یقتل بعضا بالجراحات، من شده غمهم و ارتباکهم، و عظیم غیظهم ..

و لا شک بأن قرار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، هو السبب فیما حدث لهم من هم و غم، و أن غضبهم کان منه (صلی اللّه علیه و آله)، حیث لم یرضوا بما رضیه اللّه و رسوله لهم.

فأین هذا من قول زینب صلوات اللّه و سلامه علیها فی مناسبه ما جری علی أقدس الخلق، و هو الإمام الحسین (علیه السلام) و من معه، و صحبه فی کربلاء: (رضا اللّه رضانا أهل البیت).

و حین سألها ابن زیاد کیف رأیت صنع اللّه بأخیک، قالت: ما رأیت إلا جمیلا، و غیر ذلک کثیر ..

فیا ساعد اللّه قلب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی هذا المصاب الجلل، الذی أظهر بوضوح: کیف أنه ما أوذی نبی بمثل ما أوذی (صلی اللّه علیه و آله).

و من جهه أخری: فإن اللّه سبحانه قد صرح: بأن من جمله أسباب منع

المسلمين من دخول مكه على حال الحرب، هو وجود أناس مؤمنين فى مكه، لم يكن المسلمون يعرفون بإيمانهم، و كان دخولهم مكه سوف يلحق الضرر بهم.

قال تعالى: هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ الْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّهٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً (1).

مقارنه .. و استنتاج:

قد قرأنا فى حديث هجره الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله): أنه لما هاجر إلى المدينه، و دخلها، اعترض بنو سالم طريقه، و طلبوا منه أن يقيم عندهم، فقال لهم (صلى اللّه عليه و آله) مشيرا إلى ناقته:

(خلوا سبيلها، فإنها مأموره، و قال أيضا مثل ذلک لبنى بياضه، و بنى ساعده، و بنى الحارث بن الخزرج، و بنى النجار .. فلما برکت عند باب مسجده (صلى اللّه عليه و آله) فى مربد لغلامين من بنى النجار، نزل عنها، و بنى هناک مسجده) (2).ت.

1- الآيه 25 من سوره الفتح.

2- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 343 و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 161 و البحار ج 19 ص 123 و الغدير ج 7 ص 270 و الثقات ج 1 ص 134 و أسد الغابه ج 2 ص 368 و الإصابه ج 3 ص 170 و تاريخ الأمم و الملوک للطبرى ج 2 ص 116 و عن السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 343 و عن عيون الأثر ج 1 ص 255 و راجع حديث الهجره فى أى کتاب تاريخى شئت.

و هذا یعطی: أن هناک حیوانات لها خصوصیتها، و لها مهماتها، التی رصدها اللّه تعالی لها .. فتأتیها الأوامر بتلک المهام، فتنفذها بدقه، بالطرق التی یسرها لها اللّه تعالی.

و قد کانت ناقه الرسول (صلی اللّه علیه و آله) التی هاجر علیها، و التی رکبها فی الحدیبیه من هذا النوع الممیز و الکریم.

و یلاحظ: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله)، لم یقل: إنها مأموره، بل قال:

حبسها حابس الفیل، و قصه ذلک الفیل هی التالیه:

حابس الفیل:

روی أبان بن تغلب، عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) ما جری بین عبد المطلب و أبرهه، و فیه: (.. فردت علیه إبله، فانصرف عبد المطلب نحو منزله، فمر بالفیل فی منصرفه، فقال له: یا محمود.

فحرک الفیل رأسه.

فقال له: أتدری لم جاؤوا بک؟!

فقال الفیل برأسه: لا.

فقال عبد المطلب: جاؤوا بک لتهدم بیت ربک، أفتراک فاعل ذلک؟!

فقال برأسه: لا.

فانصرف عبد المطلب إلی منزله، فلما أصبحوا غدوا الخ ..) (1).0.

1- البحار ج 15 ص 158 و 159 و الکافی ج 1 ص 446 و 447 و 448 و شرح أصول الکافی ج 7 ص 179 و 180 و مستدرک سفینه البحار ج 8 ص 356 و نور الثقلین ج 5 ص 670.

ص: 164

لماذا شبهها بقضيه حبس الفيل؟!:

و إن إشارته (صلى اللّه عليه و آله)، إلى الفيل، و إلى حابسه تعطينا:

أولا: إن اللّه تعالى هو الذى تولى منعه عن دخول مكه، و ليس المانع هو الخوف من قريش.

ثانيا: لقد كان المطلوب هو أن يدخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى مكه بصوره لا ينشأ عنها أيه مشكله .. حتى لو كان دخوله حقا له، و حتى لو ظلموه بمنعه عن ممارسه هذا الحق ..

فالدخول الذى ينتهى بالقتال و كسر حرمه البيت مرفوض، حتى لو كان المانع من هذا الدخول ظالما ..

و قد حبس اللّه الفيل ليشير إلى حرمه هذا البيت، و لتقوم الحجه بذلک على أبرهه و من معه الذين ينكرون حرمته، و يسعون لإسقاطها، حتى إذا أهلكهم اللّه تعالى أهلكهم عن بينه.

ثالثا: لقد كان حبس ناقه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من موجبات زياده يقين أهل الإيمان، و من موجبات تعظيمهم بيت اللّه سبحانه، و تأكيد حرمته فى قلوبهم ..

و نوضح ذلک كما يلى:

لقد ذكرت الروايات: أنه لما بركت ناقه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و ادّعى أصحابه أنها حرنت .. رد عليهم (صلى اللّه عليه و آله) بالإشاره إلى أن لكل ناقه خلقا، و أن ذلک ليس لها بخلق، ثم صرح: بأن السبب إلهى غيبى، و هو: أن حابس الفيل هو الذى حبسها.

أهميه قصه الفيل:

و نريد أن نتوقف قليلا عند هذه الإشاره النبويه المباركه و الهاديه، لنطل منها على بعض اللمحات فى قضيه أصحاب الفيل .. فنقول:

إن هذه القضيه قد أصبحت مفصلا تاريخيا هاما لدى الإنسان العربى، و المكى بصوره خاصه، و قد كان لها عميق التأثير فى روحه و فى وجدانه.

حتى جعلها مبدءا لحساب التاريخ للمواليد، و للأحداث الصغيره و الكبيره، و الحقيره و الخطيره.

و عام الفيل هو العام الذى ولد فيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أرخ به مولده (صلى اللّه عليه و آله)، و ذلک فى السابع عشر من شهر ربيع الأول.

و قد خلد القرآن هذا الحدث الفريد فى سوره قرآنيه، اسمها سوره الفيل، و هى التاليه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ، أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ، وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجارَهٍ مِنْ سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (1).

و الأبابيل: هى الفرق أو الجماعات المتفرقه زمره زمره. و هى جمع لا واحد له ..

و طير أبابيل: أى فرق متتابعه متجمعه.

و السجيل: الطين. و قال البيضاوى: الطين المتحجر.ل.

1- الآيات 1- 5 من سوره الفيل.

موجز عن هلاک جیش أبرهه:

و ملخص القضیه:

أن ملک الیمن قد صمم علی مهاجمه الکعبه و هدمها، فجاء أبرهه إلی مکه فی جیش کثیف، قیل إنه حوالی ستین ألف مقاتل، و معه فیل أبیض عظیم الخلقه لم یر مثله، و یقال: کان معه فیله کثیره أخری أنهی بعضهم عددها إلی ألف فیل!!

و إنما أدخلوا عنصر الفیله فی جیشهم، لأنهم یرون أن هذه الفیله العظیمه الخلقه قادره علی عدم الجدران، حین تنطحها برأسها، و تقوضها بأنیابها الطویله و البارزه. و هی أیضا مصدر تخویف و إرهاب للآخرین، و من وسائل إظهار الشوکه و العظمه و العزه لأصحابها ..

و حین حلّ هذا الجیش فی هذه المنطقه فرّ أهل مکه إلی الجبال، و بقی عبد المطلب. و ربما شخص آخر .. فاستولی أبرهه علی إبل لعبد المطلب، فجاء عبد المطلب إلیه، فعظمه أبرهه و بجله لهیبته. لأنه کان رجلا جلیلا و جمیلا و مهیبا، فطالبه بإبله، فأظهر أبرهه أنه کان یتوقع منه أن یطالبه بالرجوع، فمطالبته بأمر شخصی أفقده المکانه التی کانت له لدیه.

فقال عبد المطلب: إنه هو رب الإبل، و للبیت رب یمنعه.

فلما انصرف عبد المطلب مرّ علی الفیل الأعظم، فسأله إن کان یدری لماذا جاؤوا به إلی هذه الأرض، فأشار إلیه الفیل برأسه: أنه لا یعلم ..

فأخبره أنهم یریدون هدم الکعبه، فهل هو فاعل، فأشار برأسه: أنه لا یفعل ذلک.

ثم بدأ أبرهه هجومه علی مکه و الحرم، فلما وصلوا إلی الحرم امتنع

الفيل الأعظم من دخوله، و بعد عده محاولات فاشله هاجموا ذلک الفيل بسيوفهم، و قتلوه.

ثم جاءت من جهه البحر جماعات من الطيور تشبه طير الخطاف، و کانت تطير قريبه من الأرض و يحمل کل واحد منها ثلاثه أحجار من الطين اليابس، أحدها فى منقاره .. و الآخران فى رجليه .. فلاحق ذلک الجيش، و صار يرميهم بتلک الأحجار، فکان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرق مغفره حديدا کان أو غيره، و يخرق الرأس و البدن، حتى يخرج من دبر ذلک الرجل. بل يضرب الأرض، و يحدث فيها أثرا أيضا.

عبر و عظات:

و قد ذکّر النبى (صلى اللّه عليه و آله) الناس بهذا اللطف الإلهى، و بهذه المعجزه الربانيه التى تجلت فيما جرى لأصحاب الفيل .. مؤکدا بذلک العديد من الحقائق، التى کان الناس يحتاجون إلى تلمسها بصوره حيه، و عميقه .. و منها:

1- التأکيد على معنى التوحيد، و تعميق الاعتقاد باللّه الواحد الأحد القادر، و القاهر .. الذى لا يعجزه شى ء، و لا يلغى إرادته أحد، مهما کان جبارا و عاتيا.

2- إبطال ما يزعمونه لأصنامهم من تأثير فى حياه الناس، مهما کان ضئيلا، و ضعيفا، و لو على مستوى الوهم و التخيل. فإنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها، و لا يمکنها منع الآخرين من تحطيمها، و من التصرفات المختلفه فيها .. فضلا عن أن تکون لها قدره على سحق جبروت الجبارين،

و إبطال كيد الظالمين.

3- و لابد أن يتذكر الناس كلهم قول عبد المطلب لأبرهه، الذى هزّ كيانه، و تطامن له كبرياؤه: إن للبيت رب يمنعه.

4- إن عبد المطلب حين انصرف من عند أبرهه مرّ بالفيل، فقال له: يا محمود، فحرک الفيل رأسه، فقال له: أتدرى لم جاؤوا بک؟!

قال الفيل برأسه: لا.

فقال: عبد المطلب جاؤوا بک لتهدم بيت ربک، أفتراک فاعل ذلک؟

فقال برأسه: لا. فانصرف عبد المطلب إلى منزله (1).

إن على الناس أن يتذكروا ما قاله عبد المطلب للفيل، حيث ناداه باسمه (محمود)، أو وصفه بهذا الوصف. ثم امتناع ذلک الفيل عن دخول الحرم للتعرض للكعبه، الأمر الذى اوجب انفجار غضب سائقيه عليه، فقطعوه بسيوفهم ..

5- إن فى هذا الأمر إلماحا إلى: أن موضوع الإيمان باللّه، و الخضوع لإرادته، أو التمرد عليه، لا يختص بالبشر، بل هو يشمل سائر مخلوقات اللّه تبارک و تعالى، كما أشرنا إليه أكثر من مره فى هذا الكتاب و فى غيره، و أوردنا له الشواهد الكثيره من كتاب اللّه، و من النصوص عن المعصومين (عليهم السلام)، و من الوقائع التاريخيه المختلفه ..4.

1- نور الثقلين ج 5 ص 670 و 671 و 675 و البرهان (تفسير) ج 4 ص 507 و 508 و كنز الدقائق ج 14 ص 446 و 447 و 438 و 440 و 441 و الكافى ج 1 ص 447 و 448 و ج 4 ص 216 و تفسير القمى ج 2 ص 442-444.

6- قد ظهر أن عبد المطلب كان يعلم: أن الفيل يفهم ما يقول. و أنه سوف يجيبه على سؤاله ..

و كان يعلم أيضا: أن الفيل هو الذى يختار أن يفعل، و يختار أن لا يفعل.

7- إن الأمر الذى لابد من التأمل فيه هو: أن الكثير من الناس يخاطبون الحيوانات، و لكنها لا تجيبهم. و لنا أن نطمئن إلى أن هذا الفيل لا يجيب آنئذ غير عبد المطلب لو خاطبه، فهل لعبد المطلب خصوصيه فى إيمانه؟! أو مع اللّه تخوله مخاطبه الحيوانات، و تفرض عليها أن تستجيب له، و تجيبه؟!

و ما هى تلك الخصوصيه؟!

أهى خصوصيه النبوه التى وردت فى حديث عن النبى (صلى اللّه عليه و آله)، مفاده: أن اللّه لم يزل ينقل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من صلب نبى إلى صلب نبى حتى أخرجه من أبيه عبد اللّه؟!

8- اللافت هنا: أن الناس كلهم قد تركوا مكه فى قصه الفيل، و اعتصموا بالجبال المحيطه باستثناء عبد المطلب، الذى أقام على سقايته، و شيبه بن عثمان بن عبد الدار الذى أقام على حجابته (1).

و يفهم من روايات أخرى: أن عبد المطلب بقى وحده (2).

9- و نلاحظ: أن اللّه تعالى لم يرسل على أصحاب الفيل ريحا صرصرا عاتيه، و لم يخسف بهم الأرض، و لا أصابهم بصاعقه. و لا أرسل عليهم8.

1- الميزان (تفسير) ج 20 ص 362 و 363 عن مجمع البيان.
2- النكت و العيون (تفسير الماوردى) ج 6 ص 338.

حاصبا من السماء، و لا أخذهم الطوفان، و لا غير ذلک ..

كما أنه لم يرسل عليهم و حوشا ضاريه، كالأسود أو الذئاب. و لا سلط عليهم النسور و العقبان .. و لا أی طير آخر يعد فی جمله الجوارح؛ لأن ذلک كله يمكن التماس تأويلات و تفسيرات طبيعيه له، قد تضعف من درجه الوعی لمضمونه الصحيح، و تفصل علاقته بالغيب، و تلحق ضررا بالغا بالقناعه بأنه فعل ربانی، و تدخل إلهی مباشر.

فقد يزعم زاعم: أن الجوع و الصدفه هما اللذان جمعا هذه الوحوش فی هذا المكان و الزمان.

و أن الطوفان قد جاء: نتيجه زلزال عظيم حدث فی قاع البحر.

و أن الحاصب قد كان: نتيجه اصطدام بعض الكواكب السياره ببعضها حتی تناثرت مكوناتها، فوصلت إلی الأرض فی هذا الموقع دون سواه حفنه قاتله.

و أن الخسف قد حصل: بسبب تحرک أو انزلاق الصفائح الصخريه و سواها فی الفجوات التی تكون عاده فی أعماق الأرض.

و أن الصاعقه: عباره عن نيازک ضلت طريقها، فأصابت هذا الموقع أو ذاک.

و ذلک كله من شأنه أن يقلل من قيمه حادثه الفيل، أو يحدّ من تأثيرها فی هدايه البشر.

بل أرسل عليهم طيورا صغارا كالخطاف (1)- كما صرحت به النصوص-4.

1- تفسير البرهان ج 4 ص 507 و الصافی ج 5 ص 376 و الكافی ج 4 ص 216 و مختصر تفسير ابن كثير ج 3 ص 677 و 678 و البحر المحيط ج 8 ص 512 و النهر المادی من البحر (بهامش البحر المحيط) ج 8 ص 511 و كنز الدقائق ج 4 ص 441 و الجامع لأحكام القرآن ج 20 ص 192 و 196 و تفسير القاسمی ج 7 ص 390 و نور الثقلين ج 5 ص 671 و حاشيه الصاوی علی الجلالين ج 4 ص 354.

تقصدهم دون سواهم من الناس الحاضرين فى ذلك المحيط. و قد استطاعت أن تقضى على ذلك الجيش المجهز بكل عناصر القوه، بوسائل بسيطه جدا لا يمكن أن تلحق أدنى أذى بالغير، فضلا عن أن تكون سببا فى قتله، أو أن تخترق جسمه و ما يلبسه من حديد، و غيره.

ثم إن هذه الطيور الضعيفه تكرر غاراتها على أهدافها، مره بعد أخرى، فى إشاره و دلاله واضحه على القصد و العمد منها فيما تمارسه من فعل، و أنها تنفذ أمرا موكلا إليها، تعرف حدوده و آثاره، و آفاقه بدقه.

10- إن الطيور العاديه، لم تعرف بقدرتها على الأذى، حتى و هى مستقره على المواضع الصلبه .. و ما شأن الأذى الذى يمكن أن تلحقه طيور عاديه بمخلوق قوى كالإنسان، خصوصا إذا كان قد تسلّح بمختلف أنواع الأسلحه، و تدرّع بكثير من الموانع التى تجعله قادرا على مواجهه أى طارئ.

و لذلك نقول: إن هذا التأثير الخارق، لابد أن يعطى القناعه بأن الأمر غير عادى، و أنه أمر إلهى بكل ما لهذه الكلمه من معنى.

11- و بعد أن أصبحت هذه الطيور الصغيره، و الضعيفه معلقه فى الهواء، تطير بين الأرض و السماء، فإنها ستكون أضعف تأثيرا، و أكثر و هنا، لأنها لا تكاد تستمسك فى حال طيرانها، حين تكون فى أعماق الجو، حتى لو

سکنت الریاح، بل حتی لو ساعدها هبوبها، و خف و سهل علیها التنقل فی کل ساح و ناح.

12- إن هذه الطیور التی یزداد ضعفها فی حال طیرانها، لا تملک قوه تمکنها من قذف محمولاتها إلی حد تستطیع معه إلحاق الأذی بمن تصطدم به مقذوفاتها تلک، بل هی عاجزه عن ذلک تماما ..

هذا لو قلنا: إنها تستطیع حمل ما یکون له وزن یعتد به، خصوصا فی حال طیرانها، إذا أخذنا بنظر الاعتبار مدی فعالیه الوسائل التی جهزت بها لتحقیق طیرانها هذا ..

بل إنها حتی لو استطاعت أن تقذف بما تحمله، باتجاه أی هدف کان، فإن طبیعه هذا المقذوف تأبی أن یکون له أی تأثیر علی الغیر، بل یرتد تأثیره علی نفسه بتلاشیه و تفرق أجزائه.

13- ثم إن هذه الطیور قد حملت معها أشیاء لا یمکن مقارنتها بما کان لدی جیش أبرهه من وسائل الوقایه و الدفاع، أو الهجوم و الاندفاع.

فالطیور کانت تحمل حبات صغیره جدا کالعدسه (1) لیست من جنس الحدید و لا الفولاذ، و لا من الحجاره القاسیه، و لا حتی من الخشب، أو نحو ذلک، بل هی من الطین الذی لا یتحمل الصدمه، بل هو الذی یتأثر بها، و لا یؤثر بالأجسام الأخری شیئا، خصوصا إذا کانت أجساما صلبه کالعظام، أو الحدید، الذی جعل خوذه للمقاتل، أو نحو ذلک ..1.

1- تفسیر البرهان ج 4 ص 507 و التبیان ج 10 ص 410 و الصافی ج 5 ص 377 عن الکافی، و الجامع لأحکام القرآن ج 20 ص 192 و نور الثقلین ج 5 ص 671.

كيف و قد صرحت تلك النصوص: بأن تلك الأحجار الطينيه كانت تخرق الحديد و العظام، و كل تلك الأجسام، من أعلى الهام لتخرج من دبره، ثم تخرق الأرض من تحته، على أن هذه الأحجار حتى لو كانت كبيره و صلبه، و حتى لو كانت حديديه أو مقذوفه من رجال أقوياء، فإنها لا تترک هذا الأثر الذی ترکته هذه الأحجار الطينيه المقذوفه من عصافير فی حال طيرانها.

14- فلا مجال للمقارنه بين قدره الطير على قذف حبه من طين و بين ما كان لدى أبرهه من عده و عديد، و من عضلات و حديد، و من هامات و ضخامات- على حد ضخامه فيله المسمى ب (محمود) (1)، و هو الفيل الأعظم.

و قيل: إن الأمر لم يقتصر عليه، بل جاء بفيله كثيره (2).3.

1- راجع: تفسير الجلالين (ط دار إحياء التراث العربی) ج 4 ص 352 و حاشيه الصاوی على تفسير الجلالين ج 4 ص 353 و 354 و 355 و الكشاف ج 4 ص 797 و النكت العيون (تفسير الماوردی) ج 6 ص 340 و السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 53 و الصافی (تفسير) ج 5 ص 377 عن الأمالی و الجامع لأحكام القرآن ج 20 ص 191. و راجع: مختصر تفسير ابن كثير ج 3 ص 676 و نور الثقلين ج 5 ص 670 و 671 عن الكافی، و البرهان ج 4 ص 507 و 508 و كنز الدقائق ج 14 ص 438 و 440 و 441 و الكافی ج 1 ص 447 و 448 و ج 4 ص 216.
2- تفسير المراغی ج 30 ص 242 و راجع: التبيان ج 10 ص 410 و نور الثقلين ج 5 ص 508 عن قرب الإسناد و كنز الدقائق ج 14 ص 438 و حاشيه الصاوی على تفسير الجلالين ج 4 ص 353.

و حددها بعضهم بثمانيه فيله (1).

و قيل: باثنى عشر فيلا (2).

بل قيل: إنه جاء بألف فيل (3)، مع ستين ألف مقاتل.

نعم لا مجال للمقارنه بين هذا كله، و سواه، و بين طير ضعيف لا يملك سلاحا ظاهرا، بل يملک ثلاث حبات فقط!! من الطين!! يعجز عن قذفها، فيرميها، بمعنى أنه يتركها و يتخلى عنها، لتؤول إلى السقوط و الهبوط.

15- و كانت المعجزه الأكبر، و البرهان الأظهر هى امتناع الفيل عن دخول الحرم رغم محاولاتهم المتكرره معه، حتى انتهى الأمر بهم أن قتلوه بأسيافهم (4).

و ذلک يشير إلى لزوم تعظيم الكعبه و تفخيمها، و إعزازها و تكريمها، و ذلک قضاء إلهى، و توجيه ربانى. كما أن ذلک قد أكد فى نفوس الناس هيبه الحرم و الكعبه، و تأكدت حرمتها، و عرف الناس رعايه اللّه لها، فزادها اللّه بهذا تشريفا و كرامه و عزا.6.

1- النكت و العيون (تفسير الماوردى) ج 6 ص 340 و الجامع لأحكام القرآن ج 20 ص 193 و البحر المحيط ج 8 ص 512 و حاشيه الصاوى على تفسير الجلالين ج 4 ص 353 و الكشاف ج 4 ص 797.
2- مختصر تفسير ابن كثير ج 3 ص 676 و البحر المحيط ج 5 ص 502 و حاشيه الصاوى على تفسير الجلالين ج 4 ص 353 و 354 و الكشاف ج 4 ص 797.
3- البحر المحيط ج 5 ص 512 و حاشيه الصاوى على تفسير الجلالين ج 3 ص 353 و الكشاف ج 4 ص 797.
4- راجع الصافى (تفسير) ج 5 ص 376.

16- ثم كانت النتائج الباهره، بانتصار الإراده الإلهيه القاهره، و خزى الجبارين، و بوار كيد الظالمين و ذل المستكبرين. حتى جعلهم اللّه عبره للمعتبرين، و ذكرى للذاكرين و الحمد للّه رب العالمين.

17- و خلاصه القول: إن ما جرى لأصحاب الفيل لا مجال لفهمه و لا لتفسيره إلا على اساس الغيب، و الرجوع إلى اللّه تعالى فيه .. فإنه لا ينسجم أبدا مع الشرک أو الإلحاد، و لا مع الإنكار لقدره اللّه تبارک و تعالى، أو الانتقاص منها، أو انتقاصها.

ثم هو يهى ء الناس لقبول دعوه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، الذى ولد فى عام الفيل بالذات، حيث إن الناس قد شهدوا تلک المعجزه العظيمه، و هم فى أول وعيهم، أو فى عنفوان شبابهم، و لا زالوا على قيد الحياه، و صاروا هم عقلاء القوم و كبارهم، و أصبح الأمر و النهى إليهم و بيدهم، و هم الشيوخ المجربون و الملأ المكرمون، و هم مهما كابدوا و عاندوا، فإنهم لا يقدرون على مواصله هذا العناد، و المكابره، أمام هذه المعرفه الوجدانيه العميقه و الراسخه ..

و بذلک يكون سبحانه قد سهل على الناس أمر الإيمان، و أقام الحجه عليهم من أيسر السبل و أوضحها، و أبين الدلالات و أصرحها.

للحيوانات أخلاق:

لا شک فى أن للحيوانات أخلاقا، و أنها تختلف فيها، و أن اختلافها فى خلقها يوجب اختلافا فى سلوكها ..

و لسنا بحاجه إلى إيراد الكثير من النصوص الداله على أن لدى الحيوانات

أخلاقا مختلفه، و يكفى أن نحيل القارئ إلى ما روى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: (فى الديک الأبيض خمس خصال من خصال الأنبياء: معرفته بأوقات الصلاه، و الغيره، و السخاء، و الشجاعه، و كثره الطروقه) (1).

كما أن من أخلاق الغراب الطمع، فقد روى مهزم: أنه قال: دخلت على أبى عبد اللّه (عليه السلام) فذكرت الشيعه، فقال: يا مهزم، إنما الشيعه من لا يعدو سمعه صوته ..

إلى أن قال: و لا يطمع طمع الغراب (2).

و قال (عليه السلام): (تعلموا من الغراب ثلاث خصال: إستتاره بالسفاد، و بكوره فى طلب الرزق، و حذره) (3).

و أمثال ذلک كثير، و هو ذائع و شائع، و الحر تكفيه الإشاره. فإن هذه حقيقه أثبتتها التجارب، و أظهرتها الوقائع ..

أخلاق شيطانيه:

هذا .. و قد ذكرت الروايات: أن بعض الحيوانات يكون ذات طبع شيطانى، و بعضها الآخر بخلافه.

و يشهد على ذلک: أن عليا (عليه السلام) أمر أصحابه بأن يعقروا أو يعرقبوا الجمل الذى كانت تركبه عائشه، و قال (عليه السلام): (ما أراه5.

1- الوسائل ج 8 ص 383 و البحار ج 62 ص 3 و كنز العمال ج 12 ص 286 و 287 و 288.
2- البحار ج 65 ص 179 و 184.
3- البحار ج 61 ص 262 و ج 68 ص 339 و ج 100 ص 41 و 285.

يقاتلكم غير هذا الهودج: اعقروا الجمل- و فى روايه- عرقبوه، فإنه شيطان ..) (1).

و كان سلمان (المحمدى) قبل ذلک يضرب ذلک الجمل إذا رأه، فيقال:

يا أبا عبد اللّه، ما تريد من هذه البهيمه؟

فيقول: ما هذا بهيمه! (2) و لكن هذا عسكر بن كنعان الجنى (3).

و عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: (اشتروا عسكرا بسبع مائه درهم.

و كان شيطانا) (4).

أخلاق رضيه:

و قد ذكر أهل المعرفه بالخيل أمورا كثيره عن أخلاقها، و تصرفاتها، و مع غض النظر عن ذلک كله، فإن الروايات قد تحدثت عن: أن0.

1- مناقب آل أبى طالب ج 2 ص 346 و البحار ج 32 ص 182 و 201 و شجره طوبى ج 2 ص 324 و رسائل المرتضى للشريف المرتضى ج 4 ص 36 و راجع: أمالى المفيد ص 59 و الإحتجاج للطبرسى ج 1 ص 240 و البحار 32 ص 187 و ص 201 و ج 60 ص 328 و شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 1 ص 253 و المناقب للخوارزمى ص 188 و الأنوار العلويه للنقدى ص 220 و 207.
2- راجع: البحار ج 22 ص 382 عن اختيار معرفه الرجال ص 9 و مستدرک سفينه البحار ج 7 ص 220.
3- راجع: البحار ج 22 ص 382 و ج 32 ص 147 و اختيار معرفه الرجال (ط مؤسسه أهل البيت) ج 1 ص 58 و معجم رجال الحديث ج 9 ص 200.
4- البحار ج 22 ص 383 عن اختيار معرفه الرجال ص 11 و البحار ج 32 ص 147 و مستدرک سفينه البحار ج 7 ص 220.

للحیوانات التی کانت عند المعصومین (علیهم السلام) آدابا و أخلاقا، و تصرفات ممیزه، و فریده، و النصوص الداله علی ذلک کثیره جدا.

و من أمثله ذلک: ما رواه هارون بن موسی، فقد قال: کنت مع أبی الحسن (علیه السلام) فی مفازه، فحمحم فرسه، فخلی عنه عنانه، فمر الفرس یتخطی إلی أن بال وراث و رجع، فنظر إلیّ أبو الحسن، و قال: إنه لم یعط داود شیئا إلا و أعطی محمد و آل محمد أکثر منه (1).

تفاوت درجاتها فی الشعور و الإدراک:

و نلاحظ أیضا: أن للبهائم درجات متفاوته من حیث مستویات شعورها، و إدراکها، غیر أن هناک أمورا تشترک فیها جمیع الحیوانات.

فقد روی عن الحسین بن علی (علیه السلام)، أنه قال: (ما بهمت البهائم منه، فلم تبهم عن أربعه: معرفتها بالرب تبارک و تعالی، و معرفتها بالموت، و معرفتها بالأنثی و الذکر، و معرفتها بالمرعی الخصب (2). و سیأتی1.

1- البحار ج 49 ص 57 و ج 27 ص 270 و مستدرک سفینه البحار ج 8 ص 174 و الإختصاص ص 299 و مناقب آل أبی طالب ج 3 ص 447 و مسند الإمام الرضا ج 1 ص 205.
2- البحار ج 61 ص 50 و 51 و 3 و الکافی ج 6 ص 539 و الوسائل ج 8 ص 350 و 351 و 352 و 353 و 354. و راجع: من لا یحضره الفقیه ج 2 ص 288 و الأمالی للشیخ الطوسی 594 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 200 و الخصال ص 260 و مستدرک سفینه البحار ج 1 ص 446 و منتقی الجمان ج 3 ص 104 و التفسیر الکبیر للرازی ج 12 ص 212 و الفصول المهمه ج 3 ص 401.

المزید مما یدل علی ذلک إن شاء اللّه.

و قد صرح القرآن الکریم بحشر الوحوش، فقال: وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، و صرحت الروایات: بأن اللّه حین یحشر الحیوانات یوم القیامه سوف یقتص للجماء من القرناء (1).

و الحشر، و الإقتصاص إنما یکون من المذنب المدرک.

ثم إن علمها بموتها و إن کان یستلزم وجود درجه من الشعور و الإدراک لدیها، و لکنه یبقی محدودا، و لیس فی مستوی ما لدی البشر من ذلک.

فقد روی عن النبی (صلی اللّه علیه و آله) و عن علی (علیه السلام): (لو تعلم البهائم من الموت ما یعلم ابن آدم ما أکلتم سمینا قط) (2).-8

1- راجع: البحار ج 61 ص 4 و 6 و ج 7 ص 256 و 257 و 272 و 90 و 91 و 92 و 276 و ج 46 ص 76 و ج 58 ص 4 و 6 و راجع: تفسیر المنار ج 7 ص 397 و جامع البیان ج 7 ص 120 و تفسیر الثعالبی ج 1 ص 518 و نور الثقلین ج 1 ص 592 و الدر المنثور ج 3 ص 11 و التفسیر الکبیر للرازی ج 12 ص 218 و المجازات النبویه ص 99 و شرح أصول الکافی ج 10 ص 187 و مجمع الزوائد ج 10 ص 352 و الرحله فی طلب الحدیث 117 و شرح النهج للمعتزلی ج 9 ص 290 و مجلس فی حدیث جابر ص 41 و کشف الخفاء ج 2 ص 399 و التبیان ج 10 ص 250 و مجمع البیان ج 4 ص 49 و ج 10 ص 249 و 277 و ج 3 ص 297 و تفسیر القرآن للصنعانی ج 2 ص 206 و زاد المسیر ج 3 ص 26 و الجامع لأحکام القرآن ج 6 ص 420 و ج 19 ص 229 و تفسیر القرآن العظیم ج 2 ص 136 و تفسیر الجلالین ص 167 و فتح القدیر ج 5 ص 388 و المستدرک للحاکم ج 2 ص 316.

2- راجع: البحار ج 61 ص 46 و 51 عن من لا یحضره الفقیه ج 2 ص 27 و -188

كما أن مما يشير إلى وجود درجه من الإدراك لدى الحيوانات، ما حكاه اللّه تعالى عن الهدهد و عن النمله مع سليمان، فقد قال تعالى:

.. قالَتْ نَمْلَهٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ، فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ .. (1).

و قال تعالى عن الهدهد:

وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّی بِسُلْطانٍ مُبِينٍ، فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّی وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَیْ ءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ، أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی يُخْرِجُ الْخَبْ ءَ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ، اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ، اذْهَبْ بِكِتابِی هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ، قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّی أُلْقِیَ إِلَیَّ كِتابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّهِل.

1- الآيتان 19 و 20 من سوره النمل.

الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَیَّ وَ أْتُونِی مُسْلِمِینَ.(1)

و قال تعالی: وَ حُشِرَ لِسُلَیْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّیْرِ فَهُمْ یُوزَعُونَ.(2)

و فی هذه الآیات دلالات هامه، و کثیره، و متنوعه. و هی تحتاج فی بیان ما ظهر لنا منها إلی جهد فائق، و تألیف مستقل ..

1- و نکتفی هنا بالقول بأن قصه الهدهد: تدل فی جمله ما تدل علیه:

علی أن التکلیف یتوجه للطیر.

و أنه یصدق و یکذب.

و یطیع، و یعصی.

و یعاقب علی المخالفه.

و یستدل و یحتج.

کما أنها تدل علی:

أنه ینتقل من المجهول إلی المعلوم.

و یعرف أنواع العبادات.

و یمیز بین صحیحها و فاسدها.

و یکتشف ملکا جدیدا.

و یمیّز بین الملک و الرعیه.

و یدرک الفرق بین الذکر و الأنثی.ل.

1- الآیات 20- 31 من سوره النمل.

2- الآيه 17 من سوره النمل.

ثم هو يعرف حجم و عظمه ما اكتشفه و عرفه، و أنه عرش، و أنه عظيم.

ثم هو يعرف الشمس، و يعرف أن عباده أولئک الناس كانت لها.

ثم هو يستدل على فساد عبادتهم، و بطلان أديانهم.

و يعرف السماء و الأرض.

و يعرف أن اللّه تعالى يخرج الخب ء فى السموات و الأرض.

2- أما النمله فقد أدركت أيضا الخطر المتوجه إليها.

و عرفت بأن هناک جيشا فى منطقتها، و عرفت اسم قائد الجيش، و عرفت أن الجيش و كذلک القائد سوف لا يشعر بوجودها لو حطمها.

ثم هى أعطت لمثيلاتها الأوامر المناسبه، للتحرز من ذلک الخطر الداهم.

و سمع سليمان (عليه السلام) ما قالته، و تبسم ضاحكا من قولها.

طاعات و عبادات الحيوانات:

هذا كله، عدا عن أن للحيوانات عباداتها و طاعاتها.

و قد تحدثت الآيات و الروايات عن تسبيح الطير، و الوحوش، و الكلاب، و حيوانات البحار.

قال تعالى: .. وَ إِنْ مِنْ شَىْ ءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (1).

و قد روى عن أبى عبد اللّه (عليه السلام)، أنه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تضربوا الدواب على وجوهها، فإنها تسبح بحمدء.

1- الآيه 44 من سوره الإسراء.

ربها) (1).

و روی عن الإمام الحسین (علیه السلام) ذلک مفصلا، فراجع (2).

و قد ذکرت الروایات: آثار ترکها للتسبیح، فعن أبی عبد اللّه (علیه السلام): (ما یصاد من الطیر إلا ما ضیّع التسبیح) (3).

و قد ورد فی النهی عن الغناء علی الدابه، عن أبی عبد اللّه (علیه السلام):

(أما یستحی أحدکم أن یغنی علی دابته و هی تسبح) (4).7.

1- راجع: البحار ج 14 ص 4 و ج 27 ص 273 و ج 57 ص 171 و ج 61 ص 3 و 10 و 11 و 23 و 29 و 46 و الثاقب فی المناقب ص 165 و مدینه المعاجز ج 5 ص 205 و فیض القدیر ج 4 ص 673 و ج 5 ص 576 و التبیان ج 7 ص 268 و تفسیر مجمع البیان ج 7 ص 104 و البدایه و النهایه ج 6 ص 317.
2- راجع: البحار ج 61 ص 27.
3- راجع: وسائل الشیعه ج 6 ص 6 و ج 8 ص 350 و 351 و مستدرک الوسائل ج 3 ص 65 و البحار ج 61 ص 24 و 46 و 25 عن العیاشی و تفسیر القمی، و قرب الإسناد، و جامع أحادیث الشیعه ج 8 ص 22 و 23 و 33 عن الکافی، و من لا یحضره الفقیه و المصنف لابن أبی شیبه ج 8 ص 146 و کنز العمال ج 2 ص 253 و الدر المنثور ج 4 ص 184 و فتح القدیر ج 3 ص 232 و زاد المسیر ج 5 ص 30 و الأصول السته عشر ص 77 و الفصول المهمه ج 2 ص 128 و المحاسن ج 1 ص 294.
4- البحار ج 61 ص 204 و 206 و ج 73 ص 291 و ج 46 ص 245 و 246 و مستدرک سفینه البحار ج 2 ص 248 و الوسائل ج 8 ص 306 و 307 و المحاسن ص 627.

و نهی عن ضرب وجوه الدواب؛ لأنها تسبح بحمد اللّه (1) .

و النصوص التی تشیر إلی ذلک کثیره، لا مجال لاستقصائها.

و عن أبی ذر: (تقول الدابه: اللهم ارزقنی ملیک صدق یرفق بی، و یحسن إلیّ، و یطعمنی و یسقینی، و لا یعنف علیّ) (2) و نحوه غیره.

و عن الإمام الکاظم (علیه السلام): (ما من دابه یرید صاحبها أن یرکبها إلا قالت: اللهم اجعله بی رحیما) (3) و غیر ذلک مما دل علی: أن الحیوانات تکلمت بأمور ذات مغزی إیمانی، یفید فی توضیح ما نرمی إلیه.

الرفق بالحیوان فی الإسلام:

لقد أولی الإسلام أهمیه بالغه لسلامه الحیوانات و راحتها، و لذلک مظاهر مختلفه من التعامل و سمات متفاوته من الرعایه، و کمثال علی ذلک نذکر هنا: أنه قد روی الحاکم فی الإکلیل بسند صحیح: أنه حینما کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) سائرا إلی فتح مکه و کان فیما بین العرج و الطلوب، نظر إلی کلبه تهر عن أولادها، و هنّ حولها یرضعنها، فأمر جمیل بن سراقه أن یقوم حذاءها، لا یعرض لها أحد من الجیش، و لا لأولادها (4) .2

1- البحار ج 61 ص 201 و 202 و 28 و 29 و 300 و 302 و 303 و 204 و 47 عن الکافی، و المحاسن، و الخصال، و من لا یحضره الفقیه، و الوسائل ج 8 ص 353 و 350 و 351 و 354 عنهم أیضا.
2- البحار ج 61 ص 205 و المحاسن ص 626.
3- المصدران السابقان.
4- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 212.

قانون الرفق بالحيوان:

و بالمناسبه: فإننا نورد هنا بعض ما ورد فی الحدیث الشریف عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و عن الأئمه المعصومین صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین، مما یرتبط بالرفق بالحیوان، و یصح أن یکون نموذجا لقانون شامل فی هذا المجال، مع تأکیدنا علی: أننا قد لا نوفق لاستقصاء ذلک، بل قد یفوتنا منه الکثیر.

فنقول: و اللّه هو الموفق و المسدد ..

لقد أوصت النصوص الشریفه الوارده عن المعصومین بما یلی:

1- الرفق بالبهائم.

2- أن لا توقف و علیها أحمالها (1).

3- أن لا تسقی بلجمها (2).

4- أن لا تحمّل فوق طاقتها.1.

1- دستور معالم الحکم ص 71 و کنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 34 و 35 و 36 و السنن الکبری ج 6 ص 221 و 122 و الجامع الصغیر. و راجع فیه و فیما سبقه أیضا نفس المصادر بالإضافه إلی: المحاسن ج 2 ص 361 و البحار ج 61 ص 203 و الوسائل ج 8 ص 350 و 351 و 394 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 300 و من لا یحضره الفقیه ج 2 ص 292 و مکارم الأخلاق ص 263 و میزان الحکمه ج 1 ص 712 و التفسیر الصافی ج 2 ص 119 و نور الثقلین ج 1 ص 715 و المحجه البیضاء ج 4 ص 71 و المعرفه و التاریخ ج 1 ص 339 و مسند أحمد ج 4 ص 181.
2- دستور معالم الحکم ص 71.

5- أن لا تقف و عليها جهازها (1).

6- أن لا يقف على ظهورها (2).

7- أن لا يكلف الدابه من المشى ما لا تطيقه (3).0.

1- البحار ج 7 ص 276 و ج 61 ص 203 و المحاسن ج 2 ص 361 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 292 و الوسائل ج 8 ص 394 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 300 و مكارم الأخلاق ص 263 و التفسير الصافى ج 2 ص 119 و نور الثقلين ج 1 ص 715.

2- كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 35 و 36 عن أبى داود، و أحمد، و الطبرانى، و غير ذلک. و راجع: مستدرک الحاكم ج 1 ص 444 و ج 2 ص 100 و عون المعبود ج 2 ص 332 و مستدرک الوسائل ج 2 ص 50 و الوسائل ج 8 ص 350 و 351 و 352 و سنن أبى داود ج 3 ص 27 و سنن الدارمى ج 2 ص 286 و السنن الكبرى للبيهقى ج 5 ص 255 و البحار ج 73 ص 271 و ج 61 ص 201 و 220 و 210 و 202 و 205 عن الكافى و المحاسن، و من لا يحضره الفقيه، و الخصال، و أمالى الصدوق، و نوادر الراوندى، و منتهى المطلب (ط قديم) ج 2 ص 648 و التحفه السنيه ص 342 و الحدائق الناضره ج 25 ص 142 و جواهر الكلام ج 31 ص 395 و جامع المدارک ج 4 ص 490 و 491 و فقه الصادق ج 22 ص 348 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 286 و 287 و الخصال ص 330 و مكارم الأخلاق ص 262 و 263 و الفصول المهمه ج 3 ص 348 و 349 و المحاسن ص 633 و الكافى ج 6 ص 539 و 537 و تهذيب الأحكام ج 6 ص 164 و كتاب النوادر ص 121.

3- راجع: البحار ج 61 ص 201 و 202 و 205 و 210 و 227 عن الكافى، و المحاسن، و الخصال، و من لا يحضره الفقيه، و أمالى الصدوق، و الوسائل ج 8 ص 350 و 351 و مستدرک الوسائل ج 2 ص 350 و 351 و مسالک الأفهام ج 8 ص 503 و جواهر الكلام ج 31 ص 397 و فقه الصادق ج 22 ص 348 و سبل السلام ج 4 ص 199 و الحدائق الناضره ج 25 ص 142 و جامع المدارک ج 4 ص 490.

8- أن يكون أول ما يبدأ به حين وصوله للمنزل هو: أن يقدم الماء و العلف للدابه (1).

و ورد الأمر أيضا بما يلى:

9- أن ينظف مرابضها (2).5.

1- منتهى المطلب (ط قديم) ج 2 ص 648 و 996 و التحفه السنيه ص 343 و الحدائق الناضره ج 25 ص 142 و مستند الشيعه ج 13 ص 349 و جواهر الكلام ج 5 ص 116 و ج 31 ص 394 و 395 و العروه الوثقى (ط قديم) ج 2 ص 415 و ج 4 ص 334 و جامع المدارک ج 4 ص 490 و فقه الصادق ج 22 ص 347 و المحاسن ج 2 ص 627 و 633 و الكافى ج 6 ص 537 و دعائم الإسلام ج 1 ص 347 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 286 و الخصال ص 330 و أمالى الصدوق ص 597 و تهذيب الأحكام ج 6 ص 162 و الوسائل ج 8 ص 350 و 351 و ج 15 ص 240 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 260 و ج 15 ص 222 و مكارم الأخلاق ص 262 و كتاب النوادر ص 120 و الفصول المهمه ج 3 ص 348 و البحار ج 59 ص 201 و 202 و 205 و 210 و تفسير الميزان ج 13 ص 122.
2- البحار ج 61 ص 150 و المحاسن ص 641 و الكافى ج 6 ص 544 و الوسائل ج 8 ص 372 و 375.

10- مسح رعام الغنم. أی: ما یخرج من أنوفها (1) .

11- إماطه الأذی عنها (2) .

12- أن یسقی ذوات الأرواح إذا عطشت، حتی لو کانت من الهوام، و من غیر مأکول اللحم (3) .

13- أن لا یحبسها (4) .9.

1- المحاسن ج 2 ص 642 و 641 و البحار ج 61 ص 150 و ج 80 ص 326 و تاج العروس ج 8 ص 314 و مجمع الزوائد ج 2 ص 27.
2- کشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 22 و 113 و 114 و مجمع الزوائد ج 2 ص 27 و ج 4 ص 69 و البحار ج 61 ص 150 و المحاسن ص 641 و 642 و الکافی ج 6 ص 544 و النهایه فی اللغه ج 2 ص 92 و 93 و 95.
3- راجع: المصنف لابن أبی شیبه ج 9 ص 40 و 41 و 43 و البحار ج 62 ص 65 و ج 73 ص 351 و سنن البیهقی ج 8 ص 14 و سنن أبی داود ج 3 ص 24 و جامع أحادیث الشیعه ج 8 ص 511 و 512 و 515 و 516 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 252 و مسند أحمد ج 2 ص 507 و 521 و عن صحیح البخاری ج 1 ص 51 و عن صحیح مسلم ج 7 ص 44 و شرح صحیح مسلم ج 14 ص 242 و مسند أبی یعلی ج 10 ص 423 و صحیح ابن حبان ج 2 ص 110 و الفایق فی غریب الحدیث ج 1 ص 376.
4- مسند أبی یعلی ج 10 ص 346 و المبسوط ج 6 ص 47 و الذکری ص 246 و مسالک الأفهام ج 8 ص 498 و کشف اللثام (ط جدید) ج 7 ص 611 و الحدائق الناضره ج 7 ص 271 و ریاض المسائل ج 2 ص 168 و جواهر الکلام ج 31 ص 395 و سبل السلام ج 3 ص 9 و نیل الأوطار ج 7 ص 144 و فقه السنه ج 3 ص 468 و دعائم الإسلام ج 2 ص 126 و الوسائل ج 8 ص 397 و ج 19 ص 6 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 303 و مکارم الأخلاق ص 129 و عوالی اللآلی ج 1 ص 154 و البحار ج 58 ص 218 و 267 و 268 و ج 59 ص 64 و ج 70 ص 163 و ج 98 ص 378 و مستدرک سفینه البحار ج 10 ص 523 و میزان الحکمه ج 1 ص 317 و مسند أحمد ج 2 ص 188 و 261 و 269 و 286 و ج 2 ص 217 و 457 و 479 و 501 و 507 و 519 و ج 3 ص 374 و 351 و عن صحیح البخاری ج

1 ص 182 و ج 3 ص 77 و ج 4 ص 100 و 152 و سنن الدارمى ج 2 ص 330 و عن صحيح مسلم ج 3 ص 31 و ج 7 ص 43 و ج 8 ص 35 و 98 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 402 و ج 2 ص 1421 و سنن النسائى ج 3 ص 139 و 149 و السنن الكبرى للبيهقى ج 3 ص 324 و ج 5 ص 214 و ج 8 ص 13 و شرح صحيح مسلم ج 6 ص 207 و ج 14 ص 240 و مجمع الزوائد ج 1 ص 116 و ج 10 ص 190 و عن فتح البارى ج 6 ص 254 و مسند الطيالسى ص 199 و 242 و المصنف للصنعانى ج 11 ص 284 و مسند ابن أبى الجعد ص 177 و مسند ابن راهويه ج 1 ص 14 و 147 و منتخب مسند عبد بن حميد ص 252 و الأدب المفرد ص 87 و السنن الكبرى للنسائى ج 1 ص 574 و 580 و صحيح ابن خزيمه ج 2 ص 316 و صحيح ابن حبان ج 2 ص 305 و ج 12 ص 438 و ج 16 ص 534 و المعجم الأوسط ج 1 ص 169 و ج 7 ص 273 و المعجم الكبير ج 24 ص 95 و مسند الشاميين ج 3 ص 120 و ج 4 ص 278 و مسند أبى حنيفه ص 142 و إثبات عذاب القبر ص 71 و الفايق فى غريب الحديث ج 1 ص 320 و رياض الصالحين للنووى ص 623 و موارد الظمآن ص 157 و الجامع الصغير ج 1 ص 646 و العهود المحمديه ص 397 و كنز العمال (ط سوريا) ج 7 ص 823 و ج 8 ص 425 و 428 و ج 15 ص 38 و ج 16 ص 8 و فيض القدير ج 3 ص 698 و كشف الخفاء ج 1 ص 403 و إرواء الغليل ج 3 ص 128 و ج 7 ص 240 و كنز الدقائق ج 1 ص 157 و الجامع لأحكام القرآن ج 7 ص 216 و تفسير الثعالبى ج 5 ص 175 و تاريخ مدينه دمشق ج 63 ص 282 و ج 67 ص 351 و ج 4 ص 374 و تهذيب الكمال ج 2 ص 59 و ج 31 ص 153 و سير أعلام النبلاء ج 4 ص 554 و ج 12 ص 501 و ذكر أخبار إصبهان ج 2 ص 184 و البدايه و النهايه ج 2 ص 169 و النصائح الكافيه ص 89.

14- أن لا تربط حتى تموت جوعا أو عطشا (1).

15- أن لا تقتل البهيمه عبثا (2).4.

1- البحار ج 61 ص 267 و ج 62 ص 64 و 65 و ج 73 ص 351 و السنن الكبرى للبيهقى ج 8 ص 13 و 14 و الوسائل ج 8 ص 397 و دعائم الإسلام ج 2 ص 126 و مسند أحمد ج 2 ص 188 و ج 3 ص 374 و عن صحيح مسلم ج 3 ص 31 و سنن النسائى ج 3 ص 139 و 149 و شرح صحيح مسلم للنووى ج 6 ص 207 و عن فتح البارى ج 6 ص 254 و شرح سنن النسائى ج 3 ص 139 و مسند الطيالسى ص 244 و عن السنن الكبرى للنسائى ج 1 ص 574 و 580 و صحيح ابن خزيمه ج 2 ص 316 و صحيح ابن حبان ج 12 ص 439 و مسند أبى حنيفه ص 142 و إثبات عذاب القبر ص 71 و موارد الظمآن ص 157 و كنز العمال ج 7 ص 823 و 829 و ج 8 ص 425 و إرواء الغليل ج 3 ص 128.

2- راجع: البحار ج 61 ص 4 و 306 و 270 و 8 و ج 62 ص 15 و 328 و مستدرک الوسائل ج 16 ص 158 و سنن الدارمى ج 2 ص 84 و المصنف للصنعانى ج 4 ص 450 و 451 و نيل الأوطار ج 8 ص 295 و فقه السنه ج 3 ص 309 و دعائم الإسلام ج 2 ص 175 و مسند أحمد ج 4 ص 389 و سنن النسائى ج 7 ص 239 و مجمع الزوائد ج 4 ص 30 و الآحاد و المثانى ج 3 ص 214 و عن السنن الكبرى للنسائى ج 3 ص 73 و صحيح ابن حبان ج 13 ص 214 و المعجم الكبير ج 7 ص 317 و ج 22 ص 245 و مسند الشهاب ج 1 ص 312 و موارد الظمآن ص 263 و كنز العمال ج 15 ص 37 و 40 و فيض القدير ج 6 ص 250 و التاريخ الكبير ج 4 ص 277 و الكامل ج 3 ص 189 و ج 5 ص 82 و تاريخ بغداد ج 8 ص 11 و أسد الغابه ج 5 ص 118 و تهذيب الكمال ج 8 ص 298 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 134 و الإصابه ج 6 ص 532 و النهايه فى غريب الحديث ج 3 ص 169 و 184.

16- أن لا يتخذ أحد شيئا فيه روح غرضا، ليرميه بسهامه (1).4.

1- المصنف لابن أبی شیبه ج 5 ص 397 و 368 و المصنف للصنعانی ج 4 ص 454 و البحار ج 73 ص 359 و ج 61 ص 268 و 282 و مجمع الزوائد ج 5 ص 265 و ج 4 ص 31 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1063 و مستدرک الحاکم ج 2 ص 34 و عون المعبود ج 3 ص 59 و سنن أبی داود ج 3 ص 100 و فتح الباری ج 9 ص 554 و عن مقدمه فتح الباری ص 374 و سنن الدارمی ج 2 ص 83 و عن البخاری ج 7 ص 121 و 122 و نیل الأوطار ج 8 ص 249 و مسند أحمد ج 1 ص 216 و 273 و 297 و 285 و 274 و 280 و 340 و 345 و ج 2 ص 86 و 141 و سبل السلام ج 4 ص 86 و عن صحیح مسلم ج 6 ص 73 و سنن الترمذی ج 3 ص 18 و سنن النسائی ج 7 ص 238 و السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 70 و 71 و شرح صحیح مسلم ج 1 ص 114 و ج 13 ص 108 و الدیباج علی مسلم ج 5 ص 24 و شرح سنن النسائی ج 7 ص 238 و مسند الطیالسی ص 341 و مسند ابن أبی الجعد ص 85 و السنن الکبری للنسائی ج 3 ص 72 و 73 و مسند أبی یعلی ج 10 ص 21 و شرح معانی الآثار ج 3 ص 181 و صحیح ابن حبان ج 12 ص 422 و المعجم الأوسط ج 2 ص 46 و 314 و المعجم الکبیر ج 11 ص 219 و 220 و 352 و ج 12 ص 73 و ج 20 ص 386 و الکفایه فی علم الروایه ص 140 و الأذکار النوویه ص 353 و ریاض الصالحین للنووی ص 632 و عن الجامع الصغیر ج 2 ص 707 و 729 و کنز العمال ج 4 ص 351 و فیض القدیر ج 6 ص 448 و 503 و تاریخ ابن معین للدوری ج 2 ص 208 و العلل ج 2 ص 85 و التاریخ الکبیر ج 1 ص 206 و ضعفاء العقیلی ج 3 ص 96 و الکامل ج 5 ص 342 و طبقات المحدثین بإصبهان ج 3 ص 478 و تاریخ بغداد ج 5 ص 438 و تاریخ مدینه دمشق ج 36 ص 420 و الموضوعات ج 1 ص 151 و تهذیب الکمال ج 22 ص 513 و تهذیب التهذیب ج 8 ص 164.

17- أن لا تطرق الطيور ليلا، فإن الليل أمان لها (1).

18- أن لا تؤخذ فراخ الطير من أوكارها حتى تنهض، أو حتى يريش و يطير (2). فإن الفرخ فی ذمه اللّه ما لم يطر.

19- أن لا تصبر البهائم (3).1.

1- مجمع الزوائد ج 4 ص 30 و كنز العمال (ط الهند) ج 21 ص 2 و راجع: ج 16 ص 239 عن الكافی و التهذيب، و الإستبصار ج 4 ص 64 و البحار ج 59 ص 286 و مستدرک سفينه البحار ج 6 ص 436 و الحد الفاصل للرامهرمزی ص 259. و أما ما نقل عن الإمام الرضا (عليه السلام): فقد قيل له: جعلت فداک، ما تقول فی صيد الطير فی أوكارها و الوحش فی أوطانها ليلا، فإن الناس يكرهون ذلک؟ فقال: لا بأس بذلک. فهو ناظر إلى إراده نفی تحريم ذلک، فلا ينافی ما ذكرناه.
2- الأشعثيات ص 75 و الوسائل ج 16 ص 239 و 240 و 241 و فی هوامشه عن الكافی (الفروع) ج 2 ص 143 و عن التهذيب ج 2 ص 342 و ج 9 ص 22 و راجع: مستدرک الوسائل ج 3 ص 63 و الإستبصار ج 4 ص 65 و الكافی ج 6 ص 216.
3- نيل الأوطار ج 8 ص 249 و 250 و دعائم الإسلام ج 2 ص 175 و المجازات النبويه ص 408 و مستدرک الوسائل ج 16 ص 158 و البحار ج 62 ص 328 و مسند أحمد ج 3 ص 117 و 171 و 191 و عن صحيح البخاری ج 6 ص 228 و عن صحيح مسلم ج 6 ص 72 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1063 و شرح معانی الآثار ج 3 ص 183 و المعجم الأوسط ج 2 ص 331 و رياض الصالحين ص 633 و موارد الظمآن ص 263 و الجامع الصغير ج 2 ص 700 و 704 و سنن أبی داود ج 1 ص 643 و سنن النسائی ج 7 ص 238 و السنن الكبرى للبيهقی ج 9 ص 234 و 334 و ج 10 ص 24 و شرح صحيح مسلم ج 13 ص 107 و مجمع الزوائد ج 4 ص 108 و ج 5 ص 265 و عن فتح الباری ج 9 ص 529 و الديباج على مسلم ج 5 ص 24 و حاشيه السندی على النسائی ج 7 ص 238 و تحفه الأحوذی ج 4 ص 170 و ج 5 ص 39 و عون المعبود ج 8 ص 8 و مسند الطيالسی ص 275 و المصنف للصنعانی ج 4 ص 454 و المصنف لابن أبی شيبه ج 4 ص 633 و السنن الكبرى للنسائی ج 3 ص 72 و المنتقى من السنن المسنده ص 226 و اللمع فی أسباب ورود الحديث ص 65 و كنز العمال ج 5 ص 393 و ج

15 ص 39 و فيض القدير ج 3 ص 243 و ج 6 ص 441 و 431 و الجامع لأحكام القرآن ج 5 ص 391 و الدر المنثور ج 2 ص 223 و فتح القدير ج 1 ص 518 و سبل الهدى و الرشاد ج 7 ص 391.

20- و أن لا يمثّل بها (1).8.

1- راجع فى هذا و فى سابقه: كشف الأستار عن مسند البزار ج 2 ص 274 و مجمع الزوائد ج 5 ص 265 و سنن الدارمى ج 2 ص 83 و عون المعبود ج 3 ص 4 و مستدرک الوسائل ج 3 ص 70 و دعائم الإسلام ج 2 ص 173 و 175 و البحار ج 61 ص 282 و ج 62 ص 328 و 329 و ج 46 ص 252 و عن البخارى ج 7 ص 121 و سنن الترمذى ج 4 ص 23 و الفايق فى غريب الحديث ج 3 ص 225. و راجع فى النهى عن المثله بالحيوان المصادر التاليه أيضا: البحار ج 62 ص 30 و ج 61 ص 282 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 63 و المصنف للصنعانى ج 4 ص 454 و كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 36 و 37 و 38 و 67 عن أحمد و البيهقى، و النسائى، و الطبرانى، و نهج البلاغه الرساله رقم 47 و لسان العرب ج 11 ص 615، و النهايه فى اللغه، و مستدرک الوسائل ج 3 ص 70 و 71 و ج 2 ص 59 و صحيح ابن حبان ج 1 ص 170 و النهايه فى غريب الحديث ج 4 ص 294 و تاج العروس ج 8 ص 111 و مسند أحمد ج 1 ص 338 و ج 2 ص 43 و 103 و المستدرک للحاكم ج 4 ص 234 و نصب الرايه ج 3 ص 223 و المصنف لابن أبى شيبه ج 4 ص 633 و ج 6 ص 434 و شرح معانى الآثار ج 3 ص 182 و الكامل ج 2 ص 152 و بدايه المجتهد ج 1 ص 300 و سبل السلام ج 4 ص 47 و نيل الأوطار ج 6 ص 334 و ج 7 ص 335 و ج 8 ص 251 و من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 346 و علل الشرايع ج 2 ص 484 و موارد الظمآن ص 263 و السير الكبير ج 3 ص 1029 و تنزيه الأنبياء ص 218.

21- و جاء الأمر بذبح الدابه، و أن لا تعرقب، إذا حرنت فى أرض العدو (1).

22- أن يأمن الطير ما دام فى وكره (2).

أى أن صيده و هو فى وكره ممنوع، سواء أكان مكثه فى وكره بالليل، أم فى النهار.8.

1- وسائل الشيعه ج 16 ص 307 و 308 و ج 8 ص 396 و ج 5 ص 52 و الكافى ج 5 ص 49 و التهذيب ج 6 ص 173 و ج 9 ص 82، و البحار ج 61 ص 222 و 23 و ج 94 ص 25 عن الكافى و عون المعبود ج 2 ص 333 و سنن أبى داود ج 3 ص 29 و المحاسن ج 2 ص 634 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 301 و ج 16 ص 157.
2- البحار ج 62 ص 275 و الوسائل ج 16 ص 239 و 240 و 241 و 117 و راجع: مستدرک الوسائل ج 3 ص 63 و دعائم الإسلام ج 2 ص 168.

23- لا ینتف الریش إذا کان الحیوان حیا (1).

24- لا یحرق الحیوان (2).

25- أن یقلّم الذی یحلب الحیوان أظافره، حتی لا یؤذی ضرع الحیوان بأظافره حال الحلب (3).

26- أن لا یجر الحیوان بأذنه، و إنما برقبته (4).

و من وصایا علی (علیه السلام) لجابی الزکاه:

27- أن لا یفرق بین الناقه و بین ولدها فی أخذ الزکاه (5).9.

1- البحار ج 61 ص 223 عن أمالی الطوسی، و عن ثواب الأعمال، و السنن الکبری ج 8 ص 13.
2- البحار ج 61 ص 267 و ج 73 ص 329 و ج 30 ص 515 و الوسائل ج 12 ص 220 و ج 8 ص 379 و منتهی المطلب (ط ق) ج 2 ص 924 و الحدائق الناضره ج 18 ص 100 و نیل الأوطار ج 8 ص 139 و من لا یحضره الفقیه ج 4 ص 5 و الأمالی للصدوق ص 510 و مکارم الأخلاق ص 425 و مستدرک سفینه البحار ج 2 ص 507 و مکاتیب الرسول ج 2 ص 141 و شرح صحیح مسلم ج 12 ص 218 و عن فتح الباری ج 6 ص 130 و تحفه الأحوذی ج 5 ص 24 و عون المعبود ج 7 ص 273 و السیر الکبیر ج 3 ص 1045.
3- مسند أحمد ج 3 ص 484 و مجمع الزوائد ج 5 ص 259 و 168 و ج 8 ص 196 و کشف الأستار عن مسند البزار ج 2 ص 273 و السنن الکبری للبیهقی ج 8 ص 14 و راجع: المعجم الکبیر ج 5 ص 67 و کنز العمال ج 15 ص 423 و أسد الغابه ج 2 ص 163 و 367.
4- سنن ابن ماجه ج 2 ص 1059.
5- نهج البلاغه (شرح عبده) ج 3 ص 25 و المقنعه ص 256 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 69.

28- أن لا يلح عليها بالحلب، حتى لا يتضرر ولدها (1).

29- أن يفرق ركوبه على ما معه من الدواب، و لا يحصره بواحده منها (2).

30- أن يريح الجمل الذى يتعب، و يرفق به (3).

31- أن يراعى حال الجمل الذى نقب خفه و تخرق (4).

32- أن يراعى حال الجمل الذى يغمز فى مشيته (5).

33- أن لا ينفّر بهيمه، و لا يفزعها.

34- أن لا يتعبها (6).0.

1- نهج البلاغه (شرح عبده) ج 3 ص 25 و المقنعه ص 256 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 69 و الغارات ج 1 ص 128 و منتهى المطلب (ط قديم) ج 1 ص 481 و تذكره الفقهاء (ط حجريه) ج 1 ص 232 و ج 5 ص 247 و مدارک الأحكام ج 5 ص 210 و ذخيره العباده ج 3 ص 454 و جواهر الكلام ج 15 ص 334 و الكافى ج 3 ص 537 و الوسائل ج 6 ص 89 و 91 و البحار ج 33 ص 525 و ج 41 ص 127 و ج 94 ص 91 و نهج السعاده ج 8 ص 114 و ميزان الحكمه ج 30 ص 1933 و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 152 و منتقى الجمان ج 2 ص 420.
2- نفس المصادر السابقه.
3- نفس المصادر السابقه.
4- نفس المصادر السابقه.
5- نفس المصادر السابقه.
6- ذكر هذه الخصوصيه أيضا فى: كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 37 و نهج البلاغه (شرح عبده) ج 3 ص 25 و المقنعه ص 256 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 69 و الغارات ج 1 ص 128 و منتهى المطلب (ط ق) ج 1 ص 481 و تذكره الفقهاء (ط حجريه) ج 1 ص 232 و ج 5 ص 247 و مدارک الأحكام ج 5 ص 210 و ذخيره العباده ج 3 ص 454 و جواهر الكلام ج 15 ص 334 و الكافى ج 3 ص 537 و الوسائل ج 6 ص 89 و 91 و البحار ج 33 ص 525 و ج 41 ص 127 و ج 94 ص 91 و نهج السعاده ج 8 ص 114 و

ميزان الحكمه ج 30 ص 1933 و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 152 و منتقى الجمان ج 2 ص 420.

ص: 197

35- أن لا يعنف فی سوقها.

36- أن لا یجهدها برکوبه (1).

37- أن یوردها المیاه التی تمر بها (2).0.

1- نهج البلاغه (شرح عبده) ج 3 ص 25 و المقنعه ص 256 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 69 و الغارات ج 1 ص 128 و منتهی المطلب (ط قدیم) ج 1 ص 481 و تذکره الفقهاء (ط حجریه) ج 1 ص 232 و ج 5 ص 247 و مدارک الأحکام ج 5 ص 210 و ذخیره العباده ج 3 ص 454 و جواهر الکلام ج 15 ص 334 و الکافی ج 3 ص 537 و الوسائل ج 6 ص 89 و 91 و البحار ج 33 ص 525 و ج 41 ص 127 و ج 94 ص 91 ونهج السعاده ج 8 ص 114 و میزان الحکمه ج 30 ص 1933 و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 152 و منتقی الجمان ج 2 ص 420.

2- نهج البلاغه (شرح عبده) ج 3 ص 25 و المقنعه ص 256 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 69 و الغارات ج 1 ص 128 و منتهی الطلب (ط قدیم) ج 1 ص 481 و تذکره الفقهاء (ط حجریه) ج 1 ص 232 و ج 5 ص 247 و مدارک الأحکام ج 5 ص 210 و ذخیره العباده ج 3 ص 454 و جواهر الکلام ج 15 ص 334 و الکافی ج 3 ص 537 و الوسائل ج 6 ص 89 و 91 و البحار ج 33 ص 525 و ج 41 ص 127 و ج 94 ص 91 و نهج السعاده ج 8 ص 114 و میزان الحکمه ج 30 ص 1933 و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 152 و منتقی الجمان ج 2 ص 420.

38- أن لا یعدل بها عن مواضع النبات إلی جوادّ الطرق (1) فإن جاده الطریق لا نبات فیها.

39- أن یروحها فی الساعات (2).

40- أن یمهلها عند ما تمر بالمیاه القلیله أو بالأعشاب (3).0.

1- ذکر هذه الخصوصیه أیضا فی: البحار ج 61 ص 201 و 202 و ج 25 ص 210 و 211 و ج 33 ص 525 و ج 41 ص 127 و ج 94 ص 91 و الوسائل ج 6 ص 89 و 92 و 91 و ج 8 ص 324 و 350 و 351 و نهج البلاغه ج 3 ص 25 و المقنعه ص 256 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 69 و الغارات ج 1 ص 128 و منتهی المطلب (ط قدیم) ج 1 ص 481 و تذکره الفقهاء (ط حجریه) ج 1 ص 232 و ج 5 ص 247 و مدارک الأحکام ج 5 ص 210 و ذخیره العباده ج 3 ص 454 و جواهر الکلام ج 15 ص 334 و الکافی ج 3 ص 537 و نهج السعاده ج 8 ص 114 و میزان الحکمه ج 30 ص 1933 و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 152 و منتقی الجمان ج 2 ص 420.
2- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج 3 ص 25 و المقنعه ص 256 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 69 و الغارات ج 1 ص 128 و منتهی المطلب (ط قدیم) ج 1 ص 481 و تذکره الفقهاء (ط حجریه) ج 1 ص 232 و (ط أخری) ج 5 ص 247 و مدارک الأحکام ج 5 ص 210 و ذخیره العباده ج 3 ص 454 و جواهر الکلام ج 15 ص 334 و الکافی ج 3 ص 537 و الوسائل ج 6 ص 89 و 91 و البحار ج 33 ص 525 و ج 41 ص 127 و ج 94 ص 91 و نهج السعاده ج 8 ص 114 و میزان الحکمه ج 30 ص 1933 و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 152 و منتقی الجمان ج 2 ص 420.
3- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج 3 ص 25 الوصیه رقم 25 و راجع: الکافی ج 3 ص 536 و 537 و المقنعه للشیخ المفید ص 542 و 256 و السرائر ص 107 و مستدرک الوسائل (ط حجریه) ج 1 ص 516 و (ط مؤسسه أهل البیت) ج 7 ص 69 و ج 6 ص 89 و 91 و روضات الجنات ج 8 ص 122 و ربیع الأبرار الباب 52 باختلاف یسیر، و البحار ج 93 ص 90 و 91 و ج 8 ص 733 ج 33 ص 525 و ج 41 ص 127 و ج 94 ص 91 و الغارات ج 1 ص 128- 130 و منتهی المطلب (ط قدیم) ج 1 ص 481 و تذکره الفقهاء (ط حجریه) ج 1 ص 232 و ج 5 ص 247 و مدارک الأحکام ج 5 ص 210 و ذخیره العباده ج 3 ص 454 و جواهر الکلام ج 15 ص 334 و نهج السعاده

ج 8 ص 114 و ميزان الحكمه ج 30 ص 1933 و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 152 و منتقى الجمان ج 2 ص 420.

41- أن لا يضرب الدابه إذا مشت تحته كمشيتها إلى مذودها (1).

42- أن لا يضرب الدابه على وجهها (2).8.

1- الوسائل ج 8 ص 354 و 353 و 356 و 350 و 351 و 357 ج 6 ص 89 و 91 و البحار ج 61 ص 210 و 215 و 213 و 317 ج 33 ص 525 و ج 41 ص 127 و ج 94 ص 91 عن أمالى الصدوق، و عن من لا يحضره الفقيه، و عن الكافى، و الجامع للشرايع ص 398 و الكافى ج 6 ص 538 و ج 3 ص 537 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 286 و تهذيب الأحكام ج 6 ص 164 و مكارم الأخلاق ص 263 و نهج البلاغه (شرح عبده) ج 3 ص 25 و المقنعه ص 256 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 69 و الغارات ج 1 ص 128 و منتهى المطلب (ط قديم) ج 1 ص 481 و تذكره الفقهاء (ط حجريه) ج 1 ص 232 و ج 5 ص 247 و مدارک الأحكام ج 5 ص 210 و ذخيره العباده ج 3 ص 454 و جواهر الكلام ج 15 ص 334 و نهج السعاده ج 8 ص 114 و ميزان الحكمه ج 30 ص 1933 و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 152 و منتقى الجمان ج 2 ص 420.

2- الوسائل ج 8 ص 324 و 350 و 351 و 353 و 354 و ج 6 ص 350 و مستدرک الوسائل ج 3 ص 64 و البحار ج 61 ص 201 و 202 و 203 و 204 و 205 و 210 و 212 و 213 و ج 73 ص 271 عن الكافى ج 6 ص 538 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 287، و المحاسن ج 2 ص 628 و 633 و الخصال ص 618، و أمالى الصدوق ص 597، و نوادر الراوندى، و المصنف لابن أبى شيبه ج 5 ص 407 و 408 و ج 4 ص 640 و كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 36 و 37 و 38 و 67 و سنن أبى داود ج 3 ص 26 و السنن الكبرى للبيهقى ج 5 ص 255 و 254 و عون المعبود ج 2 ص 331 و ج 7 ص 166 و الجامع للشرايع ص 398 و منتهى المطلب (ط قديم) ج 2 ص 996 و الموسوعه الفقهيه الميسره ج 3 ص 239 و مكارم الأخلاق ص 263 و تحف العقول ص 108 و مستدرک سفينه البحار ج 5 ص 54 و ميزان الحكمه ج 1 ص 713 و صحيح ابن حبان ج 12 ص 437 و نيل الأوطار ج 8 ص 250 و شرح صحيح مسلم ج 14 ص 96 و فقه السنه ج 3 ص 509 و تحفه الأحوذى ج 5 ص 300 و الجامع الصغير ج 1 ص 240 و فيض القدير ج 2 ص 207 و إرواء الغليل ج 7 ص 242 و تفسير الميزان ج 13 ص 121 و التحفه السنيه ص 330 و 343 و تفسير العياشى ج 2 ص 294 و نور الثقلين ج 3 ص 168.

43- أوصى الإمام السجاد (عليه السلام) بالجمل الذى حج عليه مرارا، أن يدفن بعده إذا مات، حتى لا تأكل لحمه السباع (1).5.

1- راجع: البحار ج 61 ص 206 و راجع ص 204 و 212 و 215 و ج 46 ص 70 و 71 و ج 93 ص 386 و المحاسن ج 2 ص 635 و عن من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 191 عن الإرشاد للمفيد (ط مكتبه الآخندى) ص 240 و الوسائل ج 8 ص 353 و 354 و 395 و 396 عن المحاسن، و من لا يحضره الفقيه، و الإرشاد، و ثواب الأعمال ص 50، و الخصال ص 518 و المحجه البيضاء ج 4 ص 235 و شرح الأخبار ج 3 ص 554 و مستدرک سفينه البحار ج 10 ص 188 و درر الأخبار ص 328 و شرح معانى الآثار ج 4 ص 209 و نور الثقلين ج 1 ص 715.

44- إذا ركب الدابه، فعليه أن يحملها على ملاذّها (1).

45- أن يعطيها حقها من المنازل (2).

46- أن لا يركبها إلا إذا كانت صحيحه سالمه (3).

47- أن لا يتخذها كراسى للحديث فى الطرق و الأسواق (4).

و على حد تعبير بعضهم: أن لا يجعل الحيوان المتصرف (أى المتحرک) بمنزله الجماد الثابت، و الشى ء النابت.

أى أن عليه: أن لا يفرض على الحيوان الوقوف، و عدم الحركه.

فقد قال الشريف الرضى: (و من ذلک قوله عليه الصلاه و السلام، و قد مر على قوم وقوف على ظهور دوابهم و رواحلهم، يتنازعون الأحاديث،4.

1- كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 35 عن الدارقطنى فى الأفراد، و الفايق فى غريب الحديث ج 3 ص 198 و الجامع الصغير ج 1 ص 100 و فيض القدير ج 1 ص 468.
2- كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 35.
3- كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 35 و 37 عن الطبرانى، و مستدرک الحاكم، و أحمد، و أبى داود، و صحيح ابن خزيمه، و ابن حبان و غير ذلک.
4- المجازات النبويه ص 437 و ميزان الحكمه ج 1 ص 712 و مسند أحمد ج 3 ص 439 و 440 و مجمع الزوائد ج 8 ص 107 و ج 10 ص 140 و الجامع الصغير ج 1 ص 146 و فيض القدير ج 1 ص 161 و تفسير الميزان ج 13 ص 122 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 45 و الدر المنثور ج 4 ص 111 و 183 و تاريخ مدينه دمشق ج 9 ص 388 و 387 و بغيه الباحث ص 270 و صحيح ابن خزيمه ج 4 ص 142 و صحيح ابن حبان ج 12 ص 437 و المعجم الكبير ج 20 ص 193 و موارد الظمآن ص 491 و ذيل تاريخ بغداد ج 5 ص 96 و الإصابه ج 1 ص 282 و البحار ج 61 ص 205 و 214.

فقال علیه الصلاه و السلام:

(لا تتخذوها کراسی لأحادیثکم فی الطرق و الأسواق، فرب مرکوب خیر من راکبه).

و هذه استعاره، کأنه علیه الصلاه و السلام شبّه الدواب و الرواحل فی حاله إطاله الوقوف علی ظهورها، بالکراسی التی یجلس علیها، لأنها تثبت فی مواضعها، و لا تزول إلا بمزیل لها، فنهی علیه الصلاه و السلام أن یجعل الحیوان المتصرف بمنزله الجماد الثابت، و الشی ء النابت) (1).

48- أن لا یسمها فی وجوهها و فی خدها (2)، و إنما فی أذنها.

49- أن یرفق فی السیر إذا سار بها فی أرض مخصبه، و یسرع السیر إذا9.

1- المجازات النبویه ص 437.
2- المصنف لابن أبی شیبه ج 5 ص 407 و کنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 36 و 37 و 38 عن أحمد، و مسلم، و الترمذی، و أبی داود، و الطبرانی، و عبد الرزاق، و الدارقطنی فی المؤتلف، و البارودی، و ابن قانع، و ابن السکن، و ابن شاهین، و أبی نعیم، و سعید بن منصور، و راجع: عون المعبود ج 2 ص 332 و البحار ج 61 ص 202 و 228 و 205 و 215 و 226 و 227 و 210 و المصنف للصنعانی ج 4 ص 458 و الوسائل ج 8 ص 354 و 355 و 353 و سنن أبی داود ج 3 ص 26 و السنن الکبری للبیهقی ج 5 ص 255 و عن فتح الباری ج 9 ص 579 و عن البخاری ج 7 ص 126 و المحاسن ج 2 ص 633 و 627 و جامع المدارک ج 4 ص 490 و فقه الصادق ج 22 ص 347 و الکافی ج 6 ص 537 و الفصول المهمه ج 3 ص 349 و تفسیر المیزان ج 13 ص 122 و المبسوط ج 1 ص 261 و البیان ص 201 و مجمع الفائده ج 4 ص 227 و الحدائق الناضره ج 25 ص 142 و أمالی الصدوق ص 597 و الفایق فی غریب الحدیث ج 1 ص 189.

سار بها فی أرض مجدبه (1).

50- أن لا یخصی البهائم (2).4.

1- کنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 35 عن البزار، و سنن سعید بن منصور ج 2 ص 237 و راجع: البحار ج 61 ص 213 و ج 73 ص 279 و ج 72 ص 62 و الوسائل ج 8 ص 331 و السنن الکبری للبیهقی ج 5 ص 256 و مجمع الزوائد ج 5 ص 257 و سنن أبی داود ج 3 ص 28 و عون المعبود ج 2 ص 333 و عن صحیح مسلم ج 3 رقم 1525 و الجامع للشرایع ص 398 و المحاسن ج 2 ص 361 و من لا یحضره الفقیه ج 2 ص 290 و مکارم الأخلاق ص 262 و الجامع الصغیر ج 1 ص 103 و 104 و فیض القدیر ج 1 ص 474 و 480 و شرح أصول الکافی ج 8 ص 336 و مسند أحمد ج 2 ص 337 و شرح صحیح مسلم ج 13 ص 68 و المصنف للصنعانی ج 5 ص 161 و صحیح ابن خزیمه ج 4 ص 144 و ریاض الصالحین للنووی ص 435 و الکامل ج 3 ص 35 و سنن الترمذی ج 4 ص 220 و تحفه الأحوذی ج 8 ص 119 و السنن الکبری للنسائی ج 5 ص 252 و صحیح ابن حبان ج 6 ص 420 و 422 و الفایق فی غریب الحدیث ج 2 ص 55 و موارد الظمآن ص 242 و الجامع لأحکام القرآن ج 10 ص 73 و ج 16 ص 136.

2- راجع: مجمع الزوائد ج 5 ص 265 و کشف الأستار ج 2 ص 274 و راجع: البحار ج 61 ص 223 و 224 و ج 100 ص 191 و الوسائل ج 8 ص 382 و مستدرک الوسائل ج 2 ص 48 و 55 و السنن الکبری للبیهقی ج 10 ص 24 و تحفه الأحوذی ج 4 ص 170 و المصنف للصنعانی ج 4 ص 456 و شرح معانی الآثار ج 4 ص 317 و الکامل ج 2 ص 181 و الفصول المهمه ج 3 ص 254 و 352 و المحاسن ج 2 ص 634.

51- أن لا يحرّش فيما بينها (1) إلا الكلاب.

و فسره المجلسى: بأن المراد: تحريش الكلب على الصيد، لا تحريش الكلاب على بعضها.

52- أن يهى ء للبهيمه الضاله، مكانا و يطعمها و يسقيها (2).3.

1- كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 37 عن الترمذى، و أبى داود، و راجع: البحار ج 61 ص 223 و 226 و 227 و ج 97 ص 191 و المحاسن ص 634 و 628 و من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 60، و السرائر ج 3 ص 563 المستطرفات، و الكافى ج 6 ص 554، و سنن أبى داود ج 1 ص 577 و ج 3 ص 36 و عون المعبود ج 2 ص 331 و ج 7 ص 165 و الوسائل ج 8 ص 382 و مسند ابن أبى الجعد ص 313 و الأدب المفرد ص 263. و راجع: المعجم الأوسط ج 2 ص 331 و الكامل ج 3 ص 191 و 238 و ج 6 ص 6 و الجامع للشرايع ص 397 و نيل الأوطار ج 8 ص 249 و فقه السنه ج 3 ص 511 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 287 و كنز الفوائد ص 294 و عوالى اللآلى ج 1 ص 171 و الفصول المهمه ج 3 ص 352 و 353 و مستدرک سفينه البحار ج 2 ص 255 و مواقف الشيعه ج 3 ص 201 و ميزان الحكمه ج 1 ص 714 و سنن الترمذى ج 3 ص 126 و السنن الكبرى للبيهقى ج 10 ص 22 و تحفه الأحوذى ج 5 ص 299 و المصنف للصنعانى ج 11 ص 454 و مسند أبى يعلى ج 4 ص 389 و المعجم الكبير ج 11 ص 70 و الجامع الصغير ج 2 ص 683 و فيض القدير ج 2 ص 452 و ضعيف سنن الترمذى ص 195.
2- البحار ج 41 ص 118 و المناقب لابن شهر آشوب ج 2 ص 111 و دعائم الإسلام ج 2 ص 497 و مستدرک الوسائل ج 17 ص 134 و المصنف لابن أبى شيبه ج 5 ص 133.

53- أن لا يجيعها (1).

54- أن لا يورد ذا عاهه منها على مصح (2).3.

1- كنز العمال (ط الهند) ج 9 ص 37 و (ط سوريا) ج 13 ص 382 عن الطبرانى و البحار ج 61 ص 111 و ميزان الحكمه ج 1 ص 712 و مسند أحمد ج 1 ص 204 و 205 و سنن أبى داود ج 1 ص 574 و المستدرک للحاكم ج 2 ص 100 و السنن الكبرى للبيهقى ج 8 ص 13 و المصنف لابن أبى شيبه ج 7 ص 437 و مسند أبى يعلى ج 12 ص 159 و دلائل النبوه لأبى نعيم ص 159 و رياض الصالحين للنووى ص 437 و العهود المحمديه ص 395 و تفسير الإمام العسكرى ص 639 و تفسير الثعالبى ج 3 ص 384 و ج 5 ص 176 و تاريخ مدينه دمشق ج 4 ص 374 و أسد الغابه ج 3 ص 134 و تهذيب الكمال ج 1 ص 237 و ج 6 ص 165 و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 457 و البدايه و النهايه ج 6 ص 151 و سبل الهدى و الرشاد ج 9 ص 512 و ج 12 ص 405.

2- الوسائل ج 8 ص 371 عن معانى الأخبار ص 82 و كنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 68 و 69 و 71 عن أحمد و البيهقى، و أبى داود، و ابن جرير و التحفه السنيه ص 339 و نيل الأوطار ج 7 ص 372 و 375 و 377 و فقه السنه ج 1 ص 497 و القواعد و الفوائد ج 1 ص 397 و ج 2 ص 383 و الطرائف ص 213 و نهايه الدرايه ص 186 و مسند أحمد ج 2 ص 406 و عن صحيح البخارى ج 7 ص 31 و صحيح مسلم ج 7 ص 31 و سنن أبى داود ج 2 ص 231 و السنن الكبرى للبيهقى ج 7 ص 135 و 216 و شرح صحيح مسلم ج 1 ص 35 و ج 14 ص 213 و فتح البارى (المقدمه) ص 139 و ج 10 ص 134 و 135 و 136 و 206 و الديباج على مسلم ج 5 ص 237 و عن عون المعبود ج 10 ص 290 و 291 و المصنف للصنعانى ج 10 ص 404 و شرح معانى الآثار ج 4 ص 303 و 307 و 310 و صحيح ابن حبان ج 13 ص 482 و 484 و المعجم الأوسط ج 4 ص 12 و فيض القدير ج 6 ص 561 و كشف الخفاء ج 2 ص 379 و الفصول فى الأصول ج 3 ص 131 و العلل ج 3 ص 200 و التاريخ الكبير ج 2 ص 2701 و تهذيب الكمال ج 35 ص 69 و الإصابه ج 1 ص 66 و 67 و البدايه و النهايه ج 8 ص 113.

فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): لا يورد ذو عاهه على مصح.

و أما الروايات التى تحدثت عن أنه لا عدوى و لا طيره (1) فلعله يراد بها: المنع من أن يصل فى ذلک إلى حد الوسواس ..

و إلا فقد روى عنه (صلى اللّه عليه و آله): ما يدل على عدوى بعض الأمراض، مثل الجذام، و الطاعون، فراجع (2).

مع ملاحظه: أن بعض ما كان يظنه الناس معديا لم يكن معديا فى واقع الأمر، فلعل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين قال: لا عدوى، أو من الذى عدى الأول (3) ناظر إلى خصوص المرض الذى سأله السائل عنه.

55- أن يؤخر حمل الدابه (4).

56- أن تكون الأحمال على ظهور الدواب متعادله غير مائله (5).1.

1- راجع على سبيل المثال: كنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 68- 73 و سائر المصادر السابقه.
2- كنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 68 و 69 و 70 عن أحمد، و البخارى، و ابن خزيمه، و الطحاوى، و ابن حبان، و البيهقى و راجع: سائر المصادر السابقه.
3- راجع: كنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 68- 73.
4- من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 292 و الوسائل ج 8 ص 394 و البحار ج 61 ص 215.
5- البحار ج 61 ص 204 و الوسائل ج 8 ص 394 عن المحاسن، و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 292 و المحاسن ج 2 ص 361.

57- أن لا يجلس على الدابه متوركا (1).

58- النهى عن إعطاء القنبره للصبيان يلعبون بها (2).

59- كان الإمام السجاد (عليه السلام) يتعمد أن يزرع، لتنال القنبره من الطير من ذلک الزرع (3).

60- أن يبقى فى الصحراء ما يقع من الخوان لتنال منه هوام الأرض (4).

61- أن لا يركب على الدابه ثلاثه أشخاص (5).9.

1- البحار ج 61 ص 214 عن الكافى، و الوسائل ج 8 ص 352 عن الكافى و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 287 و منتهى المطلب (ط قديم) ج 2 ص 648 و التحفه السنيه ص 342 و العروه الوثقى (ط قديم) ج 2 ص 415 و ج 4 ص 334 و الكافى ج 6 ص 539 و مكارم الأخلاق ص 263 و كتاب النوادر ص 121.
2- الوسائل ج 16 ص 249 عن الكافى (الفروع) ج 6 ص 225 و عن التهذيب ج 9 ص 19 و كشف اللثام (ط قديم) ج 2 ص 264 و مستدرک سفينه البحار ج 8 ص 609 و مسند الإمام الرضا ج 2 ص 317 و شرح اللمعه ج 7 ص 284 و مسالک الأفهام ج 12 ص 46 و مجمع الفائده ج 11 ص 184 و جواهر الكلام ج 36 ص 313 و جامع المدارک ج 5 ص 155 و مستدرک الوسائل ج 16 ص 123 و البحار ج 58 ص 303.
3- الوسائل ج 16 ص 250 والكافى (الفروع) ج 6 ص 225 و مجمع الفائده ج 11 ص 184 و أمالى الطوسى ص 688 و البحار ج 61 ص 304 و ج 100 ص 67 و مستدرک الوسائل ج 16 ص 123.
4- المحاسن ج 2 ص 445 و الكافى ج 6 ص 301 و الوسائل ج 16 ص 499 و الفصول المهمه ج 2 ص 440 و البحار ج 63 ص 429.
5- الوسائل ج 8 ص 363 و 572 عن الكافى، و من لا يحضره الفقيه، و المحاسن و الخصال، و البحار ج 61 ص 203 و 219 و ج 73 ص 357 و 157 و المصنف لابن أبى شيبه ج 6 ص 22 و كنز العمال ج 9 ص 195 و سنن أبى داود ج 3 ص 27 و فتح البارى ج 10 ص 332 و تحفه الأحوذى ج 8 ص 49 و المحاسن ج 2 ص 627 و الكافى ج 6 ص 541 و علل الشرايع ج 2 ص 583 و الخصال ص 99.

62- أن لا ينام على الدابه، فإن ذلک يسرع فى دبرها (1). (أى فى ظهور التقرحات، و الجروح فى ظهرها).

63- أن لا يلعنها (2).

64- أن لا يشتمها (3). بأن يقول لها: قبح اللّه وجهک مثلا.9.

1- الوسائل ج 8 ص 353 عن المحاسن، و الكافى، و من لا يحضره الفقيه، و التحفه السنيه ص 342 و الحدائق الناضره ج 14 ص 58 و كشف الغطاء ج 2 ص 423 و جواهر الكلام ج 18 ص 169 و العروه الوثقى (ط قديم) ج 2 ص 417 و ج 4 ص 337 و المحاسن ج 2 ص 375 و الكافى ج 8 ص 349 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 297 و شرح أصول الكافى ج 12 ص 491 و مكارم الأخلاق ص 253 و البحار ج 13 ص 423 و ج 73 ص 271 و تفسير مجمع البيان ج 8 ص 83 و قصص الأنبياء ص 370.
2- راجع: عون المعبود ج 2 ص 331 و سنن الدارمى ج 2 ص 288 و البحار ج 61 ص 212 و 203 و الوسائل ج 8 ص 353 و سنن أبى داود ج 3 ص 26 و السنن الكبرى ج 5 ص 254 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 287 و صحيح ابن حبان ج 13 ص 51 و كتاب الدعاء ص 577 و المعجم الكبير ج 18 ص 189 و مكارم الأخلاق ص 263 و ميزان الحكمه ج 4 ص 2784.
3- راجع: البحار ج 73 ص 329 و مستدرک الوسائل ج 3 ص 64 و الوسائل ج 8 ص 351 و 353 و جواهر الكلام ج 31 ص 394 و التحفه السنيه ص 343 و تهذيب الأحكام ج 6 ص 164 و الفصول المهمه ج 3 ص 349.

65- علیه أن یسمن دوابه، و أن تکون فارهه (1).

66- نهی عن ضراب الجمل للناقه، و ولدها طفل، إلا أن یتصدق بولدها، أو یذبح (2).

67- أن لا یضرب الدابه إذا عثرت (3)، و فی روایه أخری: نفرت (4).9.

1- راجع: البحار ج 61 ص 215 عن الکافی، و السنن الکبری ج 8 ص 14 و الوسائل ج 8 ص 346 و مستدرک الوسائل (ط حجریه) ج 2 ص 49 و الدروس ج 1 ص 129 و الذکری ص 20 و میزان الحکمه ج 4 ص 288.
2- البحار ج 61 ص 224 و الوسائل ج 12 ص 173 و الکافی ج 6 ص 254 و 255 و ج 5 ص 309 و جواهر الکلام ج 22 ص 467 و تهذیب الأحکام ج 6 ص 378 و مستدرک سفینه البحار ج 3 ص 252 و مسند الشامیین ج 2 ص 232 و ج 4 ص 134 و الثقات ج 5 ص 327.
3- البحار ج 61 ص 205 و 206 و 214 و 219 و ج 76 ص 245 و المحاسن ج 2 ص 627 و 633 و الکافی ج 6 ص 538 و 539 و الوسائل ج 8 ص 357 و 633 و منتهی المطلب (ط قدیم) ج 2 ص 996 و التحفه السنیه (مخطوط) ص 343 و تهذیب الأحکام ج 6 ص 165 و الکامل ج 4 ص 336 و تهذیب الکمال ج 14 ص 149 و میزان الإعتدال ج 2 ص 375 و أصول السرخسی ج 2 ص 344 و السیر الکبیر ج 1 ص 56 ورد المحتار لابن عابدین ج 4 ص 348.
4- البحار ج 61 ص 202 و الأمالی للصدوق ص 597 و الوسائل ج 8 ص 351 و منتهی المطلب (ط قدیم) ج 2 ص 648 و التحفه السنیه (مخطوط) ص 343 و من لا یحضره الفقیه ج 2 ص 286 و تأویل مختلف الحدیث ص 50 و مجمع البحرین ج 3 ص 121 العروه الوثقی ج 2 ص 415 و ج 4 ص 343 و مکارم الأخلاق ص 263 و الفصول المهمه للعاملی ص 349.

و نرجح الروایه التی تقول: إضربوها علی العثار و لا تضربوها علی النفار، لأنها قد عللت ذلک بالقول: فإنها تری ما لا ترون. أی: أن نفورها لم یکن بلا سبب، بل لأنها قد رأت أمرا لا ترونه انتم.

و أما عثارها فیدل علی خمولها و تکاسلها فیما یطلب منها الجد فیه ..

و قد یؤید ذلک: بما ورد من جواز ضربها إذا لم تمش فیک کما تمشی إلی مذودها.

68- أن لا یقول للدابه إذا عثرت: تعست (1).

69- أن لا یستقصی حلب الدابه حتی لو لم یکن لها ولد، بل یبقی شیئا فی ضرعها، فإن ذلک یوجب در الحلیب (2).

70- أن لا یجز نواصی الخیل، و لا أعرافها، و لا أذنابها (3).3.

1- الوسائل ج 8 ص 352 و 356 و البحار ج 61 ص 169 و 209 و التحفه السنیه (مخطوط) ص 343 و من لا یحضره الفقیه ج 2 ص 287 و تهذیب الأحکام ج 6 ص 164.
2- راجع: مسند أحمد ج 4 ص 311 و 322 و 339 و سنن الدارمی ج 2 ص 88 و البحار ج 73 ص 348 و ج 61 ص 148 و معانی الأخبار ص 284 و النهایه فی اللغه ج 2 ص 25 و المجازات النبویه ص 250 و نهج البلاغه (شرح عبده) الرساله رقم 25 و السنن الکبری ج 8 ص 14 و تهذیب تاریخ ابن عساکر ج 7 ص 33 و مستدرک سفینه البحار ج 2 ص 365 و سبل الهدی و الرشاد ج 6 ص 269.
3- مکارم الأخلاق ص 264 و البحار ج 61 ص 173 و مستدرک سفینه البحار ج 3 ص 245 و مسند أحمد ج 4 ص 184 و المصنف لابن أبی شیبه ج 7 ص 573 و مسند الشامیین ج 1 ص 268 و کتاب أمثال الحدیث ص 153 و کنز العمال ج 14 ص 181 و الدر المنثور ج 3 ص 197 و أسد الغابه ج 3 ص 363.

71- أن لا يصرى الضرع (1).

و التصريه: ترک ذات الدر أن لا تحلب أياما ليجتمع اللبن فى ضرعها، فيرى غزيرا.

غير أن هذا النهى قد لا يكون لأجل الرفق بالدابه، و إنما لأنه يستبطن تدليسا، أو غشا للمشترى ..

72- أن لا يطأ بها زرعا، لكى لا تعثر (2).

73- أن لا يطيل الركوب على الدابه بغير حاجه، و ترک النزول للحاجه (3).

74- أن يهتم بحفظها حتى لا تضيع و تتلف (4).م.

1- دعائم الإسلام ج 2 ص 30 و مستدرک الوسائل ج 13 ص 304 و شرح مسلم للنووى ج 10 ص 165 و مسند الطيالسى ص 329 و شرح معانى الآثار ج 4 ص 20 و مجمع البحرين ج 2 ص 607 و الخلاف ج 3 ص 102 و 126 و تذكره الفقهاء (ط قديم) ج 1 ص 526 و مجمع الفائده ج 8 ص 443 و الحدائق الناضره ج 19 ص 93 و مختصر المزنى ص 82 و تلخيص الحبير ج 8 ص 333 و المغنى ج 4 ص 233.
2- مكارم الأخلاق ص 349 و 263 و البحار ج 73 ص 291.
3- البحار ج 61 ص 219 و السنن الكبرى ج 5 ص 255.
4- مستدرک الوسائل ج 3 ص 50 عن دعائم الإسلام.

75- أن لا يربط قوائم الدابه بعضها ببعض، ثم يتركها لترعى (1).

فقد روى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كره الشكال فى الخيل.

و قد فسروا الشكال: بكون رجلى الفرس محجلتين بأن يكون فيهما بياض، و هو كلام غير دقيق، فقد اختلفت أقوالهم من حيث إن الشكال هل يكون فى يد و رجل، أو يكون فى رجل واحده، أو فى رجلين و يد، أو فى يدين و رجل.

و نقول:

إن ما ذكروه فى معنى الشكال: هو المعنى المجازى للشكال، و معناه الحقيقى هو: العقال. و لم يظهر أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد قصد المعنى المجازى، بل الظاهر هو: إراده معناه الحقيقى، أى أنه ربط قوائم الفرس ببعضها البعض.

و هو معنى صحيح، فلماذا لجأوا إلى المعنى المجازى، و تركوا المعنى الحقيقى للعباره؟!

76- أن لا يصفّر بالغنم، إذا كانت ذاهبه إلى مرعاها (2).4.

1- معانى الأخبار ص 284 و البحار ج 61 ص 197 و ج 73 ص 348 و سنن الترمذى ج 3 ص 121 و صحيح ابن حبان ج 10 ص 533 و المعجم الأوسط ج 7 ص 234 و الفايق فى غريب الحديث ج 2 ص 213 و التاريخ الكبير ج 4 ص 156 و غريب الحديث ج 3 ص 18 و الصحاح ج 5 ص 1737 و النهايه فى غريب الحديث ج 2 ص 496 و لسان العرب ج 11 ص 359.
2- البحار ج 61 ص 150 و الوسائل ج 8 ص 371 و المحاسن ص 642 و مستدرک سفينه البحار ج 8 ص 24.

77- أن لا يقتل النحل، و النمل، و الصرد، و الخطاف، و الهدهد، و غيرها مما ورد النص بخصوصه (1) .

78- أن لا يسقى البهائم الخمر (2) و غير ذلک مما لا يحل أكله أو شربه ..

79- أن يجلس على الولايا، أو يضطجع عليها، ربما لكى لا يعلق بها الشوک أو التراب، فتضر الدابه حين توضع على ظهرها (3) .

80- إذا كان يأكل طعامه، فليطعم منه الحيوان الذى ينظر إليه (4) .2.

1- الجامع للشرايع ص 384 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 265 و ج 4 ص 9 و أمالى الصدوق ص 512 و الوسائل ج 8 ص 353 و مكارم الأخلاق ص 427 و البحار ج 61 ص 215 و 267 و ج 73 ص 331 و مستدرک سفينه البحار ج 2 ص 507 و ج 10 ص 7 و 222 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 144 و المعجم الكبير ج 12 ص 304 و الجامع لأحكام القرآن ج 13 ص 172 و الكامل ج 6 ص 101 و فتح العزيز ج 7 ص 489 و تلخيص الحبير ج 7 ص 489.

2- النهايه ص 592 و المهذب ج 2 ص 433 و السرائر ج 3 ص 132 و مختلف الشيعه ج 8 ص 346 و البحار ج 63 ص 499 و المصنف لابن أبى شيبه ج 5 ص 432 و الدر المنثور ج 2 ص 325 و طبقات المحدثين بإصبهان ج 2 ص 331 و ج 3 ص 589 و ميزان الإعتدال ج 3 ص 9 و ذكر أخبار إصبهان ج 2 ص 133 و ج 2 ص 247.

3- المصنف للصنعانى ج 11 ص 32 و الفايق فى غريب الحديث ج 3 ص 378.

4- البحار ج 43 ص 352 و جامع أحاديث الشيعه ج 8 ص 516 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 197 و ج 8 ص 295 و مستدرک سفينه البحار ج 1 ص 155 و ميزان الحكمه ج 1 ص 92.

81- أن لا يغنى فى حال ركوبه الدابه (1).

82- أن لا ينزى حمارا على عتيقه (2). و المراد بالعتيقه: الفرس العربيه.

83- أن يقلد الخيل، و لا يقلد الدابه الأوتار (3).5.

1- البحار ج 61 ص 204 و 206 و ج 73 ص 291 و ج 46 ص 245 و 246 و مستدرک سفينه البحار ج 2 ص 248 و الوسائل ج 8 ص 306 و 307 و المحاسن ص 627.
2- البحار ج 61 ص 224 و 225 و ج 16 ص 366 و ج 27 ص 50 و ج 70 ص 321 و ج 77 ص 270 و 303 و ج 100 ص 59 و الوسائل ج 1 ص 343 و ج 6 ص 187 و ج 12 ص 173 و الرساله السعديه ص 93 و مصباح المنهاج ج 3 ص 280 و مسند زيد بن على ص 463 و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 33 و مستدرک الوسائل ج 1 ص 334 و ج 8 ص 301 و ج 13 ص 186 و مسند الرضا لداود الغازى ص 144 و سنن النبى ص 273 و مسند الإمام الرضا للعطاردى ج 2 ص 212 و صحيفه الرضا ص 94 و 5 و الدروس ج 3 ص 183 و الكافى ج 5 ص 309 و مستدرک سفينه البحار ج 3 ص 252 و تفسير الميزان ج 6 ص 330 و حياه الإمام الرضا ج 1 ص 248 و مجمع البحرين ج 3 ص 117.
3- البحار ج 61 ص 210 و المجازات النبويه ص 259 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 260 و دعائم الإسلام ج 1 ص 345 و كتاب النوادر ص 122 و مستدرک سفينه البحار ج 3 ص 245 و مسند أحمد ج 3 ص 352 و ج 4 ص 345 و سنن أبى داود ج 1 ص 576 و سنن النسائى ج 6 ص 218 و السنن الكبرى للبيهقى ج 6 ص 330 و مجمع الزوائد ج 5 ص 259 و 261 و عن فتح البارى ج 6 ص 99 و حاشيه السندى على النسائى ج 6 ص 218 و عن عون المعبود ج 7 ص 161 و المصنف لابن أبى شيبه ج 7 ص 706 و السنن الكبرى للنسائى ج 3 ص 37 و مسند أبى يعلى ج 13 ص 115 و شرح معانى الآثار ج 3 ص 274 و المعجم الأوسط ج 9 ص 13 و المعجم الكبير ج 22 ص 381 و مسند الشاميين ج 1 ص 430 الفايق فى غريب الحديث ج 3 ص 344 و الجامع الصغير ج 1 ص 640 و كنز العمال ج 16 ص 422 و ج 12 ص 328 و فيض القدير ج 3 ص 682 و 683 و كشف الخفاء ج 1 ص 398 و أحكام القرآن ج 3 ص 89 و 502 و الجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 37 و الدر المنثور ج 3 ص 196 و 198 و سبل الهدى و الرشاد ج 7 ص

384 و 386 و النهایه فى غریب الحدیث ج 4 ص 99 و ج 5 ص 148 و لسان العرب ج 3 ص 366 و ج 5 ص 274 و مجمع البحرین ج 3 ص 540 و تاج العروس ج 2 ص 475.

و أما ما ورد: من أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) نهی عن أن تقلد الدابه الأوتار، و أمر بقطع قلائد الخیل (1)، فقد یکون ذلک النهی لأجل أنها قد قلدت الأوتار التی کان (صلی اللّه علیه و آله) قد نهی عنها.

84- أن لا یسفد الفحل أنثاه علی ظهر الطریق، إلا أن یواریا، بحیث لا یراهما رجل و لا امرأه (2).

و قد أظهرت الشروط المعتبره فی الذبح، الکثیر من الحالات التی یجب مراعاتها، و التی تدخل فی سیاق الرفق بالحیوان، و منها ما یلی:5.

1- البحار ج 61 ص 217 و حیاه الحیوان ج 1 ص 288.
2- المحاسن ص 634 و البحار ج 61 ص 225 و 226 و ج 100 ص 78 عنه و عن نوادر الراوندی و مستدرک سفینه البحار ج 3 ص 252 و المهذب البارع ج 3 ص 186 و من لا یحضره الفقیه ج 3 ص 473 و الوسائل ج 8 ص 381 و ج 14 ص 94 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 286 و ج 14 ص 288 و مکارم الأخلاق ص 236 و کتاب النوادر ص 119 و عوالی اللآلی ج 3 ص 305.

85- أن يخفى السكين عن الحيوان (1).

86- أن لا تراه البهيمه و هو يحدّ شفرته، لذبحها (2).

87- أن يسرع فى عمليه الذبح (3).9.

1- ميزان الحكمه ج 3 ص 2500 و المستدرک للحاکم ج 4 ص 231 و 233 و السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 280 و تحفه الأحوذی ج 4 ص 553 و المصنف للصنعانی ج 4 ص 493 و المعجم الوسط ج 4 ص 53 و المعجم الکبیر ج 11 ص 63 و نصب الرایه ج 6 ص 46 و العهود المحمدیه ص 211 و 394 و 721 و کنز العمال ج 6 ص 265 و فیض القدیر ج 6 ص 175 و سبل الهدی و الرشاد ج 9 ص 77.
2- مستدرک الحاکم ج 4 ص 231 و المعجم الکبیر ج 12 ص 289 و کنز العمال (ط الهند) ج 6 ص 137 و 265 و البحار ج 62 ص 316 و 328 و مستدرک الوسائل ج 5 ص 63 و المعجم الصغیر للطبرانی ج 2 ص 105 و المصنف للصنعانی ج 4 ص 493 و السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 280 و تحفه الأحوذی ج 4 ص 553 و عون المعبود ج 8 ص 8 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1058 و العهود المحمدیه ص 394 و سبل الهدی و الرشاد ج 9 ص 77.
3- راجع: مسند أحمد ج 2 ص 108 و ج 4 ص 123 و سنن النسائی ج 7 ص 230 و السنن الکبری ج 3 ص 65 و مسالک الأفهام ج 11 ص 491 و جواهر الکلام ج 36 ص 134 و نیل الأوطار ج 9 ص 18 و البحار ج 62 ص 316 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1059 و السنن الکبری ج 9 ص 280 و نصب الرایه ج 6 ص 47 و الجامع الصغیر ج 1 ص 95 و العهود المحمدیه ص 212 و 721 و فیض القدیر ج 1 ص 446 و الکامل ج 4 ص 148 و تاریخ بغداد ج 8 ص 49 و میزان الإعتدال ج 2 ص 479.

88- أن لا يفصل رأس الذبيحه.

89- أن لا يشرع بسلخ جلدها قبل خروج الروح (1).

90- أن يسقى الحيوان الذى يريد ذبحه قبل ذبحه (2).

فقد روى أن الإمام السجاد (عليه السلام) مر على قصاب يذبح كبشا، فقال له: هل سقيت؟!

91- أن لا يذبح ذات الجنين لغير عله (3).

92- أن لا يذبح ذات الدر. أى التى تحلب، بغير سبب (4).0.

1- البحار ج 62 ص 328 و الجواهر ج 36 ص 123 و مستدرک الوسائل (ط مؤسسه أهل البيت) ج 3 ص 66 و 570 و ج 16 ص 135 و المصنف للصنعانى ج 4 ص 490 و كشف اللثام ج 2 ص 260 و مستند الشيعه ج 15 ص 437 و مختلف الشيعه ج 8 ص 302 و فتاوى ابن الجنيد ص 314.
2- مسالک الأفهام ج 11 ص 491 و التحفه السنيه ص 307 و رياض المسائل (ط قديم) ج 2 ص 276 و مستند الشيعه ج 15 ص 448 و جواهر الكلام ج 36 ص 133 وفقه الصادق ج 24 ص 44 و البحار ج 62 ص 315.
3- دعائم الإسلام ج 2 ص 177 و مستدرک الوسائل و البحار ج 62 ص 329.
4- سنن ابن ماجه ج 2 ص 1062 و عن صحيح مسلم ج 6 ص 117 و شرح صحيح مسلم ج 13 ص 214 و مجمع الزوائد ج 10 ص 318 و دعائم الإسلام ج 2 ص 177 و مستدرک الوسائل ج 16 ص 158 و البحار ج 62 ص 329 و المصنف للصنعانى ج 11 ص 440 و تركه النبى ص 66 و المعجم الكبير ج 19 ص 252 و 258 و الفايق فى غريب الحديث ج 3 ص 208 و تحفه الأحوذى ج 7 ص 31 و إكرام الضيف ص 52 و مسند أبى يعلى ج 1 ص 80 و ج 11 ص 37 و ج 11 ص 42 و رياض الصالحين للنووى ص 274 و الجامع الصغير ج 1 ص 446 و كنز العمال ج 6 ص 332 و ج 7 ص 194 و 196 و فيض القدير ج 3 ص 153 و 154 و جامع البيان ج 30 ص 367 و الجامع لأحكام القرآن ج 20 ص 175 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 583 و الدر المنثور ج 6 ص 389 و فتح القدير ج 5 ص 490.

93- أن يرسل إذا ذبح و لا يكتف. (و هذا فى الطير خاصه).

94- أن لا يقلب السكين إذا ذبح، ليدخلها تحت الحلقوم، و يقطعه إلى فوق.

95- أن لا يمسک يد الغنم و رجله إذا ذبحه، بل يمسک صوفه و شعره.

96- أن يعقل البقر، و يطلق الذنب، إذا ذبحها.

97- أن يشد أخفاف البعير إلى آباطه، و يطلق رجليه إذا نحره (1).

98- أن لا يذبح الشاه عند الشاه، و لا الجزور عند الجزور، و هو ينظر إليه (2).0.

1- راجع فى هذه الموارد: الوسائل ج 16 ص 255 و الکافی (الفروع) ج 6 ص 229 و فقه الصادق ج 44 ص 60 و کشف الرموز ج 2 ص 355 و النهایه ص 584 و مسالک الأفهام ج 11 ص 386 و مجمع الفائده ج 11 ص 131 و کفایه الأحکام ص 247 و ریاض المسائل (ط قدیم) ج 2 ص 276 و مستند الشیعه ج 15 ص 445 و جواهر الکلام ج 36 ص 132 و جامع المدارک ج 5 ص 127 و تهذیب الأحکام ج 9 ص 55 و البحار ج 62 ص 300.

2- الوسائل ج 16 ص 258 و الکافی ج 6 ص 230 و التهذیب ج 9 ص 56 و 80 و مختلف الشیعه ج 8 ص 305 و 552 و إیضاح الفوائد ج 4 ص 138 و الدروس ج 2 ص 416 و المهذب البارع ج 4 ص 174 و مسالک الأحکام ج 11 ص 490 و مجمع الفائده ج 11 ص 133 و کشف اللثام (ط قدیم) ج 2 ص 260 و التحفه السنیه ص 307 و ریاض المسائل ج 2 ص 276 و مستند الشیعه ج 15 ص 451 و جواهر الکلام ج 36 ص 137 و جامع المدارک ج 5 ص 128 و عوالی اللآلی ج 2 ص 321 و ج 3 ص 460.

99- أن لا يكسر رقبه الذبيحه، بعد ما يذبح حتى تبرد (1).

100- أن لا يذبح حتى يطلع الفجر (2).7.

1- الوسائل ج 16 ص 267 و 258 و راجع ص 276 و التهذيب ج 9 ص 55-60 و البحار ج 10 ص 256 و ج 62 ص 314 و 328 و كشف الرموز ج 2 ص 353 و المهذب البارع ج 4 ص 172 و شرح اللمعه ج 7 ص 231 و مجمع الفائده ج 11 ص 118 و 129 و 134 و كشف اللثام (ط قديم) ج 2 ص 259 و مستند الشيعه ج 15 ص 435 و جواهر الكلام ج 36 ص 135 و جامع المدارک ج 5 ص 121 و 128 و فقه الصادق ج 24 ص 42 و الكافى ج 6 ص 229 و 233 و دعائم الإسلام ج 2 ص 175 و مستدرک الوسائل ج 16 ص 134 و عوالى اللآلى ج 2 ص 320 و ج 3 ص 458 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 280 و عن فتح البارى ج 9 ص 527 و الفايق فى غريب الحديث ج 3 ص 21 و 283.

2- الوسائل ج 16 ص 275 و 274 و عن الكافى (الفروع) ج 2 ص 149 و 148 و عن التهذيب ج 2 ص 353 و جامع المدارک ج 5 ص 124 و مسالک الأفهام ج 11 ص 489 و كشف اللثام (ط قديم) ج 2 ص 260 و رياض المسائل (ط قديم) ج 2 ص 276 و جواهر الكلام ج 36 ص 134 و المبسوط ج 1 ص 393 و منتهى المطلب ج 2 ص 759 و مستند الشيعه ج 15 ص 450 و نيل الأوطار ج 5 ص 217.

101- أن لا يجر الحيوان إلى الذبح بعنف (1) .

102- أن لا يجره برجله إلى الذبح (2) .

103- أن ينزله و يضجعه برفق قبل الذبح (3) .

104- أن يستعمل السكين الحاده (4) .

105- أن لا يقطع النخاع قبل خروج الروح (5) .7.

1- مسالک الأفهام ج 11 ص 491 و التحفه السنيه ص 307 و رياض المسائل (ط قديم) ج 2 ص 276 و مستند الشيعه ج 15 ص 448 و جواهر الكلام ج 36 ص 133 و فقه الصادق ج 24 ص 44 و البحار ج 62 ص 315 و المصنف لابن أبى شيبه ج 4 ص 640 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1059 و المصنف للصنعانى ج 4 ص 493 و العهود المحمديه ص 394 و فيض القدير ج 6 ص 175.

2- المصنف لابن أبى شيبه ج 4 ص 640 و المصنف للصنعانى ج 4 ص 493 و العهود المحمديه للشعرانى ص 394 و فيض القدير ج 6 ص 175.

3- دعائم الإسلام ج 2 ص 179 و مستدرک الوسائل ج 16 ص 132 عنه.

4- مستند الشيعه ج 10 ص 448 و كشف اللثام (ط قديم) ج 2 ص 258 و دعائم الإسلام ج 2 ص 174 و البحار ج 62 ص 327 و المعجم الأوسط ج 2 ص 179 و الكامل ج 6 ص 426 و مستدرک الوسائل ج 16 ص 131.

5- راجع: مستدرک الوسائل ج 16 ص 131 و المصنف للصنعانى ج 4 ص 492 و 463 و الوسائل ج 16 ص 258 و 167 و راجع ص 276 و فى هامشه عن الكافى ج 2 ص 147 و 148 و عن التهذيب ج 2 ص 351 و 352 و 353 و البحار ج 10 ص 256 و ج 62 ص 327 و من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 333 و إيضاح الفوائد ج 4 ص 137.

106- أن لا يذبح شيئا من الحيوان قد رباه (1).

107- أن لا يذبح الحيوان الذى كان قد اقتناه (2).

و الفرق بين هذا و سابقه واضح، فإن الإقتناء قد يحصل، و لو لم يكن هناک تربيه له، لأن تربيه الحيوان معناها: أن يكون قد أخذه منذ صغره، و صار يرعاه إلى أن يكبر، و أما الإقتناء: فهو شراء الحيوان و الإحتفاظ به مده من الزمن.

108- أن لا يكون الذبح هو جزاء المملوک الصالح، فلا يذبح الدابه إذا خدمت خدمه حسنه زمانا (3).0.

1- الوسائل ج 16 ص 308 و ج 10 ص 175 عن تهذيب الأحكام، و الكافى، و مستدرک الوسائل ج 3 ص 69، و مجمع الفائده ج 11 ص 165 و ج 7 ص 315 و الحدائق الناضره ج 17 ص 213 و مستند الشيعه ج 12 ص 369 و مسالک الأفهام ج 12 ص 34 و مدارک الأحكام ج 8 ص 87 و ذخيره المعاد ج 3 ص 679 و جواهر الكلام ج 19 ص 230 و ج 36 ص 293 و جامع المدارک ج 2 ص 479 و فقه الصادق ج 12 ص 122 و الكافى ج 4 ص 544 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 393 و تهذيب الأحكام ج 5 ص 452 و ج 9 ص 83.
2- الفايق فى غريب الحديث ج 3 ص 208 و الجامع الصغير ج 2 ص 689 و كنز العمال ج 4 ص 98 و فيض القدير ج 6 ص 406 و شرح الأسماء الحسنى ج 1 ص 276 و الكامل ج 3 ص 135.
3- راجع: البحار ج 61 ص 112 و 137 و ج 17 ص 402 عن الطبرانى و الثاقب فى المناقب ص 78 و العهود المحمديه ص 396 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 405 و بصائر الدرجات ص 371 و الإختصاص ص 300.

109- أن يجير الطير إذا استجار به، فإذا دخل منزلک طائر فلا تذبحه (1).

110- أن لا يركلها برجله ليعجل خروج نفسها (2).

111- أن لا يحرک الذبيحه من مكانها حتى تفارق الروح (3).

نهايه المطاف:

قد كان هذا الذى ذكرناه غيضا من فيض، مما يمكن استخلاصه من النصوص المختلفه، من ضوابط و أحكام، و نصائح و توجيهات، تحدد نظره الإسلام إلى المخلوقات، و تبين طريقه التعامل معها فى الحالات المختلفه ..

نسأل اللّه أن يوفق العاملين لاستخلاص ذلک كله من مصادره، و عرضه بالطريقه اللائقه به، ليكون ذلک طريقه عمل، و نهج حياه، و سبيل نجاه.6.

1- الوسائل ج 16 ص 248 و ج 2 ص 1012 و مختلف الشيعه ج 8 ص 291 و كشف اللثام (ط ق) ج 2 ص 264 و إيضاح الفوائد ج 4 ص 148 و مسالک الأفهام ج 12 ص 45 و التحفه السنيه ص 305 و الحدائق الناضره ج 5 ص 6 و مستند الشيعه ج 15 ص 280 و ج 36 ص 312 و تهذيب الأحكام ج 9 ص 81 و الفصول المهمه ج 2 ص 420 و البحار ج 75 ص 109.
2- مختلف الشيعه ج 8 ص 302 و فتاوى ابن الجنيد ص 314.
3- مستند الشيعه ج 15 ص 448 و روضه الطالبين ج 2 ص 476.

ص: 224

الفصل الرابع: تعمد صنع المعجزه

اشاره

تعمد صنع المعجزه:

قالوا: إنه لما برکت ناقه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) المسماه ب (القصواء) فی ذلک المکان، نزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بأقصی الحدیبیه علی ثمد (1) من ثمادها ظنون (2) قلیل الماء یتبرّض (3) الناس ماءه تبرّضا، فلم یلبثه الناس حتی نزحوه.

فاشتکی الناس إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قله الماء، و فی لفظ:

(العطش)، فانتزع سهما، من کنانته، فأمر به، فغرز فی الماء، فجاشت بالرّواء حتی صدروا عنها بعطن (4).0-

---

1- الثمد: الماء القلیل الذی لا ماده له.
2- الظنون: أی الشحیحه، أو القلیله الماء.
3- یتبرّضون الماء: ینتظرون خروجه، و هو قلیل.
4- العطن: مبرک الإبل حول الماء، و المراد: أنهم قد رووا، أو رویت إبلهم حتی برکت حول الماء راجع: البحار ج 20 ص 331 و مسند أحمد ج 4 ص 329 و عن صحیح البخاری ج 3 ص 178 و السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 219 و عن فتح الباری ج 5 ص 245 و المصنف للصنعانی ج 5 ص 332 و المصنف لابن أبی شیبه ج 8 ص 513 و صحیح ابن حبان ج 11 ص 218 و المعجم الکبیر ج 20 ص 10-

قال المسور: و إنهم ليغترفون بآنيتهم جلوسا على شفير البئر.

قال محمد بن عمر: و الذى نزل بالسهم ناجيه بن الأعجم- رجل من أسلم، و يقال: ناجيه بن جندب و هو سائق بدن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قد روى: أن جاريه من الأنصار قالت لناجيه و هو فى القليب:

يا أيها الماتح دلوى دونكاإنى رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيرا و يمجدونكا

فقال ناجيه و هو فى القليب:

قد علمت جاريه يمانيه أنى أنا الماتح و اسمى ناجيه

و طعنه ذات رشاش واهيه طعنتها تحت صدور العاديه (1) 0.

1- مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 91 و البحار ج 18 ص 37 و أسد الغابه ج 5 ص 5 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 273 و البدايه و النهايه ج 4 ص 189 و عن السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 776 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 315 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 40.

قال محمد بن عمر: حدثنى الهيثم بن واقد، عن عطاء بن مروان، عن أبيه قال: حدثنى أربعه عشر رجلا ممن أسلم من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أنه ناجيه بن الأعجم، يقول: دعانى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين شكى إليه قله الماء، فأخرج سهما من كنانته، و دفعه إلىّ، و دعا بدلو من ماء البئر، فجئته به، فتوضأ فمضمض فاه، ثم مجّ فى الدلو- و الناس فى حر شديد- و إنما هى بئر واحده، قد سبق المشركون إلى بلدح فغلبوا على مياهه، فقال: (انزل بالدلو فصبها فى البئر، و أثر ماءها بالسهم).

ففعلت، فو الذى بعثه بالحق ما كدت أخرج حتى يغمرنى، و فارت كما تفور القدر، حتى طمت و استوت بشفيرها، يغترفون من جانبها حتى نهلوا من آخرهم.

و على الماء يومئذ نفر من المنافقين، منهم عبد اللّه بن أبى.

فقال أوس بن خولى: ويحک يا أبا الحباب!! أما آن لک أن تبصر ما أنت عليه؟ أبعد هذا شى ء؟

فقال: إنى قد رأيت مثل هذا.

فقال أوس: قبحک اللّه، و قبح رأيک!

فأقبل ابن أبى يريد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: (يا أبا الحباب: أنّى رأيت مثلما رأيت اليوم)؟

فقال: ما رأيت مثله قط.

قال: (فلم قلته)؟

فقال ابن أبى: يا رسول اللّه استغفر لى، فقال ابنه عبد اللّه بن عبد اللّه: يا

رسول اللّه استغفر له، فاستغفر له (1).

فقال عمر: ألم ينهک اللّه- يا رسول اللّه- أن تصلى عليهم أو تستغفر لهم؟!

فأعرض عنه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أعاد عليه، فقال له:

(ويلک إنى خيّرت فاخترت، إن اللّه يقول: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ .. (2).

فلما مات عبد اللّه، جاء ابنه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال:

بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه، إن رأيت أن تحضر جنازته.

فحضر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قام على قبره، فقال له عمر:

ألم ينهک اللّه أن تصلى على أحد منهم) (3).3.

1- تفسير القمى ج 1 ص 302 و تفسير نور الثقلين ج 2 ص 248 و تفسير الميزان ج 9 ص 356 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 41 و كتاب سليم بن قيس ص 239 و البحار ج 38 ص 326. و قد ورد: أنه لما أكثر عليه عمر بن الخطاب، قال له رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (إن قميصى لا يغنى عنه من اللّه شيئا، و إنى أؤمل أن يدخل فى الإسلام بسببه كثير)، فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج. (تفسير السراج المنير ج 1 ص 612 للخطيب الشربينى و أسباب النزول للواحدى ص 193 و روح المعانى للآلوسى ج 10 ص 154).

2- الآيه 80 من سوره التوبه.

3- تفسير الميزان ج 9 ص 35 و تفسير القمى ج 1 ص 302 و تفسير الصافى ج 2 ص 364 و كتاب سليم بن قيس ص 239 و البحار ج 22 ص 97 و ج 30 ص 148 و ج 31 ص 633.

و روى ابن إسحاق، و محمد بن عمر، عن البراء بن عازب (رضى اللّه عنهما) قال: أنا نزلت بالسهم.

و روى أحمد، و البخارى، و الطبرانى، و الحاكم فى الإكليل، و أبو نعيم عن البراء بن عازب، و مسلم عن سلمه بن الأكوع، و أبو نعيم عن ابن عباس، و البيهقى عن عروه، قال البراء: كنا مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالحديبيه أربع عشره مائه،- و الحديبيه: بئر- فقدمناها و عليها خمسون شاه ما ترويها فتبرضها، فلم نترک فيها قطره.

قال ابن عباس: و كان الحر شديدا، فشكى الناس العطش، فبلغ ذلک النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فأتاه، فجلس على شفيرها، ثم دعا ب (إناء).

و فى لفظ: ب (دلو) فتوضأ فى الدلو، ثم مضمض و دعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن و ركابنا.

قال البراء: و لقد رأيت آخرنا أخرج بثوب خشيه الغرق، حتى جرت نهرا (1).

و قال ابن عباس، و عروه: ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها، و هم جلوس على شفيرها.

و روى البخارى فى المغازى، و فى الأشربه، عن جابر بن عبد اللّه، عن سلمه بن الأكوع (رضى اللّه عنهما) قالا: عطش الناس يوم الحديبيه و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بين يديه ركوه.

و قال جابر فى روايه: و قد حضر العصر، و ليس معنا ماء غير فضله،).

1- قال الصالحى الشامى: أخرجه البخارى 7/ 505 (4150).

فجعل فى إناء، فأتى به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (ما لكم)؟

قالوا: يا رسول اللّه، ليس عندنا ماء نتوضأ به، و لا نشرب إلا ما فى ركوتك. فأفرغتها فى قدح، و وضع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يده فى القدح، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا و توضأنا، فقال سالم بن أبى الجعد: فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟

قال: لو كنا مائه ألف لكفانا، كنا خمس عشره مائه (1).8.

1- قال الصالحى الشامى: أخرجه البخارى فى صحيحه الحديث رقم 4152 و راجع فيما تقدم: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 40- 42 و ج 9 ص 448 و الإصابه ج 3 ص 541 و السيره الحلبيه ج 3 ص 11 و 12 و المنتظم ج 3 ص 268، و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 34 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 273 و 274 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 324 و 325 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 268 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 484 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 367 و 375 و 376 و 377 و 378 و 379 و 380 و 381 و 382 و سنن الدارمى ج 1 ص 14 و عن صحيح مسلم ج 6 ص 26 و نظم درر السمطين ص 71 و عن كنز العمال ج 12 ص 367 و مسند أحمد ج 3 ص 329 و المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 512 و صحيح ابن خزيمه ج 1 ص 66 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 481 و دلائل النبوه ص 121 و جامع البيان ج 26 ص 93 و جامع أحكام القرآن ج 16 ص 276 و تاريخ مدينه دمشق ج 36 ص 436 و البدايه و النهايه ج 4 ص 195 و ج 6 ص 106 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 1 ص 286 و عن عيون الأثر ج 2 ص 114 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 325. و راجع: نهايه الإرب ج 17 ص 222 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 98.

قالوا: و لما ارتحلوا أخذ البراء بن عازب ذلک السهم، فجف الماء (1).

و لنا مع ما تقدم عده وقفات، هى التاليه:

النبى صلّى اللّه عليه و آله يصنع المعجزه:

قرأنا فى النصوص السابقه:

أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يكتفى بالدعاء ليزيد لهم ذلک الماء القليل.

بل هو ينتزع سهما من كنانته، و يطلب منهم أن يغرزوها فى موضع خروج الماء. ثم تجرى عمليه غرزه، على يد أحدهم، الذى اعتبر ذلک بمثابه فضيله له، و أرادوا من التاريخ أن يسجلها له ..

و ليكون ذلک تخليدا لهذه الكرامه الإلهيه الظاهره لرسوله الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) ..

و اختيار هذه الطريقه فى استنباط الماء له مراميه و دلالاته، و لعل مما يشير إليه هو الأمور التاليه:

1- إنه يظهر بوضوح تام: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد تصدى للتصرف التكوينى بصوره عمليه، بطريقه تدلل على أن ذلک من شؤونه و داخل تحت إرادته و اختياره. و ليس هو مجرد دعاء قد استجاب اللّه تعالى له فى خصوص هذا المورد و انتهى الأمر .. و قد تكون هناک مصلحه فى الاستجابه له فى موضع آخر و مناسبه أخرى، و قد لا تكون.

2- إن استمرار وجود السهم فى البئر أمام أعين المستفيدين من مائه8.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 12 و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 91 و البحار ج 18 ص 38.

سوف يبقى القضيه ماثله أمام أعينهم، و سيعطيهم ذلک النفحه الروحيه الغامره التى يحتاجون إليها، خصوصا فى هذا الأمر الذى سيواجهون فيه المفاجآت التى تمس غرورهم، و يحتاجون فى إعاده توازنهم الروحى إلى مثل تلک النفحات.

3- إن المعرفه الحسيه تبقى أقوى تأثيرا فى الناس العاديين، من المعرفه التصوريه، خصوصا مع بقاء مكونات هذه المعرفه ماثله للعيان مده من الزمن. و مع اقترانها بحركات متنوعه، و أعمال مختلفه، و جهد جسدى لإنتاجها، و لو من خلال الذين حملوا ذلک السهم، و نزلوا به إلى البئر و غرسوه فيها ..

4- و يعزز هذا الأمر و يقويه و يرسخه فى وجدان الناس، السعى لتسجيل ذلک الحدث المرتبط بالغيب فى الشعر العربى الذى يلامس مشاعر الإنسان و أحاسيسه، حتى لو كان الذين يبذلون تلک المحاوله يريدون توظيفها فى مجالات، لا يحق لهم التعرض لها، و لا المساس بها.

لا حاجه إلى التنازع:

قد رأينا: أن الروايات قد اختلفت فى من نزل بالسهم إلى البئر، هل هو البراء بن عازب، أو ناجيه بن الأعجم، أو ناجيه بن جندب، أو خالد بن عباده الغفارى؟

و قد لاحظنا: أن ثمه تسابقا فى نسبه ذلک الأمر إلى هذا، أو ذاک،

و أنشدت أسلم أبياتا من الشعر، نسبتها لناجيه (1).

و زعمت أسلم أيضا: أن جاريه من الأنصار قالت شعرا فى ذلک (2).

و لعل سبب هذا التسابق هو ظنهم: أن ذلک يتضمن إثبات فضيله لفاعله. فأراد كل فريق أن يجر النار إلى قرصه، و ينسب الفضل إلى نفسه ..

غير أننا نتوقف هنا عند أمرين:

الأول: أن ثمه شكا كبيرا فى صحه ما زعموه، من نزول أى من الناس إلى تلک البئر.

فقد روى أيضا: أن الناس لما لم يبق فى العين قطره- و كان الحر شديدا- شكوا العطش، فبلغ ذلک النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فأتى تلک البئر، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء أو بدلو، فتوضأ فيه، ثم مضمض، و دعا، ثم صبه فيها (3).ی-

---

1- راجع: تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 273 و أسد الغابه ج 5 ص 5 و عن السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 776.
2- الإصابه ج 3 ص 541 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 325 و البدايه و النهايه ج 4 ص 189 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 40 و أسد الغابه ج 5 ص 5 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 273 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 315 و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 91 و البحار ج 18 ص 37.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 41 و 73 و 74 و ج 9 ص 449 عن البخارى، و أحمد، و الطبرانى، و مسلم، و أبى نعيم، و الحاكم فى الإكليل، و البيهقى، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 484 و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص 375 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 181 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 123 و مناقب آل أبى-

و فی نص آخر عن ناجیه بن جندب: أنه (صلی اللّه علیه و آله) نزل علی الحدیبیه، و هی تنزح، فألقی فیها سهما أو سهمین من کنانته، ثم بصق فیها، ثم دعا فعادت عیونها (1).

و عن أوس بن خولی: توضأ فی الدلو، ثم أفرغه فیها، و انتزع السهم، ثم وضعه فیها.

و عن عروه: توضأ فی الدلو، و صبه فی البئر، و نزع سهما من کنانته، فألقاه فیها، ففارت (2).

فذلک کله یدل علی: أنه لم یرسل أحدا إلی البئر، لا بالدلو، و لا بالسهم، بل هو (صلی اللّه علیه و آله) الذی جاء إلی البئر، و ألقی فیها هذا، و صب فیها ذاک، و بصق فیها ..

الثانی: لنفترض صحه الروایه التی تقول: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد کلف شخصا بأمر السهم و الدلو.5.

1- الإصابه ج 3 ص 541 عن الحسن بن سفیان فی مسنده، و عن ابن منده فی المعرفه، و ابن السکن، و الطبرانی، و المصنف لابن أبی شیبه ج 8 ص 517 و المعجم الکبیر ج 2 ص 179 و عن کنز العمال ج 10 ص 476 و 477 و تاریخ الجرجانی ص 163.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 73 و ج 9 ص 449 و راجع: المنتظم ج 3 ص 268 و جوامع السیره النبویه ص 164 و 165 و تاریخ الإسلام للذهبی ص 376 و 377 و شرح المواهب للزرقانی ج 3 ص 181 و البحار ج 18 ص 37 و عن فتح الباری ج 5 ص 245.

إلا أننا نقول:

إن ذلک لا یحمل معه منح أی و سام أو فضیله لذلک الشخص، و لا یدل علی الاعتراف له بشی ء من الفضل و الکرامه، ما لم یصاحب ذلک إشاره أو دلاله أخری تظهر هذه الخصوصیه فیه ..

بل ربما یکون هناک من الدلالات ما یشیر إلی: أن من کلفه النبی (صلی اللّه علیه و آله) بذلک هو الذی یحتاج إلی تثبیت الیقین، و إزاله الریب عن قلبه ..

و علی هذا الأساس نقول:

إنه لا دلیل علی: أن من کلف بغرس السهم فی البئر، کان من هذا الفریق أو من ذاک، حتی نجد شواهد أخری تشیر إلی ذلک.

مياه بلدح، و مياه الحديبيه:

و یظهر من النصوص السابقه: أن العیون الغزیره و المیاه الکثیره قد کانت فی بلدح، حیث نزل المشرکون .. أما الحدیبیه فکانت المیاه شحیحه فیها، و إنما هی بئر واحده (1).

و ما أشبه اللیله بالبارحه فإن المشرکین فی بدر، کانوا علی عیون الماء، و لم یکن لدی المسلمین ماء .. و قد سقی اللّه المسلمین الماء بالمعجزه فی بدر، و فی الحدیبیه کان المشرکون علی العیون الغزیره و العذبه .. و المسلمون کانوا بلا ماء، فسقاهم اللّه تعالی بالمعجزه أیضا.3.

1- تاریخ الإسلام (المغازی) ص 376 و شرح المواهب للزرقانی ج 3 ص 180 و البحار ج 20 ص 346 و عن فتح الباری ج 5 ص 245 و مجمع البیان ج 9 ص 183.

ثم كانت النتائج بين بدر و الحديبيه متشابهه، فقد نصر اللّه المسلمين فيهما معا، و كان لهم فى الحديبيه أعظم الفتح. و هكذا كان الحال فى بدر.

من الذى نزل بالسهم؟

و قد اختلفوا فى الشخص الذى تولى مهمه غرس السهم فى بئر الحديبيه.

فالبراء بن عازب يقول: أنا نزلت بالسهم (1).

و روى: أن خالد بن عباده الغفارى (2) قال ذلک عن نفسه.

و روى: أن الذى نزل به هو ناجيه بن الأعجم .. حسبما روى عنه أنه قاله (3).

و روايه أخرى تقول: إنه ناجيه بن جندب، سائق بدن رسول اللّه (صلى9.

1- راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 315 و السيره النبويه لدحلان (ط دار إحياء التراث) ج 1 ص 484 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 181 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 41 و 73 و الإصابه ج 3 ص 541 و السيره الحلبيه ج 3 ص 12 و جوامع السيره النبويه ص 165 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج 2 قسم 2 ص 34 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 273 و السيره النبويه لإبن هشام ج 3 ص 324 و أسد الغابه ج 1 ص 172 و ج 5 ص 4 و عن عيون الأثر ج 2 ص 116 و عن فتح البارى ج 5 ص 245.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 12 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 73 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 484 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 181 و عن فتح البارى ج 5 ص 245.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 40 و 41 و راجع ص 40 و الإصابه ج 3 ص 541 و السيره الحلبيه ج 3 ص 12 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 484 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 181 و عن فتح البارى ج 5 ص 245 و الطبقات الكبرى ج 4 ص 315 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 609.

اللّه علیه و آله) (1).

و قد یمکن ترجیح: أن یکون اسم الذی نزل إلی البئر هو ناجیه و ذلک استنادا إلی أبیات الشعر المتقدمه، التی صرح فیها باسم ناجیه ..

غیر أننا نقول:

أولا: إن غایه ما یدل علیه هذا الشعر هو: أن الماتح للناس کان اسمه ناجیه .. و قد یکون الماتح هو نفسه الذی نزل بالسهم، و قد یکون الماتح شخصا، و الذی نزل بالسهم شخصا آخر.

غیر أن مما لا شک فیه: أن ناجیه کان فی البئر حین قیل هذا الشعر، و أنه قد کان ثمه حاجه إلی استخراج الماء من البئر، قبل أن یفیض منه إلی خارجه.

ثانیا: إن ثمه تناقضا یثیر الشبهه فی صحه أصل نزولهم، فالشعر یقول: إن ناجیه بن جندب کان یمتح الماء للناس، و کان الناس یمدحونه و یمجدونه علی ذلک.

بینما روایه ناجیه بن الأعجم تقول: إن الماء فاض، حتی کاد یغمره قبل أن یتمکن من الخروج من البئر، و صار الناس یفترقون من جانبها حتی نهلوا عن آخرهم .. فلم تکن هناک حاجه لوجود ماتح أصلا.5.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 40 و الإصابه ج 3 ص 541 و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 484 و شرح المواهب للزرقانی ج 3 ص 181 و مجمع الزوائد ج 6 ص 145 و البدایه و النهایه ج 4 ص 189 و الجامع لأحکام القرآن ج 16 ص 275 و عن السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 776 و عن عیون الأثر ج 2 ص 115 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 315 و عن فتح الباری ج 5 ص 245 و الطبقات الکبری ج 4 ص 315.

كما أن روايه البراء قد صرحت: بأن البئر فاضت حتى جرت نهرا.

و قال بعضهم: إن وجه الجمع بين تلك الروايات المتناقضه فى من نزل بالسهم، هو: أنهم جميعا قد تعاونوا على ذلك (1).

إن صحه هذا الجمع تتوقف على الصعوبه البالغه فى النزول إلى البئر، بحيث يحتاج النازل إليها إلى مساعده، مع أنه لا دليل يثبت ذلک.

و لو فرضنا: صحه ذلک، و أنهم عاونوا حامل السهم على النزول، فهل يصح قول كل واحد منهم: إنه هو الذى نزل بالسهم؟!..

أما قول الزرقانى: تعاونوا على ذلک بالحفر و غيره. فهو غير ظاهر الوجه.

فما معنى هذا الكلام؟! أو ليست الحفره كانت موجوده؟! و كانت بئرا واحده، حسبما صرحوا به؟!..

أم أن تلک البئر كانت قد ردمت، و كانت بحاجه إلى حفر جديد؟! فلماذا كان الناس حولها و يتبرضونها؟! و لماذا لم تصرح الروايات بغير تثوير موضع الماء بالسهم؟! و لماذا؟! و لماذا؟!

توضأ، و تمضمض، ثم مج فى الدلو:

ثم إن الروايات قد ذكرت: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد توضأ، و مضمض فاه، ثم مج فى الدلو، و بعثها فصبت فى البئر، و أثير ماؤها5.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 73 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 484 و شرح المواهب للزرقانى ج 3 ص 181 و الإصابه (ط دار الكتب العلميه) ج 2 ص 206 و عن فتح البارى ج 5 ص 245.

بالسهم (1).

و نقول:

1- إن فى هذا الحديث تأكيدا على قداسه أشخاص اختارهم اللّه، و اصطفاهم، و اجتباهم، و على أن لمباشره هؤلاء الأشخاص للأشياء تأثيرا فى نمائها، و فى حلول البركه فيها ..

2- إن هذا الفعل من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يستبطن دعوه عفويه للناس إلى أن يكون كل همهم هو تزكيه نفوسهم، و تطهيرها، لتكتسب طرفا من هذه القداسه، التى يعلمون أنها وليده ذلک الطهر، و لو فى بعض مراتبها .. و أنها صنيعه هذا القرب من اللّه، و رهينه رضاه ..

3- هذا كله بالإضافه إلى ما أشرنا إليه مرات كثيره من أن ظهور هذه المعجزات و الكرامات هام جدا فى الربط على قلوب المؤمنين، و فى قطع دابر التسويلات الباطله التى يثيرها المنافقون. و يخدعون بها الكثيرين من البسطاء الطيبين و الغافلين أو من الهمج الرعاع الذين يميلون مع الريح، و لا يميّزون الصحيح الصريح، من المريض و القبيح ..5.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 41 و 73 و السيره الحلبيه ج 3 ص 12 و جوامع السيره النبويه ص 165 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 273 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 324 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 315 و راجع: كنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 303 و 304 و البحار ج 18 ص 31- 38 و مسند أحمد ج 4 ص 290 و البدايه و النهايه ج 6 ص 16 و المغازى للواقدى ج 2 ص 588 و عن البخارى ج 4 ص 234 و ج 5 ص 156 و عن فتح البارى ج 6 ص 425 و عن السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 215.

و الکلمه المنسوبه إلی ابن أبی فی هذا الموقف و هی قوله: (قد رأیت مثل هذا) وجدت آذانا صاغیه، تلقفتها، و ترکت لها أثرا فی قلوبهم، و دمرت أو فقل اخترقت جدار السکینه فی نفوسهم ..

إستغفار الرسول صلّی اللّه علیه و آله لابن أبی:

و عن استغفار الرسول الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) لابن أبی، حین طلب منه أن یستغفر له، نقول:

قد یقال: أنه لا یصح، و ذلک لما یلی:

أولا: إنه لا ریب فی أن المنافق مشرک فی واقعه و حقیقته، فإن کان ابن أبی منافقا، فالمفروض: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان عارفا به، فکیف یستغفر له، و قد أنزل اللّه النهی عن الإستغفار للمشرکین ..

ثانیا: إنه حتی لو لم تکن آیه النهی عن الإستغفار للمشرکین قد نزلت آنئذ، فإن المنع من ذلک کان ثابتا فی دین الحنیفیه، التی کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یتعبد بها، فلم یکن یجوز له أن یفعل ذلک، حتی لو کان ذلک المشرک غیر مظهر لشرکه ..

و قد قال تعالی مشیرا إلی ذلک: وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلّا عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَها إِیّاهُ فَلَمّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوّاهٌ حَلِیمٌ (1).

ثالثا: إنهم یزعمون: حسبما تقدم فی الجزء السابق: أن النبی (صلی اللّهه.

1- الآیه 114 من سوره التوبه.

عليه و آله) قد نهی عن الاستغفار لأمه فی غزوه بنی لحیان، و قد کان ذلک قبل الحدیبیه.

بل هم یزعمون: أن قوله تعالی: ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ .. (1) قد نزلت قبل الهجره بثلاث سنوات (2).

و لم تقیّد الروایه هذا النهی بما یوجب التفریق بین المشرک المستتر بشرکه، و المشرک المعلن به ..

غیر أننا نقول:

إنه لابد من تقیید هذه الآیه و سواها، بأن المقصود هو: الشرک المعلن دون سواه، لأن المطلوب من النبی (صلی اللّه علیه و آله) هو معاملتهم بما یوجبه ظاهر حالهم .. لا بما علمه (صلی اللّه علیه و آله) من خلال علمه الخاص، و هو علم النبوه ..

فإذا کانوا یعلنون أنهم علی الإسلام، یمارسون شعائره، فلا یجوز إنکار ذلک علیهم، و لا فضح أمرهم، و ذلک تألیفا لهم علی الإسلام، و لکی یعیشوا فی أجوائه، لیدخل الإیمان فی قلوبهم بصوره تدریجیه، و لیمکن أیضا لأبنائهم و عشائرهم و من یلوذ بهم، أو یتصل بهم أن یعیشوا مع المسلمین، و لیروا بأم أعینهم محاسن هذا الدین، کما هو ظاهر.

فالنهی عن الاستغفار للمشرک، إنما هو بالنسبه للمعلن بشرکه، لاغ.

1- الآیه 6 من سوره المنافقون.
2- راجع: کتابنا (ظلامه أبی طالب)، و قد تقدم فی الجزء السابق من هذا الکتاب، حین الحدیث عن استغفار النبی (صلی اللّه علیه و آله) لأمه: أن هذه الآیه: إنما نزلت لتأکید إیمان أبی طالب (رحمه اللّه) فراجع.

للمتستر به ..

و لو أراد أن يتنكر للمنافقين لم يكن معنى لوضع سهم المؤلفه قلوبهم، و ذلک واضح لا یخفی.

المنافقون فی الحدیبیه:

و قد ذکروا: أن جماعه من المنافقین قد حضروا فی الحدیبیه ..

و قد صرحت الروایات المتقدمه، و کذلک الروایه الآتیه تحت عنوان (التوحید، و الاعتقاد بالأسباب) و کذلک روایات أخری، أشرنا إلیها فی الفصل السابق- صرحت جمیعها-: بوجود المنافقین مثل ابن أبی، و الجد بن قیس و غیرهما فی غزوه الحدیبیه، و بأنهم قد صدرت منهم أمور دعت الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) إلی اتخاذ مواقف تناسب الحال ..

و قد قرأنا آنفا: أن ابن أبی کان علی الماء فی نفر من المنافقین، و أنه سئل عن المعجزه التی أظهرها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)- فیما یرتبط بفیضان الماء- فادّعی أنه رأی مثل هذا .. ثم اعترف لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): أنه لم یر مثله قط.

و أنه طلب من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یستغفر له، فاستغفر (صلی اللّه علیه و آله) له (1).8.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 41 و السیره الحلبیه ج 3 ص 12 و کتاب سلیم بن قیس ص 239 و البحار ج 38 ص 326 و ج 22 ص 97 و ج 30 ص 148 و ج 31 ص 633 و تفسیر القمی ج 1 ص 302 و التفسیر الصافی ج 2 ص 364 و تفسیر نور الثقلین ج 2 ص 248.

و نقول:

إنه إذا كان هؤلاء المنافقون قد حضروا الحديبيه، و إذا كانت بيعه الرضوان قد حصلت فی هذه المناسبه، و بايع جميع من كان مع رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله)- بمن فيهم المنافقون- و إذا كانوا جميعهم يدخلون الجنه باستثناء صاحب الجمل الأحمر حسبما تقدم، فإن السؤال الذی يلح بطلب الإجابه الصحيحه و الصريحه هو التالی:

إنه بناء علی ذلک، و بناء علی قول أهل السنه بعداله جميع الصحابه، استنادا إلی آيات بيعه الشجره و هی قوله تعالی:

لَقَدْ رَضِیَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ فَعَلِمَ ما فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَهَ عَلَيْهِمْ وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (1).

و قوله تعالی: إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَکَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما يَنْکُثُ عَلی نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفی بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (2).

فإن ابن أبی و جميع من حضر فی الحديبيه ممن هم علی شاكلته، لابد أن يحكم بصحه إيمانهم استنادا إلی ذلک. و لا يجوز لأهل السنه إطلاق القول بنفاقه أصلا، فضلا عن دعواهم: أنه كان رأس المنافقين فی المدينه.

و يؤكد هذا الأمر و يزيده وضوحا لنا، و تعقيدا بالنسبه إلی أصول أهل السنه: أنهم يقولون: إن اللّه سبحانه قال لرسوله (صلی اللّه عليه و آله)ح.

1- الآيه 18 من سوره الفتح.
2- الآيه 10 من سوره الفتح.

بالنسبه للمنافقين: وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ (1).

و بعد ما تقدم: فإنه يرد على أهل السنه سؤال آخر، و هو: إذا لم يكن هؤلاء هم المنافقون! فمن المقصود بالآيات التى تحدثت عن المنافقين فى سوره (المنافقون) و (البقره) و (التوبه) و فى (آل عمران) و .. و .. و تحدث عنهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى مناسبات كثيره كما يظهر من مراجعه كتاب الدر المنثور و غيره من كتب التفسير بالمأثور، فضلا عن غيرها من كتب الحديث و التاريخ، و ما إلى ذلک؟!

و بناء على ما تقدم نقول:

إن هناک حلولا لهذه المعضله، نذكر منها ما يلى:

1- أن يأخذوا بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) فى عدد التكبير فى صلاه الميت حيث رووا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يكبر على المنافقين أربعا، و على صحيحى الإيمان خمسا ..

2- أن يعترفوا: بأن آيه بيعه الرضوان لا تدل على عداله جميع من بايع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، بل على عداله خصوص المؤمنين منهم، و لا بد من معرفه صحه الإيمان فى كل واحد منهم بدليل آخر ..

و مما يزيد هذا الاستدلال إشكالا: أن الآيه الأخرى قد أشارت إلى احتمالات نكث البيعه من قبل بعض من بايع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

3- أن يتراجعوا عن الحكم بنفاق ابن أبى، و الجد بن قيس، و غيرهماه.

1- الآيه 84 من سوره التوبه.

ممن حضر الحديبيه، و يحكموا بأنهم أصحاب إيمان صحيح ..

فإذا اختاروا هذا الحل، فإنهم يكونون قد خالفوا حقيقه ثابته من الناحيه التاريخيه، و عليهم بالإضافه إلى ذلک أن يبيّنوا لنا من هو المقصود بالآيات التى وردت فى سوره (المنافقون)، و فى سوره (البقره)، و فى سوره (آل عمران)، و فى سوره (التوبه) و .. و ..؟! و من هم المقصودون بکلام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى هذا الشأن؟!

ثم إن عليهم إذا ادّعوا عدم نفاق ابن أبى: أن يبيّنوا لنا سبب سعى عمر لمنع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من الصلاه على ابن أبى، و لماذا لم يستجب له الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) حين طلب منه عمر الامتناع عن ذلک؟!

أبو سفيان على بئر الحديبيه!:

و زعموا: أن أبا سفيان قال لسهيل بن عمرو: قد بلغنا أنه ظهر بالحديبيه قليب (1) فيه ماء. فقم بنا ننظر إلى ما فعل محمد. فأشرفا على القليب، و العين تنبع تحت السهم، فقالا: ما رأينا کاليوم قط. و هذا من سحر محمد قليل (2).

و صرحت نصوص أخرى: بأن قريشا قد جاءت إلى الحديبيه، لا خصوص أبى سفيان.7.

1- القليب: هو البئر.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 12 و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 91 و البحار ج 18 ص 37.

و نقول:

إن كان ذلک قد حصل قبل الصلح، فيرد عليه:

أن أبا سفيان لا يجرؤ على المجى ء إلى الحديبيه إذا كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيها، خصوصا مع وجود تلک الجموع معه، فإنهم لن يسكتوا عن وجود رجلين غريبين يظهران فيما بينهم، بل لابد أن يتعرفوا عليهما، فإذا عرفوهما فسيكون لهم شأن معهما، و أى شأن.

و إن كان ذلک قد حصل بعد الصلح، و بعد ارتحال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و من معه من المسلمين ..

فيرد عليه: أنهم يقولون: إن البراء بن عازب قد انتزع ذلک السهم من موضعه، و ذلک حين ارتحال الرسول (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين عنه ..

فجف الماء كأن لم يكن هناک شى ء (1).

و لكننا مع ذلک نقول:

إن أبا سفيان كان يعرف الحديبيه، و أنها لا ماء فيها، فإذا كان مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) ألف و أربع مائه أو خمس مائه رجل، و معهم رواحلهم و دوابهم، و ربما طائفه من النساء، فلا بد أن يحتاجوا إلى الكثير من الماء الذى يعرف أنه غير متوفر فى الحديبيه.

و هذا يقرّب إلى الذهن أن يكونوا قد سمعوا بأمر البئر، و بمعجزه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و دفعهم ذلک إلى الذهاب إلى هناک بعد رحيله (صلى اللّه عليه و آله)، فرأوا أنها قد غارت أيضا، لكى يتبين لهم أنه.

1- نفس المصادر السابقه.

البركات مرهونه به (صلى اللّه عليه و آله).

و لكن عنادهم، دفعهم إلى الجحود، و اعتبار ذلك من السحر.

و لعلهم أرادوا إطلاق هذه الشائعه، لكى لا يتأثر الناس بما سمعوه عن معجزات و كرامات حصلت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

التوحيد، و الإعتقاد بالأسباب:

روى الشيخان و أبو عوانه، و البيهقى عن زيد بن خالد (رضى اللّه عنه) قال: خرجنا مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عام الحديبيه، فأصابنا مطر ذات ليله، فصلى بنا النبى (صلى اللّه عليه و آله) الصبح، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟

قلنا: اللّه و رسوله أعلم.

قال: قال اللّه عز و جل: (أصبح من عبادى مؤمن و كافر، فأما المؤمن:

من قال: مطرنا برحمه اللّه و بفضل اللّه، فهو مؤمن بى و كافر بالكواكب.

و أما من قال: مطرنا بنجم كذا- و فى روايه: بنوء كذا و كذا- فهو مؤمن بالكواكب كافر بى) (1).6-

---

1- الديباج على مسلم ج 1 ص 89 و صحيح ابن حبان ج 1 ص 417 و تفسير مجمع البيان ج 10 ص 28 و الجامع لأحكام القرآن ج 7 ص 229 و البدايه و النهايه ج 4 ص 194 و زاد المسير ج 7 ص 249 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج 8 ص 521 و المغازى ج 2 ص 589 و 590 و موسوعه التاريخ الاسلامى ج 2 ص 611 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 42 و راجع: تذكره الفقهاء (ط جديد) ج 4 ص 223 و الذكرى للشهيد الأول ص 252 و مغنى المحتاج ج 1 ص 326-

و فی نص آخر: أصبح الناس رجلان مؤمن باللّه کافر بالکواکب، و کافر باللّه مؤمن بالکواکب.

قال محمد بن عمر: و کان ابن أبی بن سلول قال: هذا نوء الخریف، مطرنا بالشعری.

و روی ابن سعد، عن أبی الملیح، عن أبیه، قال: أصابنا یوم الحدیبیه مطر لم یبل أسافل نعالنا، فنادی منادی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن صلوا فی رحالکم (1).3-

---

1- راجع النصوص المتقدمه فی: سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 42 و قال فی هامشه: أخرجه البخاری 5/ 259 (4147) و أخرجه مسلم فی الإیمان (125) و البیهقی فی دلائل النبوه 4/ 131. و نضیف نحن المصادر التالیه: المنتظم ج 3 ص 273 و السیره ج 3 ص 25 و مسند أحمد ج 5 ص 74 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 302 و السنن الکبری للبیهقی ج 3 ص 71 و عون المعبود ج 3 ص 273 و المصنف لابن أبی شیبه ج 2 ص 137 و صحیح ابن خزیمه ج 3 ص 80 و صحیح ابن حبان ج 5 ص 435- 348 و المعجم الأوسط ج 8 ص 346 و المعجم الکبیر ج 1 ص 188 و 189 و موارد الظمآن ص 123-

و نقول:

إن الأمر هنا يحتاج إلى بعض التوضيح، و ذلک على النحو التالى:

إعتقاد العرب بالأنواء:

لقد کان العرب یعتقدون: أن الأنواء هى التى تحدث المطر، أو الریح.

و الأنواء ثمانیه و عشرون فى کل سنه.

و النوء عباره عن غروب نجم مع الفجر، و طلوع رقیبه من المشرق من أنجم المنازل، و ذلک یحصل فى کل ثلاثه عشر یوما إلا الجبهه- النجم المعروف- فإن لها أربعه عشر یوما.

و کان هذا الاعتقاد راسخا فى العرب، و کان لابد من إزالته. لیصح الاعتقاد بالتوحید، و تزول عنهم رواسب الشرک، و عوارضه ..

القرآن: الغیث و الریح بید اللّه:

و لم یزل القرآن یصرح بأن اللّه هو الذى ینزل الغیث، و هو الذى یزجى السحاب، و یرسل السماء علیهم مدرارا، و هو الذى یرسل الریاح.

فقال تعالى: یُرْسِلِ السَّماءَ عَلَیْکُمْ مِدْراراً (1).

و قال: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَهِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ (2).ن.

1- الآیه 52 من سوره هود و الآیه 11 من سوره نوح.
2- الآیه 34 من سوره لقمان.

و قال: وَ هُوَ الَّذِی یُنَزِّلُ الْغَیْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا (1).

و قال: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ (2).

و عن الریاح یقول: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ (3).

و یقول: وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ (4).

و یقول: وَ مَنْ یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ (5).

و یقول: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ (6).

سعی الرسول صلّی اللّه علیه و آله لا قتلاع هذا الاعتقاد:

و قد حفلت کتب الحدیث و التاریخ و غیرها بالنصوص الوارده عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و التی تدین هذا الاعتقاد، و تدعو للتخلص منه ..

و هذا المورد الذی نحن بصدد الحدیث عنه هو أحد مفردات الدعوه، حیث أخبرهم النبی (صلی اللّه علیه و آله) عن اللّه سبحانه: أن من یقولم.

1- الآیه 28 من سوره التوبه.
2- الآیه 43 من سوره النور.
3- الآیه 22 من سوره الحجر.
4- الآیه 57 من سوره الأعراف و نحوها الآیه 48 من سوره الفرقان.
5- الآیه 63 من سوره النمل.
6- الآیه 48 من سوره الروم.

مطرنا بنجم كذا، أو بنوء كذا، فهو كافر باللّه.

و ليس المراد هنا: كفر النعمه، كما يحاول البعض أن يدّعى، بل المراد الكفر الحقيقى، لأنه يريد أن يذكر لهم منطق أهل الجاهليه، لكى يقرر: أن القول: بأن الفاعل الحقيقى للمطر و للريح هو النوء الفلانى، كفر صريح لا يلتقى مع الإيمان بشى ء.

و قد روى عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قوله: (لو أمسک اللّه المطر عن الناس سبع سنين، ثم أرسله، لأصبحت طائفه كافرين، قالوا: هذه بنوء الدبران) أو المجدح كما ورد فى الروايات (1).

مع أن انقطاع المطر عنهم سبع سنين يدل على: أن الأنواء لا تأثير لها، لأن الأنواء موجوده طيله هذه السنين السبع كلها. و لم يؤثر وجودها فى نزول المطر.

و قد ذكر السيوطى فى كتابه: (الدر المنثور) ج 6 ص 162- 164 أحاديث كثيره عن عشرات المصادر، صريحه بإدانه- و بعضها يصرح بكفر- من يصرّ على أن التأثير فى المطر هو للأنواء، فراجع.0.

1- البحار ج 55 ص 329 و راجع ص 327- 330 و الدر المنثور ج 6 ص 163 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 25 و البرهان (تفسير) ج 4 ص 283 و صحيح ابن حبان ج 13 ص 500 و مسند أحمد ج 3 ص 7 و راجع: سنن النسائى ج 3 ص 165 و مسند الحميدى ج 2 ص 331 و السنن الكبرى للنسائى ج 1 ص 564 و ج 6 ص 230 و راجع: مسند أبى يعلى ج 2 ص 482 و صحيح ابن حبان ج 13 ص 501 و كتاب الدعاء ص 298 و موارد الظمآن ص 160 و عن كنز العمال ج 3 ص 636 و تفسير القرآن للصنعانى ج 3 ص 274 و التاريخ الكبير ج 7 ص 55 و تهذيب الكمال ج 19 ص 290.

و اللافت هنا: أنه رغم كثره تعرض النبی (صلی اللّه علیه و آله) لإدانه هذا الاعتقاد فقد نقل عن عمر بن الخطاب أنه قال: مطرنا کذا.

و اعتذر عنه الحلبی: بأنه لعله لم یبلغه النهی عن ذلک (1).

و لکن من الواضح: أن عمر کان حاضرا فی الحدیبیه، کما صرح به الحلبی نفسه.

و ربما یقال: إن هذا الاعتذار یبقی مجرد احتمال.

و هناک احتمال آخر، و هو: أنه قد قال ذلک علی سجیته، متأثرا بما کان یعتقده فی الجاهلیه ..

و لعل من ذکر: أن المراد هو: کفر النعمه، و أن النهی لیس نهی تحریم بل هو نهی کراهه (2) قد أراد حفظ ماء الوجه للخلیفه الثانی فی قوله هذا ..

و اللّه هو العالم بحقیقه الحال.ق.

1- راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 25.
2- المصدر السابق.

ص: 254

الفصل الخامس: اتصالات .. و مداولات

اشاره

هدايا قبلت:

و أهدى عمرو بن سالم، و بسر بن سفيان الخزاعيان بالحديبيه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) غنما و جزورا، و أهدى عمرو بن سالم لسعد بن عباده جزرا- و كان صديقا له- فجاء سعد بالجزر إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أخبره أن عمرا أهداها له، فقال: (و عمرو قد أهدى لنا ما ترى، فبارك اللّه فى عمرو).

ثم أمر بالجزر أن تنحر و تقسم فى أصحابه، و فرق الغنم فيهم عن آخرها، و شرك فيها، فدخل على أم سلمه من لحم الجزور كنحو ما دخل على رجل من القوم.

و شرک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى شاته، فدخل على أم سلمه بعضها، و أمر (صلى اللّه عليه و آله) للذى جاء بالهديه بكسوه (1).

و نقول:

إنه لم يظهر من نصوص التاريخ إسلام عمرو بن سالم، أو بسر بن سفيان الخزاعى فإن كانا أو أحدهما ما زال على الشرک، فإن قبول هديتهما1.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 42 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 611.

يتنافى مع ما روى عنه (صلى اللّه عليه و آله) من أنه لا يقبل هديه مشرک.

و قد تقدم ذلک فى الفصل الذى تحدثنا فيه عن إيمان أبى طالب، فراجع.

فقبوله (صلى اللّه عليه و آله) هديتهما يدل على تقدم إسلامهما. و يدل على ذلک أيضا، ما صرحت به هذه الروايه، من أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد دعا لعمرو بقوله: (فبارک اللّه فى عمرو).

إتصالات و مداولات:

لما اطمأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالحديبيه: جاءه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعه، منهم: عمرو بن سالم، و خراش بن أميه، و خارجه بن كرز، و يزيد بن أميه. و كانوا عيبه نصح لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بتهامه، منهم المسلم، و منهم الموادع. لا يخفون عنه بتهامه شيئا.

فلما قدموا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) سلموا، فقال بديل بن ورقاء: جئناک من عند قومک، کعب بن لؤى، و عامر بن لؤى، قد استنفروا لک الأحابيش و من أطاعهم، قد نزلوا أعداد مياه الحديبيه، معهم العوذ المطافيل، و النساء و الصبيان، يقسمون باللّه لا يخلون بينک و بين البيت حتى تبيد خضراؤهم.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (إنّا لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه، إن قريشا قد أضرت بهم الحرب و نهکتهم، فإن شاؤوا ماددتهم مده يأمنون فيها، و يخلون فيما بيننا و بين الناس- و الناس أکثر منهم.

فإن أصابونى فذلک الذى أرادوا.

و إن ظهر أمرى على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو يقاتلوا و قد جمّوا.

و إن هم أبوا فو اللّه لأجهدن على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى، و لينفذن اللّه تعالى أمره).

فوعى بديل مقاله رسول اللّه، و قال: سأبلغهم ما تقول: و عاد و ركبه إلى قريش، فقال ناس منهم: هذا بديل و أصحابه، و إنما يريدون أن يستخبروكم، فلا تسألوهم عن حرف واحد.

فلما رأى بديل أنهم لا يستخبرونه قال: إنّا جئنا من عند محمد، أتحبون أن نخبركم عنه؟

فقال عكرمه بن أبى جهل، و الحكم بن أبى العاص: ما لنا حاجه بأن تخبرونا عنه، و لكن أخبروه عنا: أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا، حتى لا يبقى منا رجل.

فأشار عليهم عروه بن مسعود الثقفى بأن يسمعوا كلام بديل، فإن أعجبهم قبلوه، و إلا تركوه، فقال صفوان بن أميه، و الحارث بن هشام:

أخبرونا بالذى رأيتم و سمعتم.

فقال بديل لهم: إنكم تعجلون على محمد (صلى اللّه عليه و آله)، إنه لم يأت لقتال، إنما جاء معتمرا، و أخبرهم بمقاله النبى (صلى اللّه عليه و آله) فقال عروه: يا معشر قريش، أتتهموننى؟

قالوا: لا.

قال: ألستم بالوالد؟!

قالوا: بلى.

قال: ألست بالولد؟

قالوا: بلى.

و كان عروه لسبيعه بنت عبد شمس القرشيه.

قال: (ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ لنصركم، فلما تبلّحوا على نفرت إليكم بنفسى، و ولدى، و من أطاعنى؟

قالوا: قد فعلت، ما أنت عندنا بمتهم.

قال: إنى لكم ناصح، و عليكم شفيق، لا أدخر عنكم نصحا، فإن بديلا قد جاءكم بخطه رشد لا يردها أحد أبدا، إلا أحد شر منها. فاقبلوها منه، و ابعثونى حتى آتيكم بمصداقها من عنده، و أنظر إلى من معه، و أكون لكم عينا آتيكم بخبره.

فبعثته قريش إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فجاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فقال: يا محمد، تركت كعب بن لؤى، و عامر بن لؤى على أعداد مياه الحديبيه، معهم العوذ المطافيل، قد استنفروا لک الأحابيش و من أطاعهم، قد لبسوا جلود النمور، و هم يقسمون باللّه لا يخلون بينک و بين البيت حتى تجتاحهم، و إنما أنت و من قاتلهم بين أحد أمرين أن تجتاح قومک، و لم يسمع برجل اجتاح قومه و أهله قبلک. أو بين أن يخذلک من ترى معک، و إنى و اللّه لا أرى معک وجوها، و إنى لا أرى إلا أوباشا.

و فى روايه: فإنى لأرى أوشابا (1) من الناس، لا أعرف وجوههم و لا أنسابهم، و خليقا أن يفروا و يدعوک.5.

1- الأوشاب: الأوباش، و الأخلاط من الناس، انظر المعجم الوسيط 2/ 1045.

و فی روایه: و کأنی بهم لو قد لقیت قریشا أسلموک، فتؤخذ أسیرا، فأی شی ء أشد علیک من هذا؟

فغضب أبو بکر- و کان قاعدا خلف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فقال: امصص بظر اللات، أنحن نخذله، أو نفرّ عنه؟!

فقال عروه: من ذا؟

قالوا: أبا بکر.

فقال عروه: أما و اللّه لولا ید لک عندی لم أجزک بها لأجیبنک.

و کان عروه قد استعان فی حمل دیه، فأعانه الرجل بالفریضتین و الثلاث، و أعانه أبو بکر بعشر فرائض.

فکانت هذه ید أبی بکر عند عروه.

و طفق عروه کلما کلّم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مس لحیه النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و المغیره بن شعبه قائم علی رأسه (صلی اللّه علیه و آله) بالسیف، علی وجهه المغفر- لما قدم عروه لبسها- فطفق المغیره کلما أهوی عروه بیده لیمس لحیه النبی (صلی اللّه علیه و آله) یقرع یده بنعل السیف و یقول: اکفف یدک عن مس لحیه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قبل ألا تصل إلیک، فإنه لا ینبغی لمشرک أن یمسه.

فلما أکثر علیه غضب عروه و قال: ویحک!! ما أفظک و أغلظک!

و قال: لیت شعری!! من هذا الذی آذانی من بین أصحابک؟ و اللّه لا أحسب فیکم ألأم منه، و لا أشر منزله.

فتبسم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و قال: (هذا ابن أخیک المغیره بن شعبه).

فقال عروه: و أنت بذلک یا غدر، و اللّه ما غسلت عنک غدرتک بعکاظ إلا أمس، لقد أورثتنا العداوه من ثقیف إلی آخر الدهر.

و جعل عروه یرمق أصحاب النبی (صلی اللّه علیه و آله) بعینه، فو اللّه ما یتنخم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نخامه إلا وقعت فی کف رجل منهم، فدلک بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، و إذا توضأ کادوا یقتتلوا علی وضوئه، و لا یسقط شی ء من شعره إلا أخذوه، و إذا تکلم خفضوا أصواتهم عنده، و ما یحدّون النظر إلیه، تعظیما له.

فلما فرغ عروه من کلام رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، ورد علیه الرسول (صلی اللّه علیه و آله) مثل ما قال لبدیل بن ورقاء، و کما عرض علیهم من المده. فأتی عروه قریشا، فقال:

یا قوم، إنی وفدت إلی الملوک: کسری، و قیصر، و النجاشی، و إنی و اللّه ما رأیت ملکا قط أطوع فیما بین ظهرانیه من محمد فی أصحابه، و اللّه إن رأیت ملکا قط یعظمه أصحابه ما یعظم أصحاب محمد محمدا، و لیس بملک.

و اللّه ما تنخم نخامه إلا وقعت فی کف رجل منهم، فدلک بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، و إذا توضأ کادوا یقتتلون علی وضوئه أیهم یظفر منه بشی ء، و لا یسقط شی ء من شعره إلا أخذوه، و إذا تکلم خفضوا أصواتهم عنده، و ما یحدون النظر إلیه تعظیما له، و لا یتکلم رجل منهم حتی یستأذن، فإن هو أذن له تکلم، و إن لم یأذن له سکت.

و قد عرض علیکم خطه رشد فاقبلوها، قد حرزت القوم.

و اعلموا أنکم إن أردتم منهم السیف بذلوه لکم.

و قد رأيت قوما لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعتم صاحبهم، و اللّه لقد رأيت معه نساء ما كن ليسلمنه أبدا على حال، فروا رأيكم، فأتوه يا قوم، و اقبلوا ما عرض عليكم، فإنى لكم ناصح، مع أنى أخاف أن لا تنصروا على رجل أتى زائرا لهذا البيت، معظما له، معه الهدى ينحره و ينصرف.

فقالت قريش: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور، أو غيرک تكلم بهذا؟ و لكن نرده عامنا هذا، و يرجع إلى قابل.

فقال: ما أراكم إلا تصيبكم قارعه.

فانصرف هو و من تبعه إلى الطائف.

فقام الحليس- و هو بمهملتين، مصغّر- بن علقمه الكنانى و كان من رؤوس الأحابيش، و فى نص آخر: كان يومئذ سيد الأحابيش (1) فقال:

دعونى آتيه.

فقالوا: ائته.

فلما أشرف على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال (صلى اللّه عليه و آله): (هذا فلان من قوم يعظمون البدن، و فى لفظ: الهدى، و يتألهون، فابعثوها له).

فبعثت له.

فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى عليها قلائدها، قد أكلت أوبارها من طول الحبس، ترجّع الحنين، و استقبله الناس يلبون قد أقاموا ى.

1- الأحابيش هم: بنو الهون بن خزيمه، و بنو الحرث بن عبد مناف، و بنو المصطلق. سموا بذلک لأنهم تحالفوا تحت جبل بمكه اسمه حبشى.

نصف شهر، و قد تفلوا و شعثوا، صاح و قال: سبحان اللّه (ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت!! أبى اللّه أن تحج لخم، و جذام، و كنده، و حمير، و يمنع ابن عبد المطلب، ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، هلكت قريش و ربّ الكعبه. إن القوم إنما أتوا عمّارا).

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (أجل يا أخا بنى كنانه).

و ذكر ابن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد: أنه لم يصل إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما رأى ذلك إعظاما لما رأى.

فيحتمل أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) خاطبه من بعد.

فرجع إلى قريش، فقال: إنى رأيت ما لا يحل منعه، رأيت الهدى فى قلائده، قد أكل أوباره، معكوفا عن محله، و الرجال قد تفلوا، و قملوا أن يطوفوا بهذا البيت.

و اللّه ما على هذا حالفناكم، و لا عاقدناكم، على أن تصدوا عن البيت من جاءه، معظما لحرمته، مؤديا لحقه. و ساق الهدى معكوفا أن يبلغ محله.

و الذى نفسى بيده لتخلّنّ بينه و بين ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفره رجل واحد.

فقالوا: كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به، و فى لفظ:

اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لک، کل ما رأيت من محمد مكيده.

فقام مكرز- بكسر الميم، و سكون الكاف، و فتح الراء- بن حفص.

فقال: دعونى آته.

فلما طلع ورآه النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال: (هذا رجل غادر) و فى لفظ: (فاجر).

فلما انتهى إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كلّمه بنحو ما كلم به بديلا و عروه، فرجع إلى أصحابه، فأخبرهم بما ردّ عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (1).

بيانات للتوضيح أو التصحيح:

و تستوقفنا فى النصوص المتقدمه أمور كثيره، لابد من الاكتفاء بالإشاره الموجزه إلى بعضها، وفق ما يتيسر لنا، فنقول:

مفارقه لا يرضاها حليس:

لقد ذكر النص المتقدم: أن حليس بن علقمه لم يستطع أن يرضى بالمفارقه الظاهره، و التى هى غير منطقيه و لا معقوله، و هى: أن تمنع قريش ابن عبد المطلب من زياره بيت اللّه، و تسمح لأشتات قبائل العرب بذلک، مثل لخم، و جذام، و حمير، و كنده !!6.

1- راجع النصوص المتقدمه فى: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 43- 46 و راجع السيره الحلبيه ج 3 ص 13- 16 و راجع: مجمع الزوائد ج 6 ص 145 و 146 و الدر المنثور ج 6 ص 76- 78 و السنن الكبرى ج 9 ص 220 و الكافى ج 8 ص 323 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 95 و الخراج لأبى يوسف ص 210 و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج 7 ص 134 و رسالات نبويه ص 170 و راجع: السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 39 و 40 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 202 و 203 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 274 و عن عيون الأثر ج 2 ص 116 و البدايه و النهايه ج 4 ص 190 و عن السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 778 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 316.

فعبد المطلب كان و بقى رمزا عظيما بالنسبه للعرب، و لم يكن يمكن لأحد أن يستهين بموقعه، أو أن يتجاهل مكانته عند اللّه تعالى، أو أن ينكر تقواه و قداسته، خصوصا و أنه سيد مكه، بل سيد العرب، و لم يزل اسمه مرتبطا بالقداسات، و الكرامات، و الاستقامه على خط الخير و الصلاح، و السداد و الفلاح ..

و قد ظهر لابن عبد المطلب و هو رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالذات أكثر مما ظهر لجده من معجزات، و كرامات و قداسات. و ها هو قد جاء على صفه و حاله تظهر و تجسد ما هو عليه من التقوى و الارتباط باللّه، و تعظيم البيت .. و ذلک بصوره عمليه قويه، و قادره على أن تحضر عبد المطلب نفسه إلى الذاكره، بل إلى المشاهده بعين الباطن، و الضمير و الوجدان.

فانتفض وجدان الحليس، و انطلق ينذر بإعاده النظر فى كل العقود و العهود التى كانت بين الأحابيش و بين قريش .. بل هو يتجاوز ذلک إلى أن يتهدد و يتوعد بأن ينفر مع الأحابيش كلها لنصره محمد (صلى اللّه عليه و آله) ..

و على قريش أن تأخذ هذا التهديد بعين الاعتبار، فإن عروه بن مسعود الثقفى قد سبق الحليس فى اتخاذ موقف رافض لهذه السياسه الظالمه، و انسحب و من تبعه إلى بلاده ..

و هذا بالذات هو بعض ما تخشاه قريش، و يؤرقها، و يقض مضاجعها.

تحليل ابن مسعود ليس دقيقا:

قد ظهر من النصوص المتقدمه:

أن عروه بن مسعود، و إن كان فى يوم الحديبيه لا يزال مشركا، و لكنه

كان يطرح الأمور مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) وفق تحليله الذى كان يراه منطقيا و معقولا ..

فهو قد اعتبر نصره الأوشاب- و هم الخليط غير المتجانس- لا تنتهى إلى نتيجه؛ لأنهم يندفعون إلى الأمور كأفراد استنادا إلى إحساسهم الداخلى، بما يحققه لهم هذا الاندفاع من نتائج، فإذا كان يرى نفسه فردا منقطعا عن عشيرته، فسوف يرى من هذه النتائج ما يتناسب مع حجمه كفرد. فإذا وازن بينها و بين الثمن الذى قد يدفعه من أجلها، ألا و هو نفسه التى هى أعز ما فى الوجود عليه، فسيرى أنه مغبون فى هذه الصفقه، فتدعوه نفسه للفرار.

أما إذا كانت له عشيره تشاركه فى هذه الاهتمامات، أو كان لديه رصيد معنوى يرى نفسه مطالبا بحفظه، و بالدفاع عنه، فإنه يشعر بوجود من و ما تتوفر لديه حوافز الدفاع عنه و حفظه.

و سوف تختلف نظرته إلى طبيعه المنافع التى سوف يحصل عليها، حيث سيرى أنها أصبحت بحجم عشيرته كلها. فإذا كبرت فى عينه النتائج، و تضاءلت احتمالات الخساره، و أصبح هناک شعور أكبر بالأمن، فإن الاندفاع فى الحرب، و الإصرار على تحقيق النصر فيها سوف يكون أكبر، و احتمالات حصول هذا النصر أكثر و أوفر ..

و لكن قد غاب عن ذهن عروه بن مسعود: أن الإيمان باللّه سبحانه، و بالجنه و النار، و بالثواب و العقاب، و أن ترسيخ حب اللّه، و حب الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، و حب الحق، و حب الإيمان و تنامى ذلک فى القلب و فى الروح- إن ذلک- لابد أن يضاعف من اندفاع الناس للدفاع عما يحبون، و أن يسهل عليهم ما يصيبهم فى هذه الحياه الدنيا، إذا كان يوجب

لهم الأمن و الفوز و الفلاح فى الآخره ..

بل إن ذلک کله یجعل هذا الإنسان لیس فقط لا یهتم بالحفاظ علی نفسه و حیاته، و إنما هو یلتذ و یسعد حین یضحی بالنفس و المال، و الولد، علی قاعده:

(فزت و رب الکعبه)، کما أن طعم الموت لابد أن یصبح لدیه أحلی من العسل ..

ثم هو لابد أن یحزن، و یبکی، و یتحسر إذا فاته ذلک.

و بذلک یظهر: أن رابطه العشیره، و المصلحه، و حمیه الجاهلیه، و ما إلی ذلک سوف لا یبقی لها تأثیر یذکر فی الدفع، أو فی الرفع ..

و قد أثبتت الوقائع فی بدر و سواها هذه الحقیقه بما لا مزید علیه.

المنطق القبائلی، و المنطق الإیمانی:

و قد حاول ابن مسعود أن یقدم لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) معادله ترتکز إلی المنطق العشائری، و إلی القیم الجاهلیه، فی مغازیها و مرامیها، و ذلک حین طالبه بالنظر فی خیارین کلاهما مرفوض عشائریا و جاهلیا، و هما:

1- أن یحتاج قومه بالحرب، و هذا أمر لا ترضاه العقلیه العشائریه، و تعتبره من موجبات العار الذی لا یقدم علیه أحد یلتزم بهذا المنطق، قال عروه: أن تجتاح قومک، و لم یسمع برجل اجتاح قومه، و أهله قبلک.

2- أن تکون نتیجه الحرب هی: أن یفر عنه أصحابه الذین هم أشواب (1) من الناس، فیأسره قومه، و هذا أمر لا یرضاه لنفسه، فإن الأسر عار و ذل أیضا ..ط.

1- أی خلیط.

و اللافت هنا: أن عروه قد استند فی حصر الأمر بهذین الخیارین إلی أن قریشا قد أظهروا الحقد و التصمیم علی حربه، و لبسوا جلود النمور، و هم یقسمون باللّه أن لا یخلوا بینه و بین البیت ..

و یا لیت عروه بن مسعود یتذکر:

أولا: إن قریشا أهل محمد (صلی اللّه علیه و آله) و قومه، فلماذا یلبسون لابن عشیرتهم و لمن هو فی جمله أهلهم جلود النمور، و لماذا یحقدون علیه، و یصرون علی حربه، فإن المفروض هو: أن یعالج المنطق القبلی هذه الظاهره، و أن یقضی علیها، و أن یزول حقدهم علیه، و ممانعتهم و منعهم إیاه من دخول حرم اللّه لنفس هذا السبب، و هو کونهم أهله، و عشیرته ..

ثانیا: إن ما یریدون منعه منه و عنه لیس لهم فیه حق، فإنه بیت اللّه، و هم مجرد خدم و سدنه لهذا البیت، و لا یرضی حتی منطقهم الجاهلی بمنع أحد من حجه أو من عمرته، أو من زیاره بیت ربه سبحانه و تعالی ..

ثالثا: إن هؤلاء الأهل و العشیره قد ظلموا أخاهم و سیدهم، و أقدس رجل فیهم، و أخرجوه و من معه من بلده و أهله، و ماله، من غیر ذنب أتاه إلیهم .. و قد آذوه و حاولوا قتله، و استئصال شأفته، و إباده خضرائه فی حروبهم ضده .. فلماذا فعلت قریش ذلک؟!..

مع أنه- حسب منطق ابن مسعود-: لم یسمع برجل اجتاح قومه و أهله قبلهم .. فلماذا جرّت باؤهم فی ذلک کله .. و لم تجر باء محمد (صلی اللّه علیه و آله) هذه المره؟! و لو بمقدار أن یسمحوا له بزیاره بیت ربه، ثم یرجع عنهم من دون قتال، و لا حتی جدال ..

رابعا: لو أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و من معه أصروا علی

زياره البيت، فهل ستقاتله قريش، أم ستتركه؟!

إن كلام عروه بن مسعود نفسه صريح فى أنها ستقاتله، بصوره متعديه و ظالمه، فلماذا لم يوجه عروه إليها نفس هذا الكلام .. قبل أن يأتى رسولا من قبلها إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ليسوّق لا ستمرار هذا الظلم، و يباركه، و يدعمه بظلم فاحش آخر؟!..

لقد كان عليها أن تخضع لهذا المنطق، الذى جاءت لتطالب الآخرين بالخضوع له، و تكف عن القتال، و تمكن زوار البيت الحرام من الزياره و العمره.

عنادهم و موقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أما موقف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فكان حازما، و لكنه لم يكن عدوانيا، بل هو عين الإنصاف و العدل، و هذا بالذات هو ما كان يثير حفيظه قريش، حيث وجدت نفسها فى موقع العناد و اللجاج من دون أن يكون لديها أى مبرر مقبول أو معقول، حتى أمام شركائها فى الرأى و الموقف، و حلفائها ضد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و من هم على دينها. فإن ما كان يقوله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هو: إننا جئنا لزياره بيت ربنا، فمن صدنا عنه قاتلناه.

فهو لم يطالب إلا بحق يقرّ له به كل أحد، و لا مجال للمراء فيه، و هو حق عام يطالب به جميع الناس قريشا بالذات، فمن أنكر هذا الحق على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلا بد أن ينكره على نفسه أولا.

من هنا نجد: أن جميع من جاؤوا من قبل قريش إلى النبى (صلى اللّه

علیه و آله) لم یکن لدیهم حجه یعتصمون بها، فکانوا یلجأون إلی محاوله تخویفه (صلی اللّه علیه و آله) و المسلمین من عاقبه دفع الأمور باتجاه الحرب ..

ثم کانت حصیله مساعیهم: أنهم یرجعون إلی قومهم لیواجهوهم بنفس المنطق الذی سمعوه من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) .. و ذلک بدءا من بدیل بن ورقاء الخزاعی الذی قال لقریش: إنکم تعجلون علی محمد، إنه لم یأت لقتال، إنما جاء معتمرا، ثم أخبرهم بمقاله النبی (صلی اللّه علیه و آله) حسبما تقدم.

مرورا بعروه بن مسعود الذی قال لهم: قد عرض علیکم خطه رشد فاقبلوها.

و کذلک الحلیس بن علقمه، الذی قال لقریش حین رجع إلیها: ما علی هذا حالفناکم، و لا عاقدناکم، علی أن تصدوا عن البیت من جاءه معظما لحرمته، مؤدیا لحقه الخ ..

و انتهاء بمکرز بن جابر، الذی رجع إلی قریش، و لم یجد لدیه ما یحمله إلیها، سوی ما قاله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) له ..

تصدع صفوف المشرکین:

فاتضح بذلک کله:

أن الأمر قد انتهی بتصدع صفوف أهل الشرک .. و ظهور الخلاف العمیق فیما بینهم. إلی حد أن زعماء أقویاء فی صفوفهم هم الذین یسعون لإقناع قریش بقبول عروض النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و یعلنون أن خطته

ص: 270

خطه رشد و صلاح ..

و هی نتیجه ذات أهمیه فائقه، و حاسمه أیضا.

و قد ظهر الخلاف بینهم حین قرر بدیل بن ورقاء، أنهم یعجلون علی محمد (صلی اللّه علیه و آله)، و أن اتهامهم إیاه بأن حرکته هذه حرکه عدوانیه اتهام باطل، فهو لم یأت لقتال أحد.

ثم إن عروه بن مسعود أید بدیلا فیما قاله ..

ثم عرض علیهم أن یحقق لهم فی صحه أقوال بدیل. فلما رضوا بذلک، و ذهب فی مهمته تلک، عاد إلیهم بما یزید فی إضعاف موقفهم، و زعزعه ثباتهم. و یزید من خوفهم و رعبهم. خصوصا و هو یصف لهم طاعه أصحاب محمد (صلی اللّه علیه و آله) له، و تعظیمهم إیاه، و أن هذا التعظیم، و تلک الطاعه هی لرجل لیس ملکا مع أنها فوق تعظیم أتباع الملوک- بمن فیهم کسری و قیصر- لملوکهم ..

بل إنه یتوقع حتی من النساء، اللواتی کنّ فی ذلک الجمع دفاعا عن محمد (صلی اللّه علیه و آله) ضاریا مستمیتا .. و هذا ما لا یسعد قریشا، و لا یؤنسها، بل هو یدفع بها إلی حاله من الخوف تصل إلی حد الرعب.

ثم هو یصف لهم کیف کان أصحابه (صلی اللّه علیه و آله) یتبرکون بشعره، أو بکل آثاره .. حتی إذا توضأ کادوا یقتتلون علی وضوئه. و کیف یبادرون لامتثال أوامره، و یذکر لهم کیف یخفضون أصواتهم عنده، و لا یحدّون النظر إلیه، و غیر ذلک.

و لا شک فی أنه سیصیبهم الذهول لهذا الوصف، الذی إذا رجعوا إلی أنفسهم، فإنهم لا یجدون شیئا منه فیما بینهم، بل هم یجدون النقیض و المباین

له .. و هذا ما يجعلهم يدركون حجم الصعوبات التى سوف يواجهونها لو دخلوا معه فى أى صراع. و يزيد فى رعبهم من الأخطار التى تنتظرهم معه ..

ثم يعلن عروه بن مسعود رأيه لهم، و هو: أن الرشد فى قبول ما عرضه عليهم محمد (صلى اللّه عليه و آله) ..

ثم كانت الحجه الأقوى التى استند إليها هى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) إنما جاء زائرا للبيت، معظما له، و معه الهدى .. فخافت قريش من تأثير هذا المنطق، و قالوا له: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ..

و كانت النتيجه هى: انفصاله هو و من تبعه عن قريش، و انصرافه إلى الطائف.

ثم زاد هذا التصدع فى صفوف أهل الشرك حين رجع الحليس- و هو من رؤوس الأحابيش- إلى قريش من عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بموقف حازم، ليقول لها: (و اللّه ما على هذا حالفناكم، و لا عاقدناكم على أن تصدوا عن البيت من جاءه معظما لحرمته، مؤديا لحقه، و ساق الهدى.

معكوفا أن يبلغ محله.

و الذى نفسى بيده، لتخلّن بينه و بين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفره رجل واحد).

فقالوا: كف عنا يا حليس، حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به ..

تبرك الصحابه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و فى سياق آخر نلاحظ ما يلى:

1- إن ما ذكره عروه بن مسعود عن تبرك الصحابه بوضوء رسول اللّه

(صلّى اللّه عليه و آله)، و بشعره، و حتى بنخامته (1)، ما هو إلا واحد من مئات الشواهد الداله على مشروعيه التبرک بالأنبياء و الأولياء، و بآثارهم.

كما أنه يدل على: أن لنفس جسد الرسول (صلى اللّه عليه و آله) قداسه و برکه، و هذا لا يختص بالأنبياء (عليهم السلام)، بل يشمل غيرهم من الأولياء و الأصفياء و من سعد بالاصطفاء و الاجتباء.

و لا نريد أن ندخل فى تفاصيل هذا الموضوع، فإن المناسبه لا تقتضى ذلک، غير أننا نشير إلى: أن جواز التبرک و عدمه إنما يؤخذ من النصوص الوارده عن المعصوم (عليه السلام)، و ليس هو من الأمور التى تحكم أو تتحكم بها العقول ..

و ذلک: لأن التبرک معناه طلب: البركه- التى هى النماء و الزياده- من2.

1- راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 19 و كنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 311- 315 عن مصادر كثيره و مسند أحمد ج 4 ص 323 و 324 و 329 و 330 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 336 و السيره الحلبيه ج 3 ص 13- 16 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 328 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 219 و البحار ج 17 ص 32 و 33 و ج 20 ص 332 و 343 و المغازى للواقدى ج 2 ص 598 و عن البخارى ج 3 ص 254 و 255، و فضائل الخمسه من الصحاح السته ج 1 ص 20 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 43 و 42 و ج 10 ص 38 و عن الشفاء لعياض ج 2 ص 37 و عن شرح الشفا لملا على القارى ج 2 ص 67 و عن كنز العمال ج 16 ص 236 و المعجم الكبير ج 20 ص 12 و إرواء الغليل ج 1 ص 56 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 4 ص 212 و الدر المنثور ج 6 ص 77 و تاريخ مدينه دمشق ج 57 ص 227 و البدايه و النهايه ج 4 ص 199 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 332.

مكامنها و مناشئها، سواء أكانت زياده ماديه أم معنويه، مع إحراز كونها قابله للانتقال و الاكتساب ..

و هذا و ذاک إنما يطلب من قبل الخالق، الذى هو الفاعل و الجاعل ..

فإذا أخبرنا اللّه و رسوله: أن البرکه حاصله فى شخص رسوله، أو وليه، أو فى القرآن الكريم، أو فى الحجر الأسود.

و أخبرنا أيضا: أنها قابله للانتقال، و الاكتساب، فلا بد من أخذ ذلک منه، و قبوله عنه، و لا يصح رده بالقياسات العقليه الناقصه، و لا يجوز دفعه بالحدسيات و الظنون، فإن اللّه سبحانه يريد أن تعبده مخلوقاته حسبما يرسمه لهم، و يريده منهم .. و ليس لهم فى ذلک أى خيار.

2- و من جهه ثانيه، فإن ما جرى فى الحديبيه، من تبرک الصحابه بشعر الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، و بفضل وضوئه، و غير ذلک قد أرعب قريشا، و اضطرها لإعاده النظر فى حساباتها.

3- إن ما جرى فى الحديبيه ليس هو الدليل الوحيد على جواز التبرک، بل هناک مئات من الشواهد، و الدلائل، و النصوص التى تؤكد ذلک ..

فمجموعها هو الدليل القاطع و هو من حيث الغزاره و الكثره أضعاف أضعاف ما يتحقق به التواتر .. فلو جاز التشكيک فى ذلک كله، و رده، و رفضه، و اعتباره شركا، فإن الأمر يصبح دائرا بين أمرين:

أحدهما: أنه يمكن الشک فى كل الثوابت، و المتواترات من الشرع الشريف، فلا مجال لإثبات شى ء منها، حتى ما هو من قبيل أن صلاه الظهر أربع ركعات !!

الثانى: أن يكون تبركهم حاصلا و ثابتا فعلا، و كان ذلک من الشرک،

فلا بد من الحكم علی کل من مارس ذلک أنه قد دخل فی دائره الشرک، و ارتکاب المعاصی الکبیره.

و هل یمکن لأحد أن یدین أعاظم الصحابه، و ینسبهم إلی الشرک و الکفر، بل هو یدین رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نفسه، الذی قبّل الحجر الأسود، و تبرک بعلی (علیه السلام)، و سکت عن جمیع الذین کانوا یمارسون التبرک بشعره، و بوضوئه، و بکثیر من الأمور العائده إلیه (1) .. و قبل هذا الشرک منهم، و أعانهم علیه، حینما کان یوزع شعره علیهم فی الحدیبیه لیتبرکوا به؟!!

التبرک لا یختص بالأحیاء:

قلنا إن التبرک معناه: طلب النماء و الزیاده و الخیر بتقدیم وسیله یحبها اللّه تعالی، فیستجیب للطالب من أجلها، و أنبیاء اللّه (علیهم السلام)، یحب اللّه تعالی أشخاصهم، و یحب أیضا کل ما یتعلق بهم، أو ینسب إلیهم من آثار و غیرها، فإذا جعلها الطالب وسیلته إلی اللّه سبحانه، فإنه تعالی یتحفه بما طلب، و ینعم علیه بهباته و یخصه ببرکاته ..

هذا .. و لا یختص الاستشفاء و التبرک بذات النبی أو الولی بصوره ما إذا2.

1- الوسائل ج 9 ص 404 و تحفه الأحوذی ج 3 ص 507 و ج 5 ص 373 و المعجم الأوسط ج 5 ص 191 و ریاض الصالحین ص 139 و البیان فی تفسیر القرآن ص 469 و سبل الهدی و الرشاد ج 8 ص 464 و 488 و المحاسن ج 2 ص 521 و عن البحار ج 63 ص 230 و شرح مسلم ج 13 ص 224 و عن فتح الباری ج 9 ص 432 و عن عون المعبود ج 10 ص 183 و صحیح ابن حبان ج 4 ص 207 و سیر أعلام النبلاء ج 11 ص 212.

كان حيا؛ لأن وفاته لا توجب انقطاع تأثيره، كما يريدون أن يدّعوا؛ فإن حرمه النبي و الولى عند اللّه بعد وفاته هى نفسها فى حياته، و لأجل ذلك يتوسل به أهل الحاجات، و يتبرك بقبره و بآثاره طلاب الخيرات و البركات، و يستشفى بتربته و بشعره، و بعصاه و سواها، من لم يجد له من آلامه سبيل نجاه ..

و منهم من أوصى: أن يوضع من شعر النبى (صلى اللّه عليه و آله) و أظفاره فى كفنه بعد موته (1).

و قد رووا: أن أم سلمه كانت تحتفظ بشعرات من شعر النبى (صلى اللّه عليه و آله) في جلجل لها (أى ما يشبه القاروره) فكان إذا أصاب أحدا من الصحابه عين أو أذى أرسل إليها إناء فيه ماء، فجعلت الشعرات فى الماء ثم أخذوا الماء، يشربونه للاستشفاء، و التبرك به (2).

و حين كانت أم سلمه تنشف عرقه (صلى اللّه عليه و آله)، و تعصره فى قواريرها، سألها النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن ذلك، فقالت: نرجو بركته لصبياننا.

قال: أصبت (3).9.

1- الطبقات الكبرى ج 5 ص 406 و ج 7 ص 25 و سير أعلام النبلاء ج 5 ص 143 و ج 11 ص 337 و ج 16 ص 487 و تهذيب التهذيب ج 11 ص 366.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 23 و تاريخ الخميس ج 2 ص 23 و مسند أحمد ج 6 ص 296 و صحيح البخارى ج 7 ص 57 و فتح البارى ج 10 ص 298 و تاريخ المدينه ج 2 ص 618.
3- راجع: صحيح مسلم ج 4 ص 83 و ج 7 ص 82 و مسند أحمد ج 3 ص 221 و 226 و فتح البارى ج 11 ص 60 و البدايه و النهايه ج 6 ص 29.

المغيره قائم بالسيف خلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

لقد ذكروا فيما تقدم: أن المغيره كان قائما على رأس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالسيف، و أنه منع عروه بن مسعود من أن يلمس لحيه النبى (صلى اللّه عليه و آله) ..

و قد ردوا على هذه الروايه بما روى: من أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد نهى عن القيام على رأس الجالس.

ثم أجابوا: بأن الممنوع هو: ما كان منه على وجه العظمه و الكبر. أما قيام المغيره، على رأس النبى (صلى اللّه عليه و آله) فكان بقصد الحراسه، و نحوها من ترهيب العدو (1).

و نقول:

إن هذا غير مقبول:

أولا: لأن الحراسه و ترهيب العدو لا يحتاجان إلى هذا القيام، لإمكان حصولهما بأساليب و طرائق أخرى غير القيام على رأس النبى (صلى اللّه عليه و آله).

ثانيا: إن المنهى عنه هو نفس هذا المظهر، الذى هو من مظاهر الكبر و العظمه، و إن لم يكن الجالس متكبرا و لا طالبا للعظمه .. فهو نظير التشبه بالكفار و أهل الفسوق، فإن ما يبغضه اللّه هو السعى لإيجاد الشبه، بالإضافه إلى ظهور نفس هذا الشبه أيضا، فإن اللّه لا يرضى أن يظهر رسم5.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 74 و التراتيب الإداريه ج 1 ص 346 و فتح البارى ج 5 ص 249 و عون المعبود ج 7 ص 317 و ج 12 ص 265.

الصلیب علی ثیاب المسلمین؛ و إن کانوا لم یقصدوا ذلک، بل قصدوا مجرد لبس الثوب للتستر به. و هکذا الحال بالنسبه لمن یتمثل له الرجال (صفوفا).

و فی نص آخر: (قیاما)، فلیتبوء مقعده من النار (1).

و کما أرادوا أن یمنحوا المغیره بن شعبه هذا الوسام، من أجل أن یکافئوه علی خدماته لمعاویه، و معونته لمناوئی علی (علیه السلام)، و مشارکته لهم فی9.

1- راجع: التراتیب الإداریه ج 1 ص 346 و فتح القدیر ج 4 ص 430 و روایه (قیاما) فی: إعانه الطالبین للدمیاطی ج 3 ص 305 و ج 4 ص 219 و القواعد و الفوائد للشهید الأول ج 2 ص 161 و 284 و البدایه و النهایه ج 8 ص 134 و ج 10 ص 386 و تفسیر القرآن العظیم ج 4 ص 348 و تاریخ بغداد ج 2 ص 171 و ج 11 ص 361 و تهذیب الکمال ج 20 ص 351 و سیر أعلام النبلاء ج 10 ص 467 و ج 13 ص 140 و لسان المیزان ج 2 ص 426 و مستدرک الوسائل ج 9 ص 65 و الأمالی للطوسی ص 538 و مکارم الأخلاق ص 471 و مشکاه الأنوار ص 358 و البحار ج 71 ص 90 و ج 73 ص 38 و الجامع الصحیح ج 4 ص 184 و مجمع الزوائد ج 8 ص 40 و فتح الباری ج 11 ص 41 و 42 و المعجم الأوسط ج 4 ص 282 و المعجم الکبیر ج 19 ص 351 و 352 و الجامع الصغیر ج 2 ص 553 و العهود المحمدیه للشعرانی ص 834 و فیض القدیر ج 6 ص 41 و کشف الخفاء ج 2 ص 220 و نظم المتناثر فی الحدیث المتواتر للکتانی ص 223 و اللمعه البیضاء ص 546 و مستدرک سفینه البحار ج 8 ص 399 و 633 و میزان الحکمه ج 3 ص 2004 و تحفه الأحوذی ج 8 ص 25 و الوسائل ج 8 ص 560 و مسند أحمد ج 4 ص 100 و سنن أبی داود ج 2 ص 525 و أحکام القرآن ج 3 ص 123 و ذکر أخبار إصبهان ج 1 ص 219.

الهجوم على بيت فاطمه (عليها السلام)، و على ضربه لها حتى أدماها، و ألقت ما فى بطنها، استذلالا منه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و مخالفه منه لأمره، و انتهاكا لحرمته (1).

بالإضافه إلى أفاعيل و مواقف معروفه له، ذكر العلامه التسترى بعضها، فراجع (2).

و هكذا يقال بالنسبه لما رووه، من أن الضحاک بن سفيان كان يقوم على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بسيفه (3). فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لا يرضاه من المغيره أو الضحاک، أو من غيرهما، و سيرته (صلى اللّه عليه و آله) خير شاهد على هذه الحقيقه ..

غير أننا لا نستبعد: أن يكون المغيره قد حضر ذلک المجلس، على حاله معينه، و اختارها هو لنفسه، و أنه قد تحرش بعروه، و ضايقه، حتى نفد6.

1- الإحتجاج ج 1 ص 414 و البحار ج 43 ص 197 و ج 44 ص 83 و ج 31 ص 645 و مرآه العقول ج 5 ص 321 و ضياء العالمين (مخطوط) ج 2 ق 3 ص 64 و العوالم (حياه الإمام الحسن) ص 225 و اللمعه البيضاء ص 870 و بيت الأحزان ص 116 و صحيفه الإمام الحسن للفيومى ص 270 و مجمع النورين ص 81.

2- راجع: قاموس الرجال (ط مؤسسه النشر الإسلامى) ج 10 ص 194-200

3- التراتيب الإداريه ج 1 ص 346 عن الإستيعاب و نور النبراس، و الروض الأنف، و الإصابه ج 2 ص 207 عن البغوى، و ابن قانع، و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج 2 ص 207 و أسد الغابه ج 3 ص 36 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 558 و عن كنز العمال ج 13 ص 442 و تاريخ مدينه دمشق ج 36 ص 416.

صبره. و وجّه إليه تلك الكلمات اللاذعه ..

و اللافت: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يعترض على عروه فى ما نسبه إلى المغيره .. بل اكتفى بالتبسم، ثم بإخباره بقرابته له و موقعه منه ..

فهل رأى- و هو نصير المظلومين الأول- أنه لا يحق له الدفاع عن المغيره و لو بكلمه واحده، تبين: أنه لا يحق لعروه أن يصفه بأنه ألأم و أشر رجل، و بأنه شديد الفظاظه و الغلظه؟! أم أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد رأى أن عروه محق فى موقفه، و صادق فيما وصف به المغيره؟!

امصص بظر اللات لغه مرفوضه:

و حين نقرأ كلمات أبى بكر التى واجه بها عروه بن مسعود، فإننا سوف نعجب كثيرا منها، حيث إنها:

1- جاءت على طريقه غير مألوفه فى الخطابات التى تكون بمحضر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حيث تضمنت كلمات لا يليق التفوه بها فى محضره الشريف.

2- إنه لم يكن هناك أى داع إلى دفع الأمور بهذا الاتجاه، حتى لو لم يكن النبى (صلى اللّه عليه و آله) حاضرا فى ذلك المجلس .. فإن كلمه (امصص بظر اللات) (1)، أو نحوها إنما جاءت ردا على قول عروه: إن 6

1- البحار ج 20 ص 331 و مسند أحمد ج 4 ص 324 و 329 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 219 و عن فتح البارى ج 5 ص 248 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 335 و المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 514 و المعجم الكبير ج 20 ص 11 و تفسير مجمع البيان ج 9 ص 196 و تفسير الميزان ج 18 ص 266 و ج 6

أصحاب النبی (صلی اللّه علیه و آله) لا ینصرونه فی الحرب، بل یخذلونه، و هو تحلیل مقبول لدی أهل الجاهلیه و لا یحتاج أبو بکر فی الإجابه علیه إلی استخدام هذه التعابیر.

3- إن مبادره أبی بکر إلی الکلام فی محضر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، من دون إذن منه، غیر مقبوله، خصوصا مع ملاحظه: أن اللّه سبحانه قد قال: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (1).

و لعل عدم مبادره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) للاعتراض علی أبی بکر، یعود إلی أنه لم یرد أن یکسره أمام زعیم من زعماء الشرک ..

4- و أما قول أبی بکر: أنحن نخذله، فإن کان یقصد به غیره من المسلمین، فهو صحیح؛ لأن هناک من لا یخذل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من المسلمین.

و إن کان یرید أن یدخل نفسه فی جمله من لا یخذل الرسول (صلی اللّه علیه و آله)، فإن الوقائع لا تشجع علی قبول هذا منه، و الکل یعلم: أنه و أکثر المسلمین باستثناء علی (علیه السلام) قد فروا عنه (صلی اللّه علیه و آله) یوم أحد ..ت.

1- الآیه 1 من سوره الحجرات.

و فی بدر کان الذی یصلی بنار الحرب، و یعالج الطعن و الضرب، غیر أبی بکر بالتأکید، فإنه احتمی برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، لأنه کان یری: أن المکان الأکثر أمنا هو الموضع الذی فیه النبی (صلی اللّه علیه و آله) .. الذی کان الناس یلوذون به إذا حمی الوطیس.

و فی یوم الخندق لم یجرؤ علی الإتیان بأی حرکه خوفا من عمرو بن عبد ود، مع أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقول: من لعمرو و أضمن له علی اللّه الجنه، فلم یجرؤ علی مبارزه عمرو أحد سوی أمیر المؤمنین (علیه السلام).

و فی غزوه بنی قریظه أرسل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أبا بکر بالرایه، فعاد بها مهزوما أیضا ..

ألا یعتبر ذلک کله خذلانا منه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟! فما معنی قوله لسهیل: أنحن نخذله؟!.

و أما خذلانه له بعد الحدیبیه، خصوصا فی خیبر و یوم حنین، فحدث عنه و لا حرج.

سخاء أبی بکر:

بقی أن نشیر: إلی أننا نشک فی ما ذکرته الروایات من سخاء لافت لأبی بکر، حیث ذکر عروه بن مسعود- فیما یزعمون-: أنه أعانه فی دیه بعشر فرائض .. و ذلک لما یلی:

1- إن أبا بکر قد ترک أباه و ابنته حین الهجره من دون نفقه، حتی اضطرت ابنته إلی أن تضع کیسا فیه حصی لکی یتلمسه أبو قحافه، و یظن

أنه أموال ترکها أبو بکر لعیاله (1).

2- إننا لم نعهد عن أبی بکر: أنه کان یملک فرائض، یمکنه أن یتخلی عنها لغیره بلا مقابل، بل کل ما ذکروه عنه هو: أنه کان عنده أربعه آلاف درهم، حملها معه إلی المدینه، و ذکرنا: أن ذلک لا یصح، فراجع ما ذکرناه فی الجزء الرابع من هذا الکتاب.

3- إن عروه بن مسعود کان من عظماء المشرکین، بل قد زعموا: أنه أحد الرجلین اللذین عنتهما الآیه الکریمه: وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلی رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ (2) .. و الرجل الآخر هو الولید بن المغیره (3).8-

---

1- راجع: السیره النبویه لابن هشام ج 2 ص 133 و کنز العمال (ط الهند) ج 22 ص 209 و (ط دار الفکر) ج 16 ص 681 و البدایه و النهایه ج 3 ص 179 و الأذکیاء لابن الجوزی ص 219 و مجمع الزوائد ج 6 ص 59 عن أحمد، و رجاله رجال الصحیح غیر ابن إسحاق، و قد صرح بالسماع، و عن الطبری، و حیاه الصحابه ج 2 ص 173 و 174 و الغدیر ج 8 ص 58 و مسند أحمد ج 6 ص 35 و مستدرک الحاکم ج 3 ص 5 و المعجم الکبیر ج 24 ص 88 و تاریخ مدینه دمشق ج 69 ص 13 و السیره النبویه لابن کثیر ج 2 ص 236 و سبل الهدی و الرشاد ج 3 ص 239. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 15 282 سخاء أبی بکر: ..... ص : 281 (3) راجع: قاموس الرجال ج 6 ص 301 و تحف العقول ص 465 و الإحتجاج ج 1 ص 26 و 27 و 31 و سعد السعود ص 76 و عده الداعی ص 112 و البحار ج 9 ص 149 و 270 و 273 و عن فتح الباری ج 6 ص 224 و تحفه الأحوذی ج 10 ص 55 و شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج 11 ص 64 و ج 18 ص 296 و التبیان ج 9 ص 195 و مجمع البیان ج 9 ص 79 و نور الثقلین ج 4 ص 597 و 598-

فهل كان هذا الرجل العظيم، و السيد فى قومه، فقيرا إلى حدّ أنه كان لا يملک مقدار ديه كان قد حملها، مع أنهم يقولون: إن الفقير لا يسود فى العرب، إلا أن أبا طالب ساد فقيرا.

4- قد يقال: إن عروه و إن كان غنيا، و رئيسا، و لكن الغنى و الرئاسه لا يجب أن يكونا بحيث يستطيع أن يتخلى عن مائه من الإبل فى ديه حملها، فيحتاج فى جمع قسم منها إلى الاستعانه بغيره ..

و نجيب: ليت شعرى لو جاز أن يكون عظيم القريتين بهذه المثابه فلماذا لم يطلب المعونه من أقرانه، فإن المناسب لسيد قومه، و أحد عظيمى القريتين أن لا يستعين بأقل و أذل بيت فى قريش، حسبما ذكرته النصوص، فراجع ما قاله أبو سفيان حينما بويع أبو بكر (1).

و ما قاله أبو بكر لأبى قحافه، حين رفع أبو بكر صوته على أبى سفيان (2).3.

1- المصنف للصنعانى ج 5 ص 451 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 78 و الكامل لابن الأثير ج 2 ص 326 و تاريخ الأمم و الملوک (ط ليدن) ج 2 ص 44 و النزاع و التخاصم ص 19 و كنز العمال (ط الهند) ج 5 ص 383 و 385 عن ابن عساكر، و عن أبى أحمد الدهقان فى حديثه. و أنساب الأشراف ج 1 ص 588.
2- النزاع و التخاصم ص 19 و الغدير ج 3 ص 253.

فإن ذلک کله، صریح فی: ذل و مهانه قبیله تیم، التی ینتسب إلیها أبو بکر.

و کذلک الشعر الذی قاله عوف بن عطیه فی قبیلتی تیم و عدی (1).

و ما ذکره معاویه فی رسالته لزیاد (2).

لقد کان من الطبیعی أن یأنف من ذلک، و یرفضه و یأباه حتی لو ألح علیه أبو بکر بقبوله، و قدم له الالتماس تلو الالتماس، و الرجاء بعد الرجاء؟!..

5- إن هذا العطاء الجزیل من أبی بکر، و هو عشره فرائض، مقابل الواحده، و الاثنتین، و الثلاث التی کان یعطیه إیاها الآخرون، یجعل أبا بکر فی مصاف أجواد العرب مثل حاتم الطائی، و زید الخیل، و لا بد أن یطیر ذکره فی البلاد، و یسمع به و یتداول أخبار جوده الصغیر و الکبیر من العباد، و لکننا لم نر أی أثر لذلک فیما قرأناه من فصول التاریخ.

6- و یزید الأمر وضوحا: أن الذی أحسن إلیه أبو بکر هذا الإحسان العظیم الذی لا ینسی. لا یعرف أبا بکر و لا یمیزه عن غیره، بل یسأل عنه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فکیف لا یعرف العظماء أقرانهم؟!

و کیف نسی عروه هذا المتفضل علیه بهذه السرعه؟!

ألم یکن من المفترض: أن تصبح صورته محفوره فی قلبه، لا یمحوها منه مر الأیام و اللیالی، و کر العصور و الدهور؟! .. و لا سیما إذا کان فراقه له لم یطل أکثر من ست سنوات، و ذلک علی کبر السن، و اکتمال الملامح و ثباتها .. لا فی أیام الطفوله أو الشباب، لیکون التغییر فی الملامح سببا فی اشتباه الأمر علیه.0.

1- طبقات الشعراء لابن سلام ص 38.
2- کتاب سلیم بن قیس (ط النجف) ص 140.

ص: 285

و لنفرض: أن الملامح قد تغيّرت، فهل تغيّر عليه صوته أيضا؟!

7- لنفترض: أن أبا بكر كان يملک أموالا، و أنه كان رئيسا، و .. و ..

فإن ذلک: لا يبرر تصديقنا بحديث معونته لعروه بن مسعود بعشر فرائض.

و نحن نرى: أنه لم يجرؤ على إنفاق درهمين لينال شرف مناجاه الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، حتى نزل العتاب الإلهى له، و لغيره من الصحابه؛ باستثناء على أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذى كان هو الوحيد الذى عمل بآيه النجوى .. قال تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (1).ر.

1- الآيتان 12 و 13 من سوره المجادله. و راجع: دلائل الصدق ج 2 ص 120 و الأوائل ج 1 ص 297 و تلخيص الشافى ج 3 ص 235 و 237 و مناقب أمير المؤمنين ج 1 ص 188 و 191 و المسترشد ص 356 و الإحتجاج ج 1 ص 181 و العمده ص 186 و الطرائف ص 40 و 41 و البحار ج 67 ص 29 و ج 29 ص 15 و ج 35 ص 379 و النص و الإجتهاد ص 371 و شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 274 و نظم درر السمطين ص 90 و كنز العمال ج 2 ص 521 و تفسير أبى حمزه الثمالى ص 329 و تفسير القمى ج 2 ص 357 و تفسير فرات الكوفى ص 470 و خصائص الوحى المبين ص 165 و نور الثقلين ج 5 ص 265 و شواهد التنزيل ج 2 ص 312 و 325 و فتح القدير ج 5 ص 191 و إعلام الورى ج 1 ص 370. و راجع فصل هجره النبى (صلى اللّه عليه و آله) حين الحديث عن ثروه أبى بكر.

ص: 288

الفصل السادس: عثمان فی مکه

اشاره

خراش رسول النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی مکه:

قال الصالحی الشامی: قال محمد بن إسحاق، و محمد بن عمر، و غیرهما: بعث رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی قریش خراش بن أمیه علی جمل لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقال له: الثعلب، لیبلغ عنه أشرافهم بما جاء له، فعقر عکرمه بن أبی جهل الجمل، و أرادوا قتله، فمنعه الأحابیش، فخلوا سبیله حتی أتی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و لم یکد، فأخبر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بما لقی (1).

عثمان إلی مکه:

و روی البیهقی عن عروه قال: لما نزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) الحدیبیه فزعت قریش لنزوله إلیهم، فأحب أن یبعث إلیهم رجلا من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب لیبعثه إلی قریش، فقال: یا رسول اللّه، إنی8.

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 16 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 46 و شرح أصول الکافی ج 12 ص 452 و جامع البیان ج 26 ص 111 و الثقات ج 1 ص 298 و البدایه و النهایه ج 4 ص 891 و عن عیون الأثر ج 2 ص 118 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 318.

أخاف قريشا على نفسى، و قد عرفت قريش عداوتى لها، و ليس بها من بنى عدىّ من يمنعنى، و إن أحببت يا رسول اللّه دخلت عليهم.

فلم يقل له رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) شيئا.

فقال عمر: يا رسول اللّه، و لكنى أدلک على رجل أعز بمکه منى، و أكثر عشيره و أمنع، و إنه يبلغ لک ما أردت: عثمان بن عفان!!

فدعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عثمان، فقال: (اذهب إلى قريش و أخبرهم: أنّا لم نأت لقتال، و إنما جئنا عمّارا، و ادعهم إلى الإسلام).

و أمره أن يأتى رجالا بمكه مؤمنين و نساء مؤمنات، فيدخل عليهم، و يبشرهم بالفتح، و يخبرهم: أن اللّه تعالى- و شيكا أن يظهر دينه بمكه حتى لا يستخفى فيها بالإيمان.

فانطلق عثمان إلى قريش، فمر عليهم ببلدح، فقالوا: أين تريد؟

فقال: بعثنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليكم لأدعوكم إلى الإسلام، و إلى اللّه جل ثناؤه، و تدخلون فى الدين كافه، فإن اللّه تعالى مظهر دينه، و معز نبيه.

و أخرى: تكفون، و يكون الذى يلى هذا الأمر منه غيركم، فإن ظفر برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فذلک ما أردتم، و إن ظفر كنتم بالخيار بين أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو تقاتلوا و أنتم وافرون جامّون. إن الحرب قد نهكتكم و أذهبت الأماثل منكم.

و أخرى: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يخبركم: أنه لم يأت لقتال

أحد، إنما جاء معتمرا، معه الهدی، علیه القلائد، ینحره و ینصرف (1).

فقالوا: قد سمعنا ما تقول، و لا کان هذا أبدا، و لا دخلها علینا عنوه، فارجع إلی صاحبک، فأخبره أنه لا یصل إلینا (2).

و لقیه أبان بن سعید (3)، فرحب به أبان و أجاره، و قال: لا تقصر عن حاجتک، ثم نزل عن فرس کان علیه، فحمل عثمان علی السرج، و ردف0.

1- أخرجه ابن سعد ج 2 ق 1 ص 70 و البیهقی فی الدلائل ج 4 ص 133 و جامع البیان ج 26 ص 111 و عین العبره ص 24 و تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ج 4 ص 200 و 201 و الثقات ج 1 ص 299 و تاریخ مدینه دمشق ج 39 ص 78 و تاریخ الأمم و الملوک للطبری ج 2 ص 278 و البدایه و النهایه ج 4 ص 191 و موسوعه التاریخ الإسلامی ج 2 ص 618 و عن السیره النبویه لابن هشام ج 3 ص 780 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 318 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 46 و تفسیر الثعالبی ج 5 ص 254 و عن عیون الأثر ج 2 ص 119 و کنز العمال ج 10 ص 482.
2- السیره الحلبیه ج 3 ص 16 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 46 و تاریخ مدینه دمشق ج 39 ص 79 و موسوعه التاریخ الإسلامی ج 2 ص 619 و مکاتیب الرسول ج 3 ص 88.
3- أبان بن سعید بن العاص بن أمیه بن عبد شمس بن عبد مناف القرشی الأموی .. قال البخاری، و أبو حاتم الرازی، و ابن حبان: له صحبه و کان أبوه من أکابر قریش و له أولاد نجباء أسلم منهم قدیما خالد و عمرو، فقال فیهما أبان الأبیات المشهوره التی أولها: ألا لیت میتا بالظریبه شاهدلما یفتری فی الدین عمرو و خالد الإصابه 1/ 10.

وراءه، و قال:

أقبل و أدبر لا تخف أحدابنو سعید أعزه الحرم فدخل به مکه، فأتی عثمان أشراف قریش- رجلا رجلا- فجعلوا یردون علیه: إن محمدا لا یدخلها علینا أبدا، و دخل علی قوم مؤمنین من رجال و نساء مستضعفین بمکه فقال: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقول: قد أظلکم حتی لا یستخفی بمکه الیوم بالإیمان، ففرحوا بذلک، و قالوا: اقرأ علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) السلام (1).

و لما فرغ عثمان من رساله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی قریش قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبیت فطف.

فقال: ما کنت لأفعل حتی یطوف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و أقام عثمان بمکه ثلاثا یدعو قریشا.

و قال المسلمون- و هم بالحدیبیه، قبل أن یرجع عثمان-: خلص عثمان من بیننا إلی البیت فطاف به.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (ما أظنه طاف بالبیت و نحن محصورون).

و قالوا: و ما یمنعه یا رسول اللّه و قد خلص إلیه؟

قال: (ذلک ظنی به، ألّا یطوف بالکعبه حتی نطوف).

و عند ابن جریر، و ابن أبی حاتم، عن سلمه بن الأکوع- مرفوعا-: (لو مکث کذا و کذا سنه ما طاف حتی أطوف).6.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 47 و السیره الحلبیه ج 3 ص 16.

فلما رجع عثمان إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال المسلمون له:

اشتفيت من البيت يا أبا عبد اللّه؟!

فقال عثمان: بئس ما ظننتم بى! فو الذى نفسى بيده لو مكثت مقيما بها سنه و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مقيم بالحديبيه ما طفت حتى يطوف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لقد دعتنى قريش إلى أن أطوف بالبيت فأبيت.

فقالوا: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أعلمنا، و أحسننا ظنا (1).

و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يأمر أصحابه بالحراسه بالليل، فكانوا ثلاثه يتناوبون الحراسه: أوس بن خولى- بفتح الخاء المعجمه و الواو- و عباد بن بشر، و محمد بن مسلمه.

و كان محمد بن مسلمه على حرس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ليله من الليالى، و عثمان بن عفان بمكه. و قد كانت قريش بعثت ليلا خمسين رجلا، و قيل: أربعين، عليهم مكرز بن حفص، و أمروهم أن يطوفوا بالنبى (صلى اللّه عليه و آله) رجاء أن يصيبوا منهم أحدا، أو يصيبوا منهم غره.

فأخذهم محمد بن مسلمه، فجاء بهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أفلت مكرز، فخبّر أصحابه، و ظهر قول النبى (صلى اللّه عليه و آله) كما تقدم: أنه رجل غادر (2).1.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 47 و السيره الحلبيه ج 3 ص 16 و 17 و 18 و كنز العمال ج 10 ص 483 و تاريخ مدينه دمشق ج 39 ص 78 و 80.
2- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 48 و مسند أحمد ج 4 ص 324 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 620 و فتح البارى ج 5 ص 251.

و كان رجال من المسلمين قد دخلوا مكه بإذن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و هم:

كرز بن جابر الفهرى، و عبد اللّه بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس، و عبد اللّه بن حذافه السهمى، و أبو الروم بن عمير العبدرى، و عياش بن أبى ربيعه، و هشام بن العاص بن وائل، و أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، و عمير بن وهب الجمحى، و حاطب بن أبى بلتعه، و عبد اللّه بن أبى أميه. قد دخلوا مكه فى أمان عثمان (1).

و قيل: سرا، فعلم بهم فأخذوا.

و بلغ قريشا حبس أصحابهم الذين مسكهم محمد بن مسلمه، فجاء جمع من قريش إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و أصحابه حتى تراموا بالنبل و الحجاره، و أسر المسلمون من المشركين- أيضا- اثنى عشر فارسا، و قتل من المسلمين ابن زنيم- و قد أطلع الثنيه من الحديبيه- فرماه المشركون فقتلوه (2).

و بعثت قريش سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى، و مكرز بن حفص، فلما جاء سهيل، و رآه النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال لأصحابه:

سهل أمركم (3).3.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 48.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 48 و 55 و جامع البيان ج 26 ص 122 و الجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 281 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 207 و الدر المنثور ج 6 ص 76 و عن تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 278.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 48 و 52 و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 174 و البحار ج 20 ص 333 و ميزان الحكمه ج 3 ص 2245 و مسند أحمد ج 4 ص 330 و صحيح البخارى ج 3 ص 181 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 220 و فتح البارى ج 5 ص 251 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 337 و المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 510 و الأدب المفرد ص 196 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 222 و عن كنز العمال ج 10 ص 478 و إرواء الغليل ج 1 ص 57 و مجمع البيان ج 9 ص 197 و جامع البيان ج 26 ص

125 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 213 و الدر المنثور ج 6 ص 77 و الجرح و التعديل ج 4 ص 245 و تاريخ مدينه دمشق ج 57 ص 228 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 194 و عن تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 276 و عن البدايه و النهايه ج 4 ص 199 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 333.

فقال سهيل: يا محمد إن الذى كان من حبس أصحابک، و ما كان من قتال من قاتلک لم يكن من رأى ذوى رأينا، بل كنا له كارهين حين بلغنا، و لم نعلم به، و كان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مره، و الذين أسرت آخر مره.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (إنى غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابى).

فقالوا: أنصفتنا.

فبعث سهيل و من معه إلى قريش بالشّييم- بشين معجمه مصغر- بن عبد مناف التيمى، فبعثوا بمن كان عندهم: و هم عثمان، و العشره السابق ذكرهم.

و أرسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أصحابهم الذين أسرهم.

و قبل وصول عثمان و من معه بلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن عثمان و من معه قد قتلوا، فكان ذلک حين دعا إلى البيعه (1).

و لنا مع ما تقدم وقفات، هى التاليه:

على جمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

1- إن أول ما نلاحظه فى النص المتقدم: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد بعث خراش بن أميه رسولا لقريش، على جمل له (صلى اللّه عليه و آله)، اسمه ثعلب.

و كأن إعطاءه خصوص هذا الجمل يهدف إلى تسهيل الأمر على قريش بتقديم العلامه التى تجعلهم يتيقنون بكونه رسولا من قبله (صلى اللّه عليه و آله) من دون حاجه إلى التماس القرائن و الدلالات على ذلک. إذ قد تطول المده، و تتراكم الشائعات، و تثور الظنون حول هذا الوافد، بأن يكون عينا، و يريد أن يحمى نفسه بهذا الادعاء .. و يتعرض- من ثم- للمضايقه و الأذى.1.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 46- 48 و راجع: البدايه و النهايه ج 4 ص 167 عن ابن إسحاق و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 221 و راجع: الطبقات الكبرى ج 1 ص 461 و حياه الصحابه ج 2 ص 397 و 398 عن كنز العمال ج 1 ص 84 و 56 و ج 5 ص 288 عن ابن أبى شيبه و الرويانى، و ابن عساكر، و أبى يعلى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 18 و 19 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 364 و السيره النبويه لدحلان ج 2 ص 40 و 41 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 203 و عن عون المعبود ج 7 ص 289 و راجع: تاريخ مدينه دمشق ج 39 ص 77 و التنبيه و الإشراف ص 221.

2- إن إرسال النبی (صلی اللّه علیه و آله) رسولا من قبله إلی قریش، یخبرهم بما جاء له، دلیل قاطع علی حقیقه نوایاه، و أن مجیئه إلی مکه لیس مبادره قتالیه، لأن الهدف لو کان هو القتال، لکان التستر علی الأمر، و مفاجأه قریش، هو الأسلوب الأمثل، و الطریقه الفضلی للنجاح فیما یقصده.

3- إن ما فعله عکرمه بن أبی جهل، قد جاء علی خلاف ما تفرضه الأعراف و السنن حتی الجاهلیه منها، فإن قتل الرسل عار، و العدوان علیهم رعونه غیر مقبوله ..

فما معنی: أن یعقر جمل هذا الرسول، و ما هو المبرر لمحاوله قتله؟!.

و لأجل ذلک: لم یرتض الأحابیش هذه التصرفات، بل بادروا إلی منع القتل عن ذلک الرسول، ربما منعا للعار، و ربما حفاظا علی أنفسهم، حتی لا یتعاطف الناس مع محمد (صلی اللّه علیه و آله) ..

عمر بن الخطاب یرفض طلب النبی صلّی اللّه علیه و آله:

مما لا شک فیه: أن حقد قریش علی علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) کان هائلا و عظیما. و قد أمره أبو طالب، و لیس رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بأن ینام فی فراش النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی مدی ثلاث سنوات، حین حصرهم المشرکون فی شعب أبی طالب. من أجل أنه إذا فکرت قریش باغتیاله (صلی اللّه علیه و آله)، کان هو الفداء له، و الضحیه دونه.

ثم إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أمره: بأن ینام فی فراشه لیله

الهجره، فبادر إلی ذلک طائعا مسرورا، و لم یسأل عما سیصیبه من جراء ذلک، بل قال له: أو تسلم یا رسول اللّه؟

فقال: نعم.

فخر ساجدا للّه شکرا، حسبما تقدم بیانه فی هذا الکتاب.

مع أن الرجال المتعطشین لدمه حاضرون خلف الباب، شاهرین سیوفهم بأیدیهم، و هم ینتظرون اللحظه الموعوده، لینزلوا ضربتهم به، و لا مجال لتحاشی ذلک.

و کانت هذه هی سیره علی (علیه السلام) و طریقته طیله حیاته مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله). فقد کان متفانیا فی الذب عنه، و فی الطاعه له. و کان السامع المطیع الذی لا یسأل، و لا یناقش، و لا یقترح، و لا یتردد، بل یکون کالسکه المحماه دائما ..

و لیت شعری لو أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان قد أمر عمر بن الخطاب بالمبیت فی مکانه لیله الهجره، فهل کان سیمتثل أمره؟! أم کان سیعتذر عن ذلک بأن قریشا سوف تقتله، و لیس هناک من یدفع عنه من بنی عدی، أو من غیرهم؟!.

و فی الحدیبیه لم یطلب منه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ما یصل إلی حد ما طلبه من أمیر المؤمنین لیله الهجره، من حیث درجه الخطوره علی حیاته .. بل طلب منه أن یکون رسولا، یتمتع بحصانه الرسل، الذین یعتبر الإعتداء علیهم عارا و عیبا عند العرب، و عند سائر الأمم.

و کان قد أرسل غیره فی هذه المهمه، و عاد سالما، و منع المشرکون أنفسهم سفهاءهم من الاعتداء علیه، مستدلین بهذه الحجه نفسها و هی: أن

الرسل لا تقتل !!..

و لكن عمر بن الخطاب يرفض طلب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هذا، و لا يقدم تعليلا يرتبط بالشأن العام، أو بالقضيه التى يريد النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يعالجها، فهو لم يقل مثلا: إن ذهابى قد لا يحقق المطلوب الذى ترمى إلى تحقيقه ..

بل هو قد اعتذر بأمر شخصى بحت. ليس له منشأ يقبله العقلاء الذين يعيشون أجواء التضحيه فى سبيل مبادئهم، بل لا يقبله حتى عقلاء أهل الشرک، و الكفر أيضا، لأنه إنما يستند إلى شعوره بالهلع و الخوف، مع أن هذا الخوف لا يبرر ذلک، فإنه حتى لو كان له منشأ واقعى، لم يكن ينبغى أن يدفعه إلى التمرد على إراده رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

بل كان المطلوب هو: أن يندفع لاكتساب هذا الشرف العظيم، و لينال هذا الفوز، الذى طالما حلم به الأولياء، و الأصفياء، و الأتقياء ..

و مع غض النظر عن ذلک كله، نقول:

إنهم يدّعون: أن الإسلام قد عزّ بإسلام عمر، و أنه قد كانت له بطولات عظيمه، و مواجهات رائعه مع المشركين قبل الهجره، انتهت بانكسار شوكتهم. و عز الإسلام فى مكه إلى حد أن مكّن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من أن يطوف بالبيت، و يصلى الظهر معلنا (1).

فإذا كانت قريش قد خافت من عمر، و هو فى مكه، و ذلک قبله.

1- راجع ما ذكروه حول بطولات عمر فى فصل: حتى الشعب، و ذلک حين الحديث عن إسلامه.

الهجره، فكيف لا تخاف منه، و قد أصبح خلفه جيوش جراره، فيها رجال شداد و سيوف حداد، جربت حظها معها، و عرفت مدى فاعليتها، و له فيها أيضا قبيله و عشيره، و عمر لم يزل هو عمر، لم يتغير و لم يتبدل، فليستعمل نفس صولاته السابقه، حيث لم يكن له نصير يمكنه أن يفكر فيه، أو أن يحامى عنه كما هو الحال الآن !!.

و اللافت هنا: أننا نجده يشرح الأمر لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حتى كأنه يرى أن تلك الأمور قد غابت عن ذهنه (صلى اللّه عليه و آله)، أو أنه كان جاهلا بها من الأساس ..

و الأدهى و الأمر: أنه يقول لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): و لكنى أدلك يا رسول اللّه على رجل أعز بمكه منى .. فهل كان (صلى اللّه عليه و آله) جاهلا بوجود عثمان، و بموقعه العشائرى بين أهل مكه؟! فيحتاج إلى من يدله عليه، و ينبهه إلى مكانته بينهم، و موقعه فيهم؟!

دلالات أخرى فى كلمات عمر:

و ثمه دلالات أخرى فى كلمات عمر بن الخطاب، التى حاول من خلالها أن يتملص و يتخلص من المهمه التى كلفه بها النبى (صلى اللّه عليه و آله) .. فلاحظ ما يلى:

عداوه عمر لقريش:

تقدم أن عمر قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله): قد عرفت قريش عداوتى لها.

و نقول:

إن عداوه قريش لعمر هى كعداوتها لأى فرد آخر من المسلمين، بل قد

تكون عداوتها له هی الأقل و الأضعف، کما أظهرته لنا وقائع فی حرب أحد حیث طفت علی السطح أمارات عدیده تشیر إلی أن ثمه عطفا من مقاتلی قریش و قادتها علی عمر بن الخطاب و محبه منهم، و سعیا منهم لحفظه ..

و قد قال ضرار بن الخطاب لعمر بعد أن ضربه بالقناه: (و اللّه ما کنت لأقتلک) (1).

و کانت هذه یدا له عند عمر، کان عمر یکافؤه علیها حین استخلف (2).

کما أن عمر قد أخبر أبا سفیان بوجود النبی (صلی اللّه علیه و آله) بینهم حیا، رغم أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان قد طلب منه أن لا یفعل (3). فظهر أنه یتعمد الدلاله علیه، فی أخطر الأوقات، و أصعب الحالات ..

یضاف إلی ذلک: أن خالد بن الولید لقی عمر بن الخطاب فی أحد، و ما معه أحد، فنکب عنه، و خشی أن یؤذیه أحد ممن کان معه، فأشار إلیه بأن یتوجه إلی الشعب لینجو منهم (4).2.

1- مغازی الواقدی ج 1 ص 282 و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 274 و ج 15 ص 20 عنه و عن البلاذری، و ابن إسحاق، و طبقات الشعراء لابن سلام ص 63 و راجع: البدایه و النهایه ج 3 ص 107 عن ابن هشام، و البحار ج 20 ص 135 و 138 و مناقب أهل البیت ص 332 و تاریخ مدینه دمشق ج 24 ص 393 و 397.
2- طبقات الشعراء لابن سلام ص 63.
3- راجع: فصل: فی موقع الحسم، من هذا الکتاب.
4- المغازی للواقدی ج 1 ص 279 و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 23 و مناقب أهل البیت ص 332.

و فى حرب أحد أيضا: هنأه أبو سفيان على ما اعتبره نصرا له فى الجوله الأولى، حيث قال له: أنعمت عينا، بقتلى بدر (1).

و قال أبو سفيان له: إنها قد أنعمت يابن الخطاب.

فقال: إنها (2).

و اعتبره أبو سفيان آنئذ أبر من ابن قميئه الذى كان يقاتل المسلمين مع أبى سفيان.

ثم إنه لم يعترض يوم أحد على الخائفين، المنهزمين الذين اقترحوا توسيط عبد اللّه بن أبى لدى أبى سفيان، و ذلک بعد أن صعدوا على الصخره التى فى الجبل (3).

أما فى حرب بدر، فكانت مشوره عمر مثل مشوره أبى بكر، و هى: أن قريشا ما آمنت منذ كفرت، و ما ذلت منذ عزت، و لم يخرج النبى (صلى اللّه عليه و آله) على هيئه الحرب .. فترک الحرب هو الرأى.

فلماذا هذا التخذيل الشديد منه عن الحرب، و إظهار عزه قريش، حتى زعما: أنها ما ذلت منذ عزت؟! و لماذا يحاولان إشاعه درجه من الخوف لدى المسلمين؟!

و هنا يعود السؤال من جديد: أين هى عداوه قريش لعمر بن الخطاب؟! و أين هو نضال عمر بن الخطاب ضد قريش؟!..ب.

1- المصنف للصنعانى ج 5 ص 366.
2- الأوائل ج 1 ص 184 و 185 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 412.
3- راجع: فصل: فى موقع الحسم، من هذا الكتاب.

عمر يعترف بواقع عشيرته:

و أما قول عمر: (و ليس بها من بنى عدى من يمنعنى)، فقد تضمن اعترافا بأن قبيلته غير قادره على منعه، إما عجزا منها و ذلا، و إما لأنه لم يكن لديه فيها صديق، و لا محب، و نرجح الأول، حيث ذكرنا فى حديث إسلامه: أن عوف بن عطيه يقول:

و أما الألأمان بنو عدى و تيم حين تزدحم الأمور

فلا تشهد بهم فتيان حرب و لكن أدن من حلب و عير

إذا رهنوا رماحهم بزبدفإن رماح تيم لا تضير (1) قد ذكر المؤرخون: أنه لم يكن فى بنى عدى سيد أصلا (2).

و أن عمر قد قال لأبى عبيده فى الشام: (إنا كنا أذل قوم، فأعزنا اللّه بالإسلام) (3).

و يقول معاويه عن قبيلتى تيم و عدى: (ليس فى قريش حيان أذل منهما، و لا أنذل) (4).

و قال أبو سفيان للعباس يوم فتح مكه: (لقد أمر أمر بنى عدى بعد-2.

1- طبقات الشعراء لابن سلام ص 38.
2- المنمق ص 147.
3- المستدرک للحاكم ج 1 ص 61 و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه) و صححه على شرط الشيخين.
4- الخصال ج 2 ص 463 و البحار ج 33 ص 262 و كتاب سليم بن قيس ص 242.

و اللّه- قله و ذله) (1).

و راجع ما قاله خالد بن الوليد لعمر حول هذا الأمر (2).

و ذلک کله یؤکد لنا: أن ما یدّعونه من أن الإسلام قد عز بعمر، و أنه قد ناضل قریشا حینما أسلم، لو صح- و هو غیر صحیح جزما- فلا بد أن یکون بالاستناد إلی قوته الشخصیه و بطشه، و أنه لم یفعل ذلک بالاستناد إلی قبیلته، و لا بالاعتماد علی نفوذها و زعامتها ..

غیر أننا نقول: أین کان هذا البطش عنه فی أحد، و الخندق، و حنین، و خیبر، و قریظه و .. و ..؟! و لماذا فر فی مختلف المشاهد الصعبه، و لم یظهر شیئا من هذا فی أی منها؟!

و لماذا لا یعتمد علی نفسه و علی قوته الشخصیه أیضا فی حمل رساله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی قریش؟ خصوصا مع علمه: بأن الاعتداء علی حامل الرساله عیب عند العرب، و هذا یوفر له درجه من الطمأنینه و الأمن حسبما أوضحناه ..

إن أحببت دخلت علیهم:

ثم یأتی قول عمر، فی آخر کلامه: (و إن أحببت یا رسول اللّه دخلت علیهم) لیکون بمثابه رصاصه الرحمه القاتله لکل احتمال یمکن أن یکون فیی.

1- کتاب سلیم بن قیس ص 140 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 272 و کنز العمال ج 10 ص 295 و تاریخ مدینه دمشق ج 23 ص 454.
2- المغازی للواقدی ج 2 ص 821 و عن کنز العمال ج 5 ص 295 عن ابن عساکر، عن الواقدی.

صالح عمر بن الخطاب، لأن هذه الكلمه قد أظهرت: أنه يريد أن يجعل المسؤوليه عن أى شى ء يواجهه فى مسيره ذاک تقع على عاتق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فكأنه قال له: أنا أرفض طلبک طائعا، بالاستناد إلى شواهد و أدله، و لكنى أنفذه مرغما.

يضاف إلى ذلک: أن هذا يستبطن أكثر من إشاره و دلاله أخرى، و منها: أن لا يكون لدى هذا المرغم أى ثواب فيما يقوم به، و أنه لو تعرض لأى خطر فى مهمته تلک، فإنه يكون قد خسر نفسه فى الدنيا و الآخره، حيث سيكون مجرد قتيل، و لا يكون شهيدا، و أن على أهله و ذويه أن يتوجهوا إلى من أرغمه على هذا الفعل الذى سوف ينتهى إلى هذه النتيجه و يطالبوه بدمه، و بكل ضرر لحق به ..

و النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يرضى بذلک، بل يريد أن يجعل المسؤوليه على عاتق عمر نفسه، و أن يفتح أمامه باب الرحمه الإلهيه و الفوز العظيم، و يمكّنه من أن يختار الدخول من خصوص هذا الباب، فإن اختار أن يقصد التقرب إلى اللّه تعالى، و سعى فى نيل رضوانه، كانت له المثوبه العظيمه، سواء تعرض لعدوان أعداء اللّه، أم نجا منهم ..

و إن اختار أن يقوم بالعمل بهدف الحصول على الشهره و المقام فى الدنيا، و نحو ذلک، فذلک شأنه، و يكون هو المقصر فى حق نفسه.

و لأجل ذلک: سكت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لم يجب عمر على كلامه بشى ء، و كان لا بد له من صرف النظر عن الموضوع، و البحث عن غيره لهذه المهمه.

عثمان إلی مکه:

و قد طلب النبی (صلی اللّه علیه و آله) من عثمان: أن یذهب إلی مکه، و منحه الفرصه لنیل الثواب، إن نوی القربه إلی اللّه تعالی، و قصد نصر الدین، و عز الإسلام.

أما إن نوی بذهابه الحصول علی السمعه و الشهره، و اکتساب المقامات الدنیویه، فسیکون جزاؤه دنیویا، و لم یکن النبی (صلی اللّه علیه و آله) یحب لأحد من أصحابه ذلک، بل هو یرید أن یکونوا فی منتهی الطهر و النزاهه و الإخلاص، و الترفع عن الدنیا ..

و طلب من عثمان أمورا ثلاثه هی:

أولا: أن یخبر قریشا بما قصده (صلی اللّه علیه و آله) من مجیئه هذا، و أنه إنما جاء معتمرا زائرا لبیت ربه.

ثانیا: أن یدعوهم إلی الإسلام.

ثالثا: أن یدخل علی رجال مؤمنین و نساء مؤمنات، و یبشرهم بالفتح القریب و بأن اللّه تعالی سیظهر دینه قریبا فی مکه، و سیتمکن أهل الإیمان من إظهار دینهم فیها.

أسالیب و نتائج:

و إننا نسجل هنا أمرین:

الأول: بالرغم من أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد أعلم قریشا بما جاء له بواسطه بدیل بن ورقاء، و بواسطه عروه بن مسعود، ثم من طریق الحلیس، و کذلک من خلال مکرز بن حفص ..

لکن ذلک کله لم یره کافیا، حتی أرسل إلیهم خراش بن أمیه.

و قد تعمد أن یحمله علی جمل له، یعرف أهل مکه: أنه له، و هو یذکّرهم بحروبهم ضده، و قد أراد (صلی اللّه علیه و آله) لهذا الجمل أن یدخل مکه.

و کان عقر عکرمه بن أبی جهل لهذا الجمل بالذات، لأنه عرف أنه جمل النبی نفسه (صلی اللّه علیه و آله)، و من أجل أن راکبه رسول من قبل هذا النبی (صلی اللّه علیه و آله) بالذات .. إن ذلک کله قد جعل الناس یتسامعون بهذا الأمر، و أن یفشو و یشیع فی مکه، و یتردد خبره فیها من أدناها إلی أقصاها.

فیشعر الناس کلهم بأن محمدا (صلی اللّه علیه و آله) قریب منهم، و أن رسوله بینهم، و أن جمله یعقر فی بلدهم و أن هذا الجمل قد أخذ منهم!!

و لکن ذلک أیضا لم یکن کافیا و لا مقنعا، فقد کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) یرید أن تطول مده وجود رسوله فی مکه، و أن یکون معه عشره آخرون، لابد أن یلتقوا أیضا بآخرین، من أقرانهم، و معارفهم، و أن یشعر الناس بواقع الرحمه، و بالحنان و الرفق بینهم و بین هؤلاء الوافدین. و أن یترددوا إلی بیوت مکه، و أن یتحرکوا ذهابا و إیابا فی شعابها .. فإن ذلک کله کان مطلوبا لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و یدخل ضمن خطته فی دفع الأمور باتجاه الحسم، الذی تخشاه قریش کل الخشیه، و تأباه- من ثم- کل الإباء ..

و کان ما أراده اللّه و رسوله .. و خاب اولئک الظالمون الجبارون و الجاحدون.

الثانی: قد تقدم: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) طلب من عثمان أن یدخل بیوت المؤمنین فی مکه، و یبشرهم بقرب ظهور الإسلام فی هذا البلد.

و الذی نلاحظه هنا هو الأمور التالیه:

1- أنه طلب من عثمان: أن یدخل بیوت هؤلاء المؤمنین و المؤمنات لیروا شخصه بعنوان: أنه مرسل من قبل نبیهم، حاضرا بینهم، ماثلا أمام أعینهم، یسمعون کلامه، و یسمع کلامهم، و لا یبقی الأمر فی مستوی اللمحات البعیده، التی یتسترون علی ما تحمله من حنین إلی ذلک النبی الکریم (صلی اللّه علیه و آله) ..

2- إن فی هذا إشاره لهم: بأن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عالم بهم، مهتم بأمرهم، یشعر بآلامهم، و یعیش قضیتهم، و لیسوا غائبین عن فکره و عن اهتمامه ..

3- إن الأمر قد صدر إلی عثمان: أن یدخل علی النساء أیضا، و هنّ العنصر الذی یستضعفه الناس، خصوصا فی الجاهلیه، و بالأخص لدی أهل الاستکبار و الجحود و الطغیان منهم ..

فکان لا بد من الربط علی قلوب هؤلاء النسوه، و الشد من عزائمهن، و تقویه یقینهن، و إعطائهن جرعه من الصبر، و تمکینهن من تلمس خیط من الأمل، فی لیل عذابهن الطویل ..

4- إن بشاره النبی (صلی اللّه علیه و آله) لهم بالفتح، و بقرب ظهور الإسلام فی مکه، من شأنه: أن یبعث فی المسلمین هناک حیاه جدیده، و یدفعهم لمضاعفه جهدهم فی نشر الدعوه، و اجتذاب الناس إلی هذا الدین ..

5- کما أن دخول رسل النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی مکه، و دعوتهم الناس إلی الإسلام سوف یشجع الخائفین، لتجاوز خوفهم، و ینبه الغافلین

إلى أن ثمه معادلات جديده قد ظهرت، و أن عليهم أن لا يصموا آذانهم عن هذا النداء، و أن لا يتجاهلوا هذه الدعوه، فقد أظهرت الأيام: أن الأمور غير مستتبه لقريش، و أن كلمتها ليست هى الأخيره، ليس فقط فى المحيط الذى حولها، و إنما فى داخل مكه أيضا ..

و سوف تظهر نتائج ذلک کله بصوره سريعه، و تتجلى على شكل أحداث تتلاحق و تتسارع، بحيث تفقد قريش معها كل اختيار، حتى تجد نفسها أسيره واقع، لم يكن يخطر فى بالها، أو يمر فى خيالها أن تنتهى الأمور إليه ..

رساله شفويه، أم كتاب؟!:

و النصوص، و إن اكتفت بالقول: إن عثمان قال لقريش: كذا و كذا ..

و لكن هناک نصا آخر يصرح: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد كتب لهم معه كتابا بذلک (1).

و قد يكون ما يذكرونه عن عثمان، من أنه قال: كذا و كذا، إنما أرادوا به التعبير عن مضمون هذا الكتاب.

و لعل إرسال الكتاب المدون إليهم هو الأولى، و ذلک لأن ذلک معناه:

زياده درجه الأمان لحامله، حيث يرى الناس: أنه مجرد رسول، و بذلک يقطع الطريق على اتهامه بأنه يتجاوز حدود ما أوكل إليه ..

كما أن الكتاب يكون أوثق فى إقامه الحجه عليهم، و أشد وقعا على نفوسهم، و هو يشكل نقطه ارتكاز تستقر عليها اللفته الذهنيه حين تتحرک6.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 16.

الحوافز للالتفات إلى هذا الحدث، و تذكّره ..

عثمان بحاجه إلى من يجيره:

هذا .. و قد أظهرت الوقائع: أن عشيره عثمان هى التى كانت تتولى كبر المواجهه مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فلا يمكن أن تتساهل فى أمره (صلى اللّه عليه و آله)، و لم يصح قول عمر فيهم، حيث لم يجد عثمان عندها عزه و لا نصرا، بل احتاج إلى من يحميه و يجيره منها، فكان أبان بن سعيد بن العاص .. هو الذى أجاره.

و وجدت قريش: أن التعدى على عثمان سيعتبر تعديا على من أجاره، و من شأن هذا الأمر- لو حصل-: أن يؤدى إلى الإنقسام فى صفوف أهل الشرک، و قد كانوا بأمسّ الحاجه إلى تحاشى ذلک بكل ثمن.

و هذا الأمر يدل: على عدم صحه ما ذكره عمر بن الخطاب للنبى (صلى اللّه عليه و آله)، حينما زعم: أن عثمان أقدر منه على تحقيق مراده (صلى اللّه عليه و آله)؛ لأن له عشيره تمنعه.

و يزيد هذا الأمر وضوحا: أن عشيره الرجل هى التى كانت تتولى تعذيبه إذا أسلم؛ لأن تعذيب سائر القبائل له كان يواجه بالرفض، و يثير المشاكل فعشيره عثمان لا تمنعه بل ترى نفسها ملزمه بأذاه لكى لا تتهم بممالأه عناصرها، فى مقابل التشدد مع غيرهم ..

رساله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى قريش:

و الذى يراجع النصوص المختلفه يلاحظ:

أن خطاب النبى (صلى اللّه عليه و آله) لقريش، و جميع رسائله لها، و كل

ما قاله لمبعوثيها، قد جاء على نسق واحد، و له مضمون واحد، لم يتغير. و قد أشرنا إلى هذا المضمون فى فصل سابق ..

و نعود، فنذكّر القارئ الكريم بما يلى:

1- إنه (صلى اللّه عليه و آله) يجدد دعوته لهم إلى الإسلام، ليظهر لهم:

أن ما فعلوه- رغم فظاعته و بشاعته- لم يوجب استبعاد خيار الدعوه هذا ..

و هو بذلک يفهمهم: أن الفرصه لا تزال سانحه أمامهم، و أن بإمكانهم أن يفكروا فى هذا الاتجاه أيضا ..

2- إن الدعوه لهم إنما كانت إلى الإسلام الذى هو دين اللّه تعالى، و ليس فى هذا أى إذلال لهم، فإنه لم يدعهم للاستسلام له و إلى طاعته كشخص .. بل دعاهم ليكون هو و إياهم مسلمين للّه تعالى، و فى طاعته سبحانه.

3- ثم عرض عليهم (صلى اللّه عليه و آله): أن يكفوا عنه، و أن ينتظروا نتائج ما يجرى بينه و بين غيرهم، و هى دعوه تتلاءم مع ميل نفوسهم إلى السلامه، و الدعه .. مع ما فى ذلک من أنهم قد يشعرون بالحاجه إلى توفير فرصه لهم لتجميع القوى و اكتساب القدرات.

فالتروى فى الأمر مطلوب، حيث إن الناس إن ظفروا برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فسيحصل القرشيون على مطلوبهم، دون أن يخسروا شيئا، و إن كانت الأخرى فسيكونون هم فى أوج قوتهم، و فى حاله جمام و راحه، و سيكون النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمون فى حاله ضعف و إنهاک، و تصبح الفرصه أمامهم أكبر، و احتمالات النجاح أوفر و أكثر ..

ثم إنه (صلى اللّه عليه و آله) قدم لهم دليلا حسيا على صوابيه ما يعرضه عليهم، حين ذكر لهم: أن الحرب قد نهكتهم، و أذهبت الأماثل منهم.

4- ثم بيّن لهم أيضا: أن هناک ما يوجب المزيد من ضعف مصداقيتهم عند العرب، حيث يرى الناس: أن حربهم معه (صلى اللّه عليه و آله) فى هذا الظرف، و ضمن دائره هذه العروض التى يطرحها عليهم لا مبرر لها، بل هى حرب ظالمه، و عدوانيه. و العدوان و الظلم فيها يأتى من قبلهم .. فإن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يأت لقتال، بل هو قد جاء ليمارس حقه، الذى يقر له به القريب و البعيد، و العدو و الصديق، إذ لم يكن فى نظام زياره البيت، و الحج إليه، اشتراط: أن يكون ثمه انتقاء قرشى لزائريه، و معظّميه، بل كان لكل من يرى لهذا البيت حرمه و قداسه، الحق فى زيارته و تعظيمه ..

5- ثم هو من جهه أخرى: يقدم الدليل الحسى، الذى يلامس المشاعر، و يتصل بالروح، و القلب، و الذى لا بد أن يصارع نوازع الهوى، و يرفض الاستسلام لإملاءاتها، و يثير حاله صراع داخلى، ربما يكون القلب و الروح و الضمير هو المنتصر فيها ..

و الدليل الذى نتحدث عنه هو هذا الإحرام المعقود، و هذه البدن التى أشعرها المحرمون، و ساقوها لينحروها فى المحل الذى أذن اللّه تعالى بنحرها فيه ..

جواب قريش:

و كان جواب قريش دائما هو رفض جميع هذه العروض، و أنها لا ترضى بأن يدخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عليها مكه رغما عنها.

و هى بذلک تتناقض مع كل الدلائل التى تشير إلى أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يأت لقتال، و لا يريد التوسل بالقوه لدخول مكه ..

و لكن قريشا تطرح الأمور بهذه الطريقه التضليليه انسياقا مع كبريائها، و توسلا لتحقيق مآربها ..

و قد أوجب ذلك تصدعا قويا فی صفوف الشرک، و ظهرت الإنقسامات، و تجلی الضعف، كما أظهرته الوقائع فی الحديبيه و بعدها ..

بيعه الرضوان و شائعه قتل عثمان:

و قد زعموا: أن السبب فی دعوه الناس إلی بيعه الرضوان هو الشائعه التی سرت فی الناس: من أن عثمان قد قتل فی مكه ..

فدعا رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) الناس إلی البيعه ..

و نقول:

إن كون سبب البيعه هو هذه الشائعه موضع شک كبير، لأنهم يقولون:

إن النبی (صلی اللّه عليه و آله) قد بايع عن عثمان أيضا .. و ذلک بأن وضع- أو ضرب- إحدی يديه علی الأخری، و قال: (اللهم إن هذه عن عثمان الخ ..) (1).

فإن صح هذا، فهو يدل علی: أن النبی (صلی اللّه عليه و آله) و الناس كانوا يعلمون بحياه عثمان، فكيف يزعم الزاعمون: أن شائعه قتله كانت السبب فی أخذ البيعه من الناس؟!

و دعوی: جواز أن يكون النبی (صلی اللّه عليه و آله) قد عرف بحياته بعد البيعه، ليس لها شاهد يؤيدها، بل هی مجرد توهم و اقتراح لعله من4.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 17 و كتاب الأربعين للشيرازی ص 588 و الإصابه ج 4 ص 378 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 34 و الصراط المستقيم ج 3 ص 34.

المحبين لعثمان ..

و إذا كان سهيل بن عمرو قد شاهد بيعه الرضوان (1)، كما يستفاد من بعض النصوص، فلماذا لم يخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن عثمان حى يرزق، و أنه لا داعى للقلق عليه؟! و لماذا لم يسأل النبى (صلى اللّه عليه و آله) أو أحد من المسلمين عنه؟!

على أننا نقول:

لماذا لا يكون سبب بيعه الرضوان هو: الشائعه التى سرت عن قتل العشره الذين أرسلهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى مكه لملاقاه أهاليهم، و دخلوا فى أمان عثمان كما يزعمون.

أو أن سببها هو: الضغط على قريش لإطلاق سراحهم، بعد أن احتجزتهم.

كما أن من أسباب البيعه: استكبار قريش عن قبول طلب المسلمين زياره بيت ربهم، و قضاء نسكهم و عمرتهم. أو غير ذلك من أمور ستأتى الإشاره إليها، أوجبت إظهار القوه أمام قريش و المشركين، و أن عليهم أن لا يتوهموا أن القضيه هى مجرد هوى، أو قرار شخصى لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد يعارضه فيه طائفه من أصحابه، أو على الأقل لا يوافقه عليه كثير ممن وافقوه فى مسيره ذاك.

و الذى نميل إليه: أن كل هذا الذى يقال عن شائعه قتل عثمان، و عن البيعه عنه، و غير ذلك من أمور، هو- كما تؤيده الدلائل و الشواهد- مما1.

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 51.

حاكته يد السياسه، التى لم تستطع أن تحفظ تسلسل الأحداث، و لا تمكنت من اكتشاف الخلل فيما يذاع و يشاع، و ينشر، هنا و هناک، من قبل المحبين و المتزلفين، و قديما قيل: لا حافظه لكذوب.

فكيف إذا اجتمع الكذّابون على أمر، و صار كل واحد منهم يدبلج ما يحلوله، من دون تنسيق أو تطبيق على ما تنتجه قرائح الآخرين؟!..

شائعه احتباس سهيل بن عمرو:

و قد زعموا أيضا: أنه لما بلغ المسلمين: أن عثمان قد احتبس فى مكه، احتبس المسلمون سهيل بن عمرو مبعوث قريش (1).

و نقول:

إننا نشک فى ذلک: فإن سهيل بن عمرو إنما جاء إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) معتذرا عما فعله سفهاؤهم، و أن ما جرى لم يكن عن رأى ذوى الرأى فيهم ..

و الظاهر: أن سهيلا قد وصل إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى وقت البيعه و رأى ما جرى بأم عينيه، فناسب ذلک إطلاق شائعه من هذا القبيل.

حديث طواف عثمان:

و لا ندرى مدى صحه حديث امتناع عثمان عن الطواف بالبيت، و أن قريشا عرضت ذلک عليه، فرفض أن يسبق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيه.ر.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 16 عن شرح الهمزيه لابن حجر.

و سبب شكنا فى هذا الحديث يرجع إلى ما يلى:

1- إنهم يزعمون: أن عثمان لم يستطع دخول مكه إلا بجوار، فما معنى أن تشتد عليه قريش هنا، ثم تسمح له بالطواف بالبيت بعد ذلک؟!

2- إنهم يزعمون: أن قريشا قد حبست عثمان، رغم الجوار الذى أعطاه إياه أبان بن سعيد بن العاص.

و هذا يتنافى معذلک الرفق الذى شملته به.

3- لو أغمضنا النظر عن هذا و ذاک، فإننا نقول:

إنهم يذكرون: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أخبر أصحابه: أن عثمان لم يطف بالبيت، و لا يطوف، فإن كان قد علم ذلک بواسطه الغيب، فلماذا لم يعلم بواسطه الغيب أيضا، بسلامه عثمان من القتل، و بكذب الشائعه التى انطلقت حول ذلک؟! و لماذا بادر إلى عقد بيعه الرضوان استنادا إلى شائعه كاذبه؟!

و إن كان (صلى اللّه عليه و آله) قد أخبرهم بهذا الأمر استنادا إلى معرفته بنفسيه عثمان، و بطريقه تفكيره .. فذلک يحتاج إلى إثبات و شاهد.

4- من الذى قال: إن عثمان كان يعرف كيف يؤدى مناسک العمره كما حددها الإسلام؟!

فإن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد قال للناس حينما دخل مكه: (خذوا عنى مناسككم) (1).7.

1- مختلف الشيعه للعلامه الحلى ج 4 ص 53 و 183 و 290 و 301 و 352 و الحدائق الناضره للمحقق البحرانى ج 16 ص 102 و 186 و ج 17 ص 14 و 76 و 245 و رياض المسائل للسيد على الطباطبائى (ط جديد) ج 6 ص 216 و 432 و 504 و 534 و 552 و ج 7 ص 79 و 94 و مستند الشيعه للمحقق النراقى ج 12 ص 71 و 216 و 219 و 299 و ج 13 ص 32 و جواهر الكلام للشيخ الجواهرى ج 18 ص 55 و ج 19 ص 22 و 103 و 111 و 132 و 248 و 313 و 396 و 422 و ج 35 ص 443 و المجموع

لمحيى الدين النووى ج 8 ص 21 و 30 و 31 و 97 و 155 و 235 و 237 و تلخيص الحبير لابن حجر ج 7 ص 292 و 293 و 303 و 370 و 388 و 405 و المبسوط للسرخسى ج 4 ص 51 و البحر الرائق لابن نجيم المصرى ج 3 ص 42 و 43 و المغنى لعبد اللّه بن قدامه ج 3 ص 414 و 440 و 442 و 446 و 451 و 472 و 474 و 476 و 529 و 530 و سبل السلام لابن حجر العسقلانى ج 2 ص 201 و 203 و 208 و 209 و 212 و نيل الأوطار للشوكانى ج 3 ص 378 و ج 5 ص 43 و 55 و 110 و 119 و 125 و 126 و 144 و 154 و فقه السنه للشيخ سيد سابق ج 1 ص 650 و 712 و 734 و شرح صحيح مسلم للنووى ج 9 ص 21 و ج 8 ص 220 و فتح البارى ج 1 ص 193 و 419 و ج 3 ص 388 و 397 و 398 و 431 و 456 و 461 و 464 و تحفه الأحوذى ج 3 ص 479 و 551 و عون المعبود ج 5 ص 182 و 233 و 251 و 311 و نصب الرايه للزيلعى ج 3 ص 136 و فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ج 1 ص 100 و كشف الخفاء للعجلونى ج 1 ص 379 و أحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 98 و 117 و 121 و 348 و 355 و 371 و فتح القدير للشوكانى ج 1 ص 161 و 204 و الفصول فى الأصول للجصاص ج 2 ص 33 و ج 3 ص 232 و الأحكام لابن حزم ج 3 ص 300 و أصول السرخسى لأبى بكر السرخسى ج 1 ص 12 و 14 و ج 2 ص 27 و سير أعلام النبلاء للذهبى ج 6 ص 343 و الإصابه لابن حجر ج 1 ص 42 و البدايه و النهايه ج 5 ص 203 و 234 و سبل الهدى و الرشاد ج 8 ص 475 و عوالى اللآلى ج 1 ص 215 و ج 4 ص 34 و السنن الكبرى للبيهقى ج 5 ص 125 و إرواء الغليل ج 4 ص 316 و الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 39 و ج 2 ص 183 و 400 و 416 و 429 و 431 و ج 3 ص 5 و السيره النبويه لابن كثير ج 4 ص 367 و 427.

فتعلم الناس منه كيفيه الاعتمار، و كيفيه الحج حينئذ، و لم يكن قد حج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) معلنا قبل هذا، ليكون عثمان قد حج معه، و لا دليل يدل على أنه قد تعلم منه ذلک شفاها.

5- و مما يلقى ظلالا من الشک على هذه الأقوال أيضا: أن الكلام كله يتمحور حول عثمان، مع أنهم يقولون: إن عشره أشخاص قد دخلوا معه فى أمانه، و لم نجد أحدا قد سألهم، أو سأل عنهم: هل طافوا حول الكعبه أم لم يطوفوا؟! أو على الأقل لم يحدثنا التاريخ بشى ء من ذلک.

6- إن الظن المنسوب إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يصب فى هذه المره أيضا، و ذلک لأن ما ظنه من طاعه عثمان و تقيّده بأوامره، قد خيّبه عثمان حين عصى أمره (صلى اللّه عليه و آله) الناس و عثمان منهم أن يحلقوا رؤوسهم، فلم يستجب له (صلى اللّه عليه و آله) و كان كما يقول السهيلى:

وحده، و معه أبو قتاده (و نظن أن الصحيح: هو (و معه عمر)، لأن عمر المعارض الحقيقى، بل هو رأس المعارضه).

نعم، إن عثمان و هذا الرجل أو ذاک، وحدهما اللذين عصيا أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أصرا على التقصير، و وصفهما النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأنهم قد شكّوا (أى فى دينهم) (1).3.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 23.

ما هو سبب البيعه إذن؟!

و نرجح: أن يكون سبب بيعه الرضوان ليس ما زعموه حول عثمان، و إنما هو:

إظهار مدى تصميم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على حقه الذى تنكره عليه قريش.

و الضغط عليها من أجل فک أسر العشره الذين احتجزتهم.

و تكذيب ما تحاول التسويق له، من أن الذين مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا ينصرونه.

و لغير ذلک من أسباب يدخل بعضها فى سياق التربيه لأصحابه (صلى اللّه عليه و آله)، و يفيد فى إعطاء الانطباع الواضح، و إشاعه الأجواء التى يريد النبى (صلى اللّه عليه و آله) إشاعتها فى محيط الشرک من خلال ذلک.

أسرى قريش:

و ذكرت النصوص التى قدمناها: أن محمد بن مسلمه كان على الحرس فى إحدى الليالى فأسر حوالى خمسين رجلا، و أفلت مكرز بن حفص .. فظهر مصداق قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن مكرز: إنه رجل غادر.

و نقول:

إنه لا مانع من أن يكون مكرز بن حفص رجلا غادرا، و لا نريد أن ننفى أن يكون رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد وصفه بذلک. فقد يكون ذلک صحيحا فى نفسه.

و لكننا نقول: حفاظا منا على الحق و الحقيقه، و على مقام رسول اللّه

(صلی اللّه علیه و آله)، من أن ینسب إلیه ما یکون موضع شبهه:

إن ما زعموه مصداقا لقوله (صلی اللّه علیه و آله) لا یصلح لذلک؛ لأن المفروض: أنه لم یکن بین مکرز بن حفص، و بین النبی (صلی اللّه علیه و آله) عهد و عقد یلزم مکرزا بعدم مهاجمه المسلمین، و بعدم نصب الکمائن لهم، و تحین الفرص للإیقاع بهم، بل هو یری: أنه فی حاله حرب معهم، فإذا جاء فی خمسین رجلا لیصیب منهم أحدا، أو غرّه، فإن فعله هذا لا یکون هو المصداق لقول رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عنه: إنه رجل غادر ..

و مما یدلل علی صحه ما قلناه: أن الروایه نفسها تذکر: أن قریشا بعثت مکرز بن حفص نفسه مع سهیل بن عمرو، و حویطب بن عبد العزی لیخلّصوا أولئک النفر الخمسین الذین أسروا، و لیقولوا لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): إن الذین قاتلوه، و الذین حبسوا أصحابه فی مکه کانوا من سفهائهم. و لم یکن ذلک بقرار من ذوی الرأی فیهم.

فإن صح أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد قال ذلک.

و صح أن یکون مکرز قد جاء مع المهاجمین.

و صح أنهم قد أسروا.

و صح أن الذی أسرهم هو محمد بن مسلمه، و لم یکن المقصود هو: تهیئه الأجواء لمنح محمد بن مسلمه و ساما لیکافئه به محبوه علی مهاجمته بیت الزهراء (علیها السلام)، مع من هاجمها بعد وفاه الرسول (صلی اللّه علیه و آله).

نعم .. لو صح ذلک کله، فإنه لا بد من البحث عن مفردات غدر مکرز بن حفص فی غیر هذه الواقعه.

و قد ذکر لنا التاریخ غدرا من مکرز، و لکن لیس بالمسلمین، و إنما

بالمشركين .. و لسنا هنا بصدد البحث عن أمر كهذا ..

مكرز بن حفص مره أخرى:

هذا و قد ذكرت النصوص: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أجاب مكرز بن حفص بنفس ما أجاب به عروه بن مسعود، و بديل بن ورقاء، و الحليس ..

و يظهر من الروايات أيضا: أن مكرزا قد جاء بعد هؤلاء ..

و لكننا نقول:

قال اليعقوبى: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أبى أن يكلم مكرزا، و قال: هذا رجل فاجر، فبعثوا إليه الحليس بن علقمه (1).

و عدم تكليم النبى (صلى اللّه عليه و آله) لمكرز بن حفص هو الأنسب بالوصف الذى أطلقه النبى (صلى اللّه عليه و آله) على هذا الرجل، و هو: أنه فاجر.

كما أن ظاهر كلام اليعقوبى هو: أن إرسال الحليس إنما كان بعد إرسال مكرز، و هذا هو الأنسب أيضا، حيث يتوقع أن يكون البديل عن الرجل الفاجر رجلا يتأله، و يعظم البيت، و يؤمن بالشعائر ..

مسلمون دخلوا مكه، فأخذوا:

و قد ذكرت الروايات المتقدمه: أسماء عشره أشخاص دخلوا مكه بإذن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله). و قد اختلفوا فى طريقه دخولهم، هل كان4.

1- راجع: تاريخ اليعقوبى (ط دار صادر) ج 2 ص 54.

ص: 322

سرا؟! أم دخلوا فی أمان عثمان؟!

و نرجح: أن یکون دخولهم سرا، لتصریح الروایه: بأنهم (أخذوا)، فإنهم لو کانوا قد دخلوا فی أمان عثمان فلماذا أخذتهم قریش؟ و إذا کان قد بدا لها أن تأخذهم، فلماذا لم یبد لها أن تأخذ عثمان معهم؟! و لم یکن فی عثمان ما یمیزه عنهم عندها، بل قد یکون أخذه هو الأولی بالنسبه إلیها و لا سیما مع تکفل کل قبیله بالتصدی لمن یسلم من أبنائها، حسبما تقدم.

و إذا کان عثمان قد دخل فی جوار أبان، فلماذا لم یطلب منه أن یجیر رفقاءه معه؟! و هل من المروءه أن یؤمن نفسه، و یترک رفقاءه؟!

و إذا کانوا قد دخلوا فی أمانه و فی جواره، فکیف رضی من أجارهم أن یؤخذوا؟!

و قد تقدم: أنه لیس ثمه ما یدل علی: أن أحدا منهم قد طاف بالبیت، و لا ظهر فی شی ء من النصوص التی بین أیدینا: أن قریشا قد سمحت لهم بذلک، فرفضوه أو قبلوه، کما یزعمونه بالنسبه لعثمان ..

و لم یظهر أیضا من النصوص: أنهم شارکوا عثمان فی أی نشاط، فلم تشر إلی ذهابهم معه لزیاره بیوت المؤمنین، أو دخولهم علی زعماء قریش لإبلاغ رساله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ..

و هذا کله یقرب احتمال أن یکونوا قد دخلوا إلی أهالیهم سرا، فکانوا عندهم، فنمی أمرهم إلی قریش، فأخذتهم.

هم عتقاء اللّه:

و من أهم ما حدث فی هذه الأثناء: أن أعدادا من الأرقاء و العبید الذین

كانوا فى مكه، و بعضا من المستضعفين من قريش، كانوا قد لحقوا بالمسلمين قبل عقد الصلح، فكتبت قريش إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يعيدهم إليها و جاء فى الكتاب:

(و اللّه، ما خرجوا إليک رغبه فى دينک، و إنما خرجوا هربا من الرق).

فرفض النبى (صلى اللّه عليه و آله) طلبهم و قال: (هم عتقاء اللّه ..)

و طلب منه سهيل بن عمرو ذلک أيضا، و قال له: قد خرج إليک ناس من أبنائنا و أرقائنا، و ليس بهم فقه فى الدين و إنما خرجوا فرارا من أموالنا و ضياعنا، فارددهم إلينا ..

فقال ناس: صدقوا يا رسول اللّه، ردهم إليهم.

فغضب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من ذلک، و قال:

(ما أراكم تنتهون، يا معشر قريش حتى يبعث اللّه عليكم، من يضرب رقابكم على هذا، و أبى أن يردهم.

قال: هم عتقاء اللّه) (1).9.

1- راجع: جامع الأصول ج 9 ص 223 و البحار ج 21 ص 168 و ج 20 ص 264 و 244 عنه و عن إعلام الورى ص 191، و سنن أبى داود ج 1 ص 612 و المستدرک للحاكم ج 2 ص 125 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 229 و ج 10 ص 308 و عون المعبود ج 7 ص 263 و كنز العمال ج 10 ص 473 و المنتقى من السنن المسنده ص 275 و المعجم الأوسط ج 4 ص 316 و نصب الرايه ج 4 ص 16 و 17 و 309.

لا، و لكنه خاصف النعل:

و حسب نص آخر:

قالوا: (و فى هذه الغزاه أقبل سهيل بن عمرو إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فقال له: يا محمد، إن أرقاءنا لحقوا بک، فارددهم علينا.

فغضب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حتى تبين الغضب فى وجهه، ثم قال: لتنتهن- يا معشر قريش- أو ليبعثن اللّه عليكم رجلا امتحن اللّه قلبه للإيمان، يضرب رقابكم على الدين.

فقال بعض من حضر: يا رسول اللّه، أبو بكر ذلک الرجل؟!

قال: لا.

قيل: فعمر؟!

قال: لا، و لكنه خاصف النعل فى الحجره.

فتبادر الناس إلى الحجره ينظرون من الرجل!! فإذا هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)..).

و روى جماعه هذا الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، و قالوا فيه: إن عليا قص هذه القصه، ثم قال: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يقول: من كذب علىّ معتمدا فليتبوأ مقعده من النار.

و كان الذى أصلحه أمير المؤمنين من نعل النبى (صلى اللّه عليهما و آلهما) شسعها، فإنه كان انقطع، فخصف موضعه، و أصلحه) (1).6.

1- الإرشاد للمفيد (ط مؤسسه آل البيت) ج 1 ص 122 و 123، و أشار فى هامشه إلى: كفايه الطالب ص 96 و مصباح الأنوار ص 121 و باختلاف يسير فى سنن الترمذى ج 5 ص 297 و إعلام الورى ص 191 و فى (ط أخرى) ص 372 و تاريخ بغداد ج 1 ص 133 و المستدرک على الصحيحين ج 4 ص 298 و البحار ج 20 ص 360 و 364 و ج 32 ص 301 و ج 36 ص

33 و ج 38 ص 247 و الإفصاح ص 135 و العمده لابن البطريق ص 224 و عوالى اللآلى ج 4 ص 88 و كتاب الأربعين للماحوزى ص 241 و درر الأخبار ص 174 و خصائص الوحى المبين لابن البطريق ص 239 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 623 و المناقب للخوارزمى ص 128 و كشف الغمه ج 1 ص 211 و نهج الإيمان ص 523 و كشف اليقين ص 106.

و نلاحظ هنا ما یلی:

1- إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد غضب إلی هذا الحد، انتصارا منه لأناس مستضعفین، ظلمهم أسیادهم بحرمانهم من حق الحریه الإعتقادیه و الدینیه.

و لا یقف الأمر عند هذا الحد، بل هو یهدد قریشا، التی کانت تری نفسها سیده المنطقه العربیه بأسرها، و تری أن لها الحق- من موقعها الدینی، و کذلک من موقع مالکیتها لأولئک الأرقاء- أن یکون القرار الأول و الأخیر بالنسبه لأرقائها بیدها، لا ینازعها فیه أحد ..

و الناس یعترفون لها بهذا و ذاک، و یقرونها علی ما تزعمه لنفسها ..

نعم، إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لیس فقط لا یعترف لها بشی ء مما تزعمه لنفسها و یزعمه الناس لها فی هذا الاتجاه و ذاک، و إنما هو یعطی لنفسه الحق فی شن حرب کاسحه، و مدمره، یرید لها أن تنتهی بضرب رقاب نفس هؤلاء الأسیاد المتسلطین، حتی لو کانوا من قریش، أو کانوا سدنه البیت،

لمجرد ضمان حريه الفكر و العقيده حتى لمن هم عبيد أرقاء لهم، و قد اشتراهم أولئک الناس بأموالهم.

2- إنه (صلى اللّه عليه و آله) يهدد قريشا بطريقه تجد فيها الشواهد على جديه ذلک التهديد، و أنه يسير باتجاه التنفيذ، حيث صرح لها: بأن من يتولى تنفيذ هذا القرار هو من نفذ مهمات مشابهه بکل دقه و أمانه و حزم .. و لم تزل تشهد قريش و المنطقه بأسرها آثار جهده و جهاده، طاعه للّه و لرسوله ..

3- إنه (صلى اللّه عليه و آله) يصوغ هذا التهديد بطريقه تستدعى طرح الأسئله لمعرفه المزيد من الأوصاف، أو تدعو للتصريح باسم هذا الذى أشار إليه ..

4- و لا ندرى، فلعل طرح اسمى أبى بکر، و عمر، ليجيب النبى (صلى اللّه عليه و آله) بنفى أن يکونا مرادين فى کلامه، قد جاء من قبل شخص يريد أن يسمع الناس هذا التصريح، لقطع دابر الکيد الإعلامى الذى قد يمارسه ذلک الحزب الذى عرف بالانحراف عن على (عليه السلام) منذ بدايات الهجره، و ربما قبل ذلک أيضا.

و لعل النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد عرّف بعض أهل السر عنده بما يدبره هؤلاء فى الخفاء، مما له مساس بمستقبل الدين و الأمه، فکان بعض أهل السر يشعرون بأنه لا بد من إيضاح الأمور للناس بطريقه أو بأخرى ليتحملوا مسؤولياتهم، بعد أن تکون الحجه عليهم قد تمت ..

5- و يسجل النبى (صلى اللّه عليه و آله) هذا الوسام الرائع لأمير المؤمنين (عليه السلام) فى إطار فريد و رائع، حين بيّن أن هذا الذى يستطيع أن يضرب رقاب قريش على الدين ليس ممن يرغب فى شى ء من حطام

الدنیا، و لیس هو ممن یمیّزون أنفسهم عن الآخرین .. و هو إنسان لا یمدح بکثره المال، و لا بشی ء مما یمدح به الآخرون. و لا یحتاج فی استحضار صورته إلی أی إطار تظهر علیه الألوان، و الأشکال، و الزخرفات، بل هو یظهر فی صورته و هو یخصف نعلا .. و هی صوره لا یتوقعون ظهور الحاکم و الرئیس فیها فی أی من الظروف و الأحوال.

و اللافت: أن هذا النعل الذی یخصفه لیس له، و إنما هو لغیره، إنه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) .. الأمر الذی یشیر إلی طبیعه نظرته لنفسه، و یؤکد صحه ما یلهج به، حیث یقول: أنا عبد من عبید محمد (1).

6- إن قوله (صلی اللّه علیه و آله): (هم عتقاء اللّه) یستبطن أمرین:

أحدهما: أنه لیس هو المسؤول عنهم، و لا المطالب بهم، بل هم الذین خرجوا و فروا من سلطان قریش، و لیس لقریش أن تطالبه بأن یبسط سلطتها علی أرقائها، و لا استنابته بملاحقتهم کلما هربوا منها.

و بنود صلح الحدیبیه لا تشمل هؤلاء؛ لأنهم قد هربوا من قریش قبل عقده، و الصلح إنما یعالج الحالات التی تحدث بعد توقیعه.

الثانی: أن إسلامهم هو الذی أعتقهم، فإن العبد إذا أسلم فی دار الحرب قبل مولاه، فالمروی: أن ذلک من أسباب عتقه. خصوصا إذا خرج3.

1- الکافی ج 1 ص 90 و شرح أصول الکافی ج 3 ص 130 و 131 و الإحتجاج ج 1 ص 313 و عوالی اللآلی ج 1 ص 292 و الفصول المهمه فی أصول الأئمه ج 1 ص 168 و البحار ج 3 ص 283 و نور البراهین ج 1 ص 430 و مستدرک سفینه البحار ج 7 ص 64 و میزان الحکمه ج 1 ص 144 و ج 4 ص 3207 و تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 233.

إلى دار الإسلام قبله (1).

و هؤلاء قد أسلموا و خرجوا إلى دار الإسلام قبل أسيادهم، و هذا معناه: أنه لا سلطه لقريش عليهم لأنهم خرجوا عن صفه الرق. فلا يجوز لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يرجعهم إليه، أو أن يساعد على ذلک؛ لأن ذلک عدوان عليهم و مصادره لحرياتهم، بل أصبح من واجبه (صلى اللّه عليه و آله) الدفاع عنهم و المنع من ظلمهم و من استعبادهم.

مبرر الإعلان عن بيعه الرضوان:

و بعد ما تقدم نقول:

إن المبرر المعقول و المقبول هو: أن يكون السبب القريب فى الدعوه إلى بيعه الرضوان:

1- أخذ قريش لعشره من المسلمين دخلوا مكه ..

2- إرسال جماعات ليليه تسعى لاختطاف أشخاص، أو القيام باغتيالات، قد يكون بعضها بالغ الخطوره، و قد أخذ المسلمون منهم خمسين رجلا.

3- حصول مناوشات و صدامات بين جماعه من المشركين و المسلمين، انتهت بأسر اثنى عشر رجلا من المشركين ..7.

1- سنن البيهقى ج 9 ص 229 و 230 و راجع: تهذيب الأحكام ج 6 ص 152 و النهايه للطوسى ص 295 و الوسائل كتاب الجهاد ج 11 ص 89 و التنقيح الرائع ج 3 ص 256 و السرائر ج 2 ص 10 و 11 و مسالک الأفهام ج 10 ص 357 و 358 و شرائع الإسلام كتاب العتق و كتاب الجهاد، و كنز العرفان (ط مؤسسه آل البيت) ج 2 ص 129 و عوالى اللآلى ج 3 ص 187.

4- قتل ابن زنيم، الذى اطلع الثنيه من الحديبيه، فرماه المشركون فقتلوه. ثم إصرار قريش: على أنها لن تمكّن المسلمين من دخول مكه ..

5- إصرارها على استعاده هؤلاء الأرقاء الذين أسلموا و التحقوا بالمسلمين، حيث أراد (صلى اللّه عليه و آله) أن يفهم قريشا: أنه على استعداد للدخول فى الحرب من أجل هؤلاء.

6- الضغط على قريش لتستجيب إما لتمكينهم من زياره بيت ربهم، أو ترضى بإعطاء العهد، و الوعد لهم بذلك فى السنه القادمه.

فمن أجل كل ذلك جاءت الدعوه إلى بيعه الرضوان، التى تعطى الانطباع لقريش عن أن المسلمين يد واحده مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و عن غير ذلك من أمور.

النساء .. و البيعه:

و لا ندرى كم كان عدد النساء اللاتى حضرن فى الحديبيه، غير أن مما لا شك فيه، هو: أن أخذ النبى (صلى اللّه عليه و آله) البيعه منهن له العديد من الدلالات .. و هى التاليه:

1- إنه يؤكد على حقيقه: أن الحرب حين تكون مصيريه، فإن مشاركه النساء، و حتى الأطفال تصبح أمرا لا بد منه، و لا غنى عنه.

2- إنه عدا عن أن ذلك يتضمن تكريما لعنصر المرأه، فإنه يعد إعلانا بأن عليها أن تشارك فى حمايه المجتمع الإيمانى، بما تقدر عليه مما يتناسب مع طبيعه تكوينها و قدراتها، و لا تخرج عما قرره الشارع لها من طريقه حياه، و ما شرعه لسلوكها من أحكام ..

3- إن ذلک یظهر تصمیم المجتمع الإیمانی علی الحصول علی حقوقه، و یشیر إلی قریش بحقیقه: أن الأمر لیس صراعا علی النفوذ، بهدف الحصول علی مکاسب لفریق یرید أن یجعل من نفسه حاکما و مهیمنا ..

بل القضیه أکبر من ذلک، و أخطر، فإن المجتمع الإیمانی یری: أنه إنما یطالب بحقوقه من حیث إن عناصره یحملون صفه الإنسانیه، فکل من له هذه الصفه فلا بد من أن ینال حقوقه بغض النظر عن خصوصیاته الفردیه، مثل اللون، أو العرق، أو السن، أو غیر ذلک.

و قد عبّر عن ذلک عروه بن مسعود، حین قال لقریش: (و اللّه لقد رأیت معه نساء ما کنّ لیسلمنه علی حال) (1).

و هذا یفسر لنا: أخذه (صلی اللّه علیه و آله) البیعه منهن بالطریقه التی تناسب حالهن، و تراعی الأحکام الشرعیه معهن، فقد قال الشیخ المفید (رحمه اللّه):

(و کان أمیر المؤمنین (علیه السلام) المبایع للنساء عن النبی (علیه السلام). و کانت بیعته لهن یومئذ: أن طرح ثوبا بینه و بینهن، ثم مسحه بیده. فکانت مبایعتهن للنبی (صلی اللّه علیه و آله) بمسح الثوب، و رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یمسح ثوب علی بن أبی طالب (علیه السلام) مما یلیه ..) (2).2.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 45.
2- الإرشاد للمفید (ط مؤسسه آل البیت) ج 1 ص 119 و البحار ج 20 ص 358 و موسوعه التاریخ الإسلامی ج 2 ص 622.

النبی صلّی اللّه علیه و آله یتفاءل بالاسم:

و قد قرأنا فیما سبق: أنه لما جاء سهیل بن عمرو ورآه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) .. قال لأصحابه: سهل أمرکم.

و هذا یستبطن أحد أمرین، أو کلیهما، و هما:

1- أن یکون (صلی اللّه علیه و آله) قد أراد مجرد التفاؤل بالاسم، من حیث إن کلمه سهیل مأخوذه من السهوله، بغض النظر عن طبیعه سهیل بن عمرو فی نفسه.

2- أن یکون سهیل بن عمرو بالذات سهلا فی تعامله مع الآخرین ..

هذا، و قد جاء فی النصوص: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کان یحب الفأل الحسن، و یکره الطیره (1).

و الفأل ضد الشؤم، و هو: أن یسمع کلاما أو یری أمرا فیستبشر به، و یتوقع لأجله أمرا حسنا، کما لو سمع کلمه یا سالم، فیتوقع السلامه، أو3.

1- راجع: مکارم الأخلاق، الطبعه الأولی ج 1 ص 191 و البحار ج 92 ص 2 و 3 و فی ج 74 ص 165: إن اللّه تعالی یحب الفأل الحسن، و عوالی اللآلی ج 1 ص 291 و میزان الحکمه ج 2 ص 1760 و ج 3 ص 2348 و مسند أحمد ج 2 ص 332 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 117 و عن فتح الباری ج 10 ص 181 و المصنف لابن أبی شیبه ج 6 ص 225 و صحیح ابن حبان ج 13 ص 49 و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 230 و موارد الظمآن ص 346 و الجامع الصغیر ج 5 ص 294 و کنز العمال ج 7 ص 136 و ج 10 ص 115 و فیض القدیر ج 5 ص 294 و کشف الخفاء ج 1 ص 66 و معجم البلدان ج 5 ص 102 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 117 و الکنی و الألقاب ج 1 ص 293.

رأى ما يسر، فيتوقع السرور فيما يتوجه إليه، و يسعى له.

و قد روى عن على (عليه السلام) قوله: (تفأل بالخير تنجح) (1).

و عنه (عليه السلام): العين حق، و الرقى حق، و السحر حق، و الفأل حق، و الطيره ليست بحق (2).

و قد تفأل عبد المطلب بحليمه السعديه، بالحلم و السعد، و قال: بخ بخ، خلتان حسنتان: حلم و سعد (3).

و تفأل الإمام السجاد (عليه السلام) بالقرآن الكريم لتعيين اسم زيد، حين اختلاف أصحابه فى تعيين اسم ولده (4).

و قد كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كثير التفأل، و قد تفاءل فى الحديبيه بسهوله الأمر، حين جاءه سهيل بن عمرو كما تقدم (5).

و عن أنس: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): رأيت ذات ليله فيما7.

1- غرر الحكم رقم 4466 و عيون الحكم و المواعظ ص 199 و ميزان الحكمه ج 3 ص 2348.
2- شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 19 ص 472 و نهج البلاغه، قسم الحكم، الحكمه رقم 400.
3- البحار ج 15 ص 388 و مستدرک سفينه البحار ج 8 ص 104.
4- البحار ج 46 ص 191 و ج 88 ص 243 و مستدرک سفينه البحار ج 5 ص 171 و ج 8 ص 104 و السرائر ج 3 ص 638 و مستدرک الوسائل ج 4 ص 305 و مستطرفات السرائر ص 638.
5- راجع: البحار ج 20 ص 333 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 222 و جامع البيان ج 26 ص 125 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 277.

یری النائم، کأنا فی دار عقبه بن رافع، فأتینا برطب من رطب ابن طاب.

فأولت الرفعه لنا فی الدنیا، و العاقبه فی الآخره، و أن دیننا قد طاب (1).

کما أنه (صلی اللّه علیه و آله) کتب إلی خسرو أبرویز، یدعوه إلی الإسلام، فمزق کتابه، و أرسل إلیه قبضه من تراب، فتفاءل (صلی اللّه علیه و آله) بتمزق ملک کسری، و بأن المسلمین یملکون أرضهم (2).

و فی مقابل التفأل التطیر، الذی ذکر فی القرآن أیضا فی سوره الأعراف، الآیه 131 و فی سوره النمل الآیه 47 و فی سوره یس الآیه 18: حین کانت بعض الناس فی الأمم السالفه یزعمون لأنبیائهم أنهم تطیروا بهم، من أجل إسقاط دعوتهم.

فکان جواب الأنبیاء: أن هذا التطیر، لا یجعل الحق باطلا، و لا یصلح عذرا لعدم الإیمان، و أن أعمالهم هی التی توجب لهم الشقاء و العذاب عند اللّه تعالی و تجر الشر إلیهم، و لیس هو ما یتطیرون به.

و قد أمرت الأخبار الکثیره بدفع شؤم التطیر بالتوکل، و بالدعاء.

و قد روی عن الإمام الصادق (علیه السلام) قوله: الطیره علی ما9.

1- البحار ج 18 ص 122 عن إعلام الوری و ج 58 ص 221 و مسند أحمد ج 3 ص 213 و 286 و صحیح مسلم ج 7 ص 57 و سنن أبی داود ج 2 ص 482 و المصنف لابن أبی شیبه ج 7 ص 239 و منتخب مسند عبد بن حمید ص 391 و السنن الکبری للنسائی ج 4 ص 388 و مسند أبی یعلی ج 6 ص 236 و کنز العمال ج 15 ص 385 و تفسیر القرآن العظیم ج 3 ص 180 و تاریخ مدینه دمشق ج 40 ص 527 و عن الإصابه ج 4 ص 428 و عن إعلام الوری ج 1 ص 90.
2- مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 55 و فی طبعه أخری ج 1 ص 79.

تجعلها، إن هونتها تهونت، و إن شددتها تشددت، و إن لم تجعلها شيئا لم تكن شيئا (1).

و عنه (علیه السلام): کفاره الطیره التوکل (2).

و هناک حدیث عن الإمام الکاظم (علیه السلام)، عدّ فیه موارد الطیره للمسافر، و أنها سبعه، و قال فی آخره: فمن أوجس فی نفسه منهن شیئا، فلیقل:

اعتصمت بک یا رب من شر ما أجد فی نفسی، فاعصمنی. فیعصم من ذلک (3).

و یمکن أن یستفاد من ذلک: أن للحالات النفسیه تأثیراتها فی الأمور3.

1- الکافی ج 8 ص 197 الخبر رقم 234 و الوسائل ج 8 ص 262 و ج 15 ص 585 و البحار ج 55 ص 310 و 322 و شرح أصول الکافی ج 12 ص 262 و الفصول المهمه ج 3 ص 282 و نور البراهین ج 2 ص 278 و مستدرک سفینه البحار ج 6 ص 619 و تفسیر المیزان ج 11 ص 78 و میزان الحکمه ج 2 ص 1760 و ج 3 ص 2354 و نور الثقلین ج 4 ص 382.
2- الکافی ج 8 ص 198 و الوسائل ج 8 ص 262 و ج 15 ص 584 و نور الثقلین ج 4 ص 382 و المیزان (تفسیر) ج 19 ص 78 و شرح أصول الکافی ج 12 ص 262 و الفصول المهمه ج 1 ص 537 و نور البراهین ج 2 ص 277 و میزان الحکمه ج 2 ص 1760 و ج 3 ص 2354 و 2716 و الکنی و الألقاب ج 1 ص 293.
3- المحاسن ج 2 ص 348 و الکافی ج 8 ص 315 و من لا یحضره الفقیه ج 2 ص 269 و الوسائل ج 8 ص 263 و مکارم الأخلاق ص 242 و البحار ج 55 ص 326 و ج 73 ص 225 و الجواهر ج 18 ص 152 و الکنی و الألقاب ج 1 ص 293 و الخصال ص 272 و شرح أصول الکافی ج 12 ص 439 و نور البراهین ج 2 ص 278 و مستدرک سفینه البحار ج 6 ص 620 و میزان الحکمه ج 3 ص 2354 و نور الثقلین ج 4 ص 383.

فإن من يتفأل بالخير، يتعامل مع الأمور بروح منشرحه، و نفس مطمئنه و واثقه، و يعيش السكينه، و الثقه باللّه سبحانه بما قسمه له و اعتباره خيرا، حتى و إن كان الناس يجدون فيه مراره و ألما، فيرضى بهذا الألم. و يتمثل له فيه الرضا الإلهى، و يجد فيه الخير و المثوبه، و رفعه الدرجه و الزياده. فهو لا ينظر إليه بعين المقت و الرفض، و الوجل و الخوف ..

بل يراه على أنه باب للخير و الفلاح فى الدنيا و الآخره.

أما المتشائم المتطير فهو يرى: أن الأشياء من حوله ضده، و لها دور فى تقويض سعادته، و هدم كيانه، فهو لا يأنس بها، بل يعاديها، و يمقتها، و لا يرى أن اللّه تعالى هو المؤثّر و المبدّل و المغيّر، بل يرى أنها هى الأقوى.

و بعد .. فإن لانشراح الروح و الشعور بالسكينه و البهجه و الرضا تأثيره فى الأشياء التى تحيط بالإنسان، حتى فى الهواء، و الشجر، و النبات، و غيرها، و كذلک الحال بالنسبه للكآبه و الحزن، و التردد و الخوف، و ما إلى ذلک.

و قد يمكن تأييد ذلک: بما دلت عليه الآيات و الروايات الكثيره، من أن للمعاصى و الطاعات تأثيراتها فى المحيط الذى يعيش فيه الإنسان، و فى كثير من الأشياء حوله، و من ذلک ما دل على ظهور الأسواء، و المفاسد، مثل قوله: ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِی النَّاسِ .. (1).

و روى: إذا كثر الزنى كثر موت الفجأه (2). و غير ذلک كثير.0-

1- الآيه 41 من سوره الروم.
2- المحاسن ج 1 ص 107 و الكافى ج 2 ص 374 و ج 5 ص 541 و علل الشرايع ج 2 ص 584 و أمالى الصدوق ص 385 و ثواب الأعمال ص 252 و تحف العقول ص 51 و روضه الواعظين ص 420 و 463 و شرح أصول الكافى ج 10-

و من ذلک أیضا: ما دل علی زیاده النماء و البرکات، کقوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (1).

تبادل الأسری:

و قد ادّعی سهیل بن عمرو- فیما یمکن أن یعتبر اعتذارا لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، أو هو تنصل من المسؤولیه-: أن قتال بعض المشرکین للمسلمین، و حبس الذین حبسوا فی مکه، قد کان بغیر علم زعماء قریش.

و لم یکن عن رأی ذوی الرأی فیها. بل هو قد ادّعی أنهم کانوا کارهین لذلک کله، و أن السفهاء هم الذین أقدموا علیه ..

ثم طلب سهیل إطلاق سراح من أسرهم المسلمون أول مره، و من أسروهم فی المره الثانیه، و لم یشر بشی ء إلی مصیر المحبوسین فی مکه.

فجاء الرد لیؤکد علی ضروره إطلاق سراح من حبستهم قریش أیضا ..

و أن علی قریش أن تکون هی البادئه بإطلاق سراح من احتجزتهم ..

و ذلک یتضمن أمرین:

أحدهما: التعبیر عن أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کان فی موقعف.

1- الآیه 96 من سوره الأعراف.

القوه، و هو يملى إرادته على عدوه.

الثانى: إرغام قريش على الاعتراف- و لو ضمنا-: بأنها معتديه و ظالمه ..

و أن ما كان من المسلمين إنما هو مجرد دفاع ورد اعتداء ..

و كان ما أراده رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حيث بدأت قريش بإرسال من كان عندها أولا .. لأن سهيلا أرسل الشييم بن عبد مناف التيمى وحده إلى قريش، و لم يطلق سراح أحد معه، فبعثت قريش بمن كان عندها ..

و ثبت بذلک ما أراده رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و كانت كلمه اللّه هى العليا، و كلمه الذين كفروا هى السفلى ..

موقف كريم لسهيل بن عمرو:

و كان سهيل بن عمرو من أشراف قريش، و قد أسر يوم بدر، و كان أعلم الشفه العليا، أى مشقوقها، فقال عمر لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): يا رسول اللّه، انزع ثنيتيه، فلا يقوم خطيبا عليک أبدا.

فقال: دعه يا عمر، فعسى أن يقوم مقاما نحمده عليه (1).

فكان ذلک المقام هو: أنه لما توفى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ارتجت مكه، و أراد أهلها أن يعودوا إلى الشرک، فقام سهيل بن عمرو8.

1- أسد الغابه ج 2 ص 371 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 82 و عن الإصابه ج 2 ص 93 و الإستيعاب (بهامش الإصابه) ج 2 ص 109 و 110 و راجع: المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 484 و شرح نهج للمعتزلى ج 14 ص 172 و راجع: كنز العمال ج 5 ص 409 و كتاب المنمق ص 218.

خطيبا، فقال: (يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم، و أول من ارتد، و اللّه، إن هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس و القمر، من طلوعهما إلى غروبهما الخ ..) (1).

فتراجع أهل مكه عما كانوا قد هموا به.

و نسجل هنا الملاحظات التاليه:

1- إنه حين يعرض عمر على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ما عرضه إنما يفهم الآخرين: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله)- بنظره- كغيره من الطغاه و الجبابره، الذين يمارسون الانتقام من خصومهم بقسوه بالغه، و بوحشيه ظاهره .. فهو لا يرى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) مبعوث رحمه للعالمين، و قد كانت نفسه تذهب حسرات حتى على من كانوا يحاربونه، و يسعون فى سفک دمه ..

فما هذه النظره العمريه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

و متى تخلص منها صاحبها؟! أم بقيت تعيش فى نفسه، و تتغلغل فى أعماقه؟!

لا ندرى .. و لا بد لمن يريد أن يدرى أن يتتبع حياه هذا الرجل ليجد من الشواهد و الدلائل ما يفيد فى استخلاص الحقيقه، و وضوح الأمر ..

2- إن عمر بن الخطاب قد طالب بقلع ثنيتى سهيل، لأنه كان أعلما،2.

1- مكاتيب الرسول ج 3 ص 82 و أسد الغابه ج 2 ص 371 و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 172.

أی: مشقوق الشفه العلیا (1).

و الأعلم إذا قلعت ثنیتاه، فإنه یصبح عاجزا عن النطق.

3- إننا لم نفهم سر مطالبته بهذه العقوبه لسهیل، و لم یطالب بعقوبات مماثله أو متنوعه لغیره من أسری بدر، فهل کانت له علی سهیل ثارات قدیمه، و قد أراد أن یأخذها منه بهذه الطریقه؟ أم کان لدی سهیل شی ء من الفصاحه، فأراد أن یسلبه ذلک حسدا منه له؟!..

إن التاریخ لم یفصح عن شی ء یفید فی تحدید الداعی لهذا الطلب الغریب و العجیب.

4- إن سهیل بن عمرو لم یقم خطیبا علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فما معنی تعلیل عمر لطلبه هذا بقوله: فلا یقوم علیک خطیبا أبدا؟!

5- لماذا یقدم عمر الاقتراحات علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، من دون أن یطلب الرسول (صلی اللّه علیه و آله) منه ذلک، و من دون أن یستأذنه بالکلام فی محضره .. فضلا عن أن یکون (صلی اللّه علیه و آله) قد أذن له بالاقتراح، أو طلب المشوره منه فی هذا الأمر بأی شی ء آخر!!

6- إن هذا الحدیث لابد أن یعتبر من دلائل نبوه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، حیث أخبر بما یکون من سهیل قبل أن یسلم سهیل، و قبل أن تظهر أیه بادره منه تشیر إلی أن لدیه شیئا من المیل إلی الإسلام، بل کان یخوض أخطر حرب ضد هذا الدین و أهله، و کل واقعه و ما هو فیه یشیر إلی المزید من اللجاج و العناد ..ی.

1- یقابله الأملح، و هو مشقوق الشفه السفلی.

يضاف إلى ذلک: أن ما أشار إليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إنما تحقق بعد وفاته (صلى اللّه عليه و آله)، فليس له صلوات اللّه و سلامه عليه و على آله الطاهرين، أيه مشارکه فى صنع المناسبه، لا من قريب و لا من بعيد .. فهو إخبار غيبى بکل ما لهذه الکلمه من معنى ..

الفهارس

اشاره

ص: 344

1- الفهرس الإجمالى

2- الفهرس التفصيلى

سبب وضع الرؤيا: 67

ص: 347

الفصل الرابع: تعمد صنع المعجزه تعمد صنع المعجزه: 225

ص: 350

ص: 351

ص: 352

الفهارس:

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.